

الجسد في الفن التشعيلي

# اليسار

رأية المستضعفين في الأرض

■ اليسار / العدد الثمانون / أكتوبر ١٩٩٦ م / جمادى الأول ١٤١٧ هـ / الثمن جنيهان مصريان



## عقد القمة الاقتصادية في نوفمبر تراجع مشين للسياسة المصرية

الدولة التي حذر منها أحمد بهاء الدين

أزمة

الديمقراطية

بين

مسئولية

الحكم ..

ومسئولية

المعارضة

اجع حكومى عن موقف مصر

من القمة الاقتصادية



## في هذا العدد

رئيس التحرير:  
حسين عبد الرازق  
المشرف الفني:  
أحمد عز العرب  
المستشارون:

ابراهيم بدرأوى  
أحمد نبيل الهلالي  
د. رفعت السعيد  
صلاح عيسى  
عبد الغفار شكر  
عبد الفتى ابو العيتن  
محمود أمين العالم  
محمد وفاء حجازي

شارك في التأليس:  
د. فؤاد مرسى

اليسار: منبر ديمقراطى يصدر عن  
حزب التجمع الوطنى التقدمى  
الوحدوى فى اليوم الأول من كل  
شهر.

ALYASSAR I KARIM EL  
DAWLA ST TALAAT  
HARB SQ  
CAIRO/ EGYPT

الاشتراكات: لمدة سنة واحدة  
مصر: ٢٤ جنيهًا للأفراد و ٦٠ جنيهًا  
للهيئات.

الوطن العربى: ٥٠ دولارًا  
أمريكا أو مايعادها.  
العالم: ١٠٠ دولار أمريكي أو  
مايعادها.

ترسل القيمة شيك مصرفى أو حوالة  
بريدية إلى إدارة المجلة.

الإدارة والتحرير: ١ شارع كريم  
الغولة ميدان طلعت حرب - القاهرة

ت: ٥٧٥٩١٥٢ - ٥٧٥٩١١

٥٧٨٦٢٩٨ - فاكس: ٥٧٥٩٢٨١

FAX: 5786298

### \*\* موقفنا

عقد القمة الاقتصادية فى نوفمبر  
والتراجع المثلث للسياسة المصرية..... حسين عبد الرازق ٤  
**\*\* العرب**

الترويك والانتخابات النيابية اللبنانية..... نبيل زكى ٧  
حيفا: جبهة أمريكية إسرائيلية فى مفاوضات السلام..... نظير مجلى ١٢  
القدس: الحليل محك المواجهة القادمة مع نتانيا هو..... حنا عميرة ١٥  
العراق: عدوان أمريكى لتكريس الهيمنة..... ابراهيم الصحارى ١٧  
مساهمة فى فهم السودان والسودانيين..... د. حيدر ابراهيم ٢٠  
**\*\* مصر**

مستقبل الديمقراطية فى مصر..... أمينة النقاش ٢٢  
الجامعات الخاصة وتكاثر الفرض التعليمية..... د. شيل بدران ٢٥  
استقلالية الحركة النقابية العمالية..... محمد جمال إمام ٢٩  
جنون البقر وجنون المحخصة (٤)..... عريان نصيف ٣١  
المستثمرون يفضلون المرأة..... فاطمة فرج ٣٣  
**\*\* كتيخانة**

أحمد بهاء الدين .. الرحيل  
أحمد بهاء الدين .. أحمد بهاء الدين .. حسين عبد الرازق ٣٨  
أحمد بهاء الدين .. أحمد بهاء الدين .. فريدة النقاش ٤٢  
**\*\* العالم**

واشنطن: كلينتون يتقدم بارادة الطبقة العاملة..... سمير كرم ٤٨  
موسكو: دائرة التقسيم القوقازية..... أحمد الحميسى ٥٢  
الدولة التى حذر منها أحمد بهاء الدين..... ٥٤  
باريس: الحزب الشيوعى .. النقد والتغيير..... مجلاء العمرى ٥٦  
ألمانيا: حكم النقض يضر بمصر والاسلام..... نبيل يعقوب ٥٩  
**\*\* أروشيف اليسار**

حلمى يسن .. ابن الأكابر سابقا..... د. رفعت السعيد ٦٣  
**\*\* ورحيق السنين**  
رحلة البيجل..... د. سمير حنا صادق ٦٦  
**\*\* فن**

هل هناك فن ثورى لا يؤمن بالانسان؟..... أحمد يوسف ٦٨  
كناسة دكان العالم..... عبلة الروينى ٧٣  
**\*\* هموم**

ناصر ٢٠٠٠..... د. أحمد محمد صالح ٧٥  
**\*\* مين × شمال**

٧٨  
**\*\* فن تشكيلي**

المرئى وغير المرئى للجسد فى الفن التشكيلي..... فاطمة اسماعيل ٨٠  
**\*\* مشاغبات**

الذى يجب أن نتذكره..... صلاح عيسى ٨٢



## عقد القمة الاقتصادية في نوفمبر

والانسحاب الإسرائيلي من الأرض المحتلة.

وقد عارضت القوى السياسية الوطنية في مصر ، السوق الشرق أوسطية ، ومؤتمرات القمة الاقتصادية ، وشنت حملات سياسية وإعلامية وجماهيرية ، منذ بشر "يوسف والي" الأمين العام للحزب الوطني ونائب رئيس الوزراء المكلف بشئون التطبيع عمليا ، في ٢٧ فبراير ١٩٩٣ بالسوق الشرق أوسطية . وطالبت برفض النظام الشرق أوسطي برتمه ، والتمسك بالنظام الإقليمي العربي ، وإحياء الاتفاقات الاقتصادية العربية ، وفكرة السوق العربية المشتركة . ودعت إلى مقاطعة مؤتمر الدار البيضاء ومؤتمر عمان.

وقاد هذه المواجهة أحزاب التجمع والناصرى والشيوعى والعمل والأحرار والاخوان المسلمون وعديد من النقابات والشخصيات ومؤسسات المجتمع المدني.

ورغم أن الإدارة المصرية اكتشفت بوضوح خلال مؤتمري الدار البيضاء (١٩٩٤) عمان (١٩٩٥) الخطة الإسرائيلية الرامية التي تهميش الدور المصرى ، والفصل غير المنطقي بين العلاقات الاقتصادية والتجارية والتطبيع ، وبين التسوية السياسية وقضايا الأمن والتسلح ، مما يهدد المصالح المصرية بصورة حادة ومباشرة ، مما دفع وزير الخارجية إلى التعبير عن اعتراضه على بعض الممارسات والسياسات ، وإثارته لأزمة في مؤتمر الدار البيضاء . عندما طرح قضية السلاح النووي الإسرائيلي ، وأزمة ثانية في مؤتمر عمان عندما تحدث عن هرولة البعوض للتطبيع مع إسرائيل . فقد واصلت الإدارة المصرية اندفاعها نحو النظام الشرق أوسطى ، ومجاهلت كل الحقائق التي رصدها وقدمتها قوى المعارضة وعديد من مراكز البحث العلمى ، بل وعدد من الخبراء داخل هذه الإدارة نفسها .

ولم تتوقف القوى الوطنية المعارضة عن المقاومة وطرح منطقتها وحججها على الرأى العام وعلى الإدارة المصرية .. إلى أن عقدت القمة العربية في القاهرة ( ٢١ - ٢٣ يونيو ١٩٩٦ ) كرد فعل لفوز اليمين الإسرائيلي بزعامة "تنتياهو" ، وموقفه الرافض عمليا لأسس التسوية السياسية الحالية القائمة على الأرض مقابل السلام ، والتي كانت تتعثر بالفعل فى ظل حكومتى رايبين وبيريز خاصة بعد العدوان الإسرائيلي على لبنان ومذبحة قانا ، والحصار المفروض على الأرض الفلسطينية المحتلة ، والتوقف عن تنفيذ اتفاقيات أوسلو .

فى مؤتمر القمة العربية ربطت الدول العربية مجتمع بين تحقيق التقدم فى التسوية السياسية واتخاذ حكومة "تنتياهو" خطوات عملية وجدية فى اتجاه التسوية ، وبين التطبيع مع إسرائيل .. "فأى إخلال من جانب إسرائيل بهذه المبادئ ( مبادئ التسوية) والأسس التي قامت عليها عملية

استحق موقف الرئيس مبارك والإدارة المصرية من قضية عقد "القمة

الاقتصادية للشرق الأوسط وشمال أفريقيا" والمقرر له ١٢ نوفمبر القادم بالقاهرة ، دراسة خاصة متأنية ، تحاول فهم ماجرى ويجرى واستخلاص النتائج الصحيحة من مظاهر الارتباك والتذبذب والتناقض الذى ميز الموقف - أو المواقف - الرسمية من هذه القمة .

لقد تحدد موعد هذه القمة "الثالثة" فى قمة عمان التي عقدت فى ٢٩ أكتوبر ١٩٩٥ . وكانت بدورها استمرارا لقمة الدار البيضاء التي عقدت فى ٣٠ أكتوبر ١٩٩٤ ، فى ذكرى انعقاد مؤتمر مدريد .

وتستهدف هذه القمم الثلاث التي تتم جميعها بمبادرة من "مجلس العلاقات الخارجية" بنيويورك و" المنتدى الاقتصادى العالمى "بديفوس بسويسرا ، وتحت رعاية الرئيس الأمريكى "بيل كلينتون" ونظيره الروسى "بوريس يلتسين" استكمال إقامة نظام إقليمي جديد فى المنطقة - نظام شرق أوسطى - بديلا للنظام الإقليمى العربى . وبعبارة أدق فالقمة - كما يعلن دعاته - يسعى لاستكمال الأهداف الإسرائيلية الأمريكية فى المنطقة ، والتي بدأت تتحقق عمليا منذ اتفاقات كامب ديفيد ومؤتمر مدريد ، والمباحثات الثانية التي انبثقت عن مدريد ، والمباحثات متعددة الأطراف ، واتفاق أوسلو واتفاق وادى عربة بإسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية ، تسعيان لإقامة نظام إقليمي جديد تهيمن عليه إسرائيل - كدولة كبرى إقليمية - عسكريا وسياسيا واقتصاديا . وقد حققت إسرائيل الهيمنة العسكرية فى ظل تفوقها العسكرى على البلاد العربية مجتمعة من الأسلحة التقليدية ووفق التقليدية ، وأسلحة الدمار الشامل ، واحتكارها للسلاح النووي . وتم الآن الهيمنة السياسية من خلال الاتفاقات الجزئية والفردية التي قمت مع مصر والأردن والسلطة الفلسطينية . وتأتى هذه القمم الاقتصادية لتحقيق الركن الثالث - وربما الأساسى - وهو إدخال إسرائيل فى النظام الإقليمى للمنطقة وقرض سيطرتها الاقتصادية على العرب جميعا تحقيقا لما أعلنه "عزرا وايزمان" رئيس دولة إسرائيل ، عندما قال .. "العرب يملكون المال والنفط، واليهود يملكون العقل والعلم . فإذا التقى الطرفان فى علاقة سلام سيحقق كل منهما العجائب لصلحة الآخر . وماذا تريد إسرائيل أكثر من أن يسيطر اليهود على اقتصاد العالم العربى المتخلف ؟!"

وبهذا المنطق الإسرائيلى - الأمريكى الواضح ، ثم استبعاد الدول التى لاترضى عنها أمريكا وإسرائيل (إيران - ليبيا - السودان - العراق من السوق الشرق أوسطية ، ومن مؤتمرات القمة الاقتصادية تلك - وقاطعتها سوريا ولبنان ، استمرارا لمقاطعتيها للجان المتعددة الأطراف المنبثقة عن مدريد طالما لم يتحقق تقدم حقيقى فى التسوية السياسية



# .. والتراجع المشين للسياسة المصرية

## حسين عبد الرازق

أسبابه.

مثلا كتب "إبراهيم نافع" رئيس تحرير الأهرام مقالا هاما في تأييد وتفسير موقف الرئيس الربط بين انعقاد القمة وتحقيق تقدم فعلى في المفاوضات قائلا: "لم يتفاجأ الكثيرون بهذا الموقف الوطني المشرف.

لا يمكن تصور علاقات طبيعية للتعاون والتنمية المشتركة بين العرب وإسرائيل ، مالم تكن هناك علاقات سياسية طبيعية تحصل فيها كل الأطراف على حقوقها المشروعة ، خاصة الشعب الفلسطيني" ويضيف إبراهيم نافع معلومة هامة مشيرة إلى أن هذا الربط " كان واضحا بجلاء ، كامل في الوثيقة التي قدمتها مصر إلى مؤتمر عمان في العام الماضي .. والتي أفردت لها مقدمة سياسية ذكرت فيها أن أصل السلام هو مبدأ مبادلة الأرض بالسلام .. وأن ذلك بدوره يقوم على ثلاثة مبادئ أساسية :

- التسوية السياسية
- ضبط التسليح والأمن الاقليمي.
- التعاون الاقتصادي الاقليمي.

ويختتم نافع مقاله قائلا: " الواقع أن انعقاد المؤتمر الاقتصادي في القاهرة لم يكن أبدا هدفا في حد ذاته.

ولا يمكن لعامل أن يكون على استعداد للمشاركة في مظاهرة اقتصادية لاحقق شيئا إلا إعطاء السيد" نتنياهو " فرصة الادعاء بأن كل الأمر في الشرق الأوسط على مايرام ، بينما هي في الحقيقة تغلى فوق بركان انتظار اللحظة انفجار قائمة لاشك فيها .

ولهذا كله فأئني أعتمد أن الدول العربية - وفي مقدمتها مصر - تستطيع المشاركة في مظاهرة إعلانية بلا مقصود حقيقي يحقق الأهداف التي تم الاتفاق عليها . كأن مصداقية مصر إزاء شعبها والشعوب العربية بل وشعوب المنطقة كلها لاتسمح لها بالمشاركة في عملية تزييف الواقع وتلوينه من خلال عقد المؤتمر الاقتصادي.

يتمتع إلغاء أو تأجيل هذا المؤتمر \*

وقد اكتسب هذا الموقف من الرئيس مبارك وإدارته قبولاً من القوى السياسية والشعبية في مصر ، لاستناده إلى حقائق واضحة وثابتة.

\*\*\* فعلمية السلام - التسوية السياسية - دخلت بالفعل نفقا مظلمة نتيجة للموقف الإسرائيلي.

للموقف الإسرائيلي - رفض استئناف مباحثات التسوية مع سوريا ولبنان على أساس الأرض مقابل السلام - وطرح مشروع " لبنان أولا " الذي لا يحقق الحد الأدنى من المطالب اللبنانية.

- رفض الانسحاب من مدينة الخليل ( إعادة الانتشار ) المقرر له مارس من العام الماضي.

- عدم تحقيق المرحلة الثانية من إعادة الانتشار والذي كان مقررا له

السلام . أو تراجع عن الالتزامات والتعهدات والاتفاقات التي تم التوصل إليها في إطار هذه المسيرة أو الماطلة في تنفيذها ، من شأنه أن يؤدي إلى انتكاسة عملية السلام بكل ما يحمله ذلك من مخاطر وتداعيات تعود بالمنطقة إلى دوامة التوتر ، ويضطر الدول العربية كافة إلى إعادة النظر في الخطوات المتخذة تجاه إسرائيل في إطار عملية السلام ، الأمر الذي تتحمل الحكومة الإسرائيلية وحدها المسؤولية الكاملة عنه .. كما جاء في الإعلان الصادر عن هذه القمة.

ودفع هذا الموقف القوي الوطني لمطالبة الرئيس مبارك والإدارة المصرية ، أن تقرر - اتساقا مع قرارات القمة العربية - إلغاء قمة القاهرة الاقتصادية الشرق أوسطية ، أو تأجيلها على الأقل ، و " أن يعقد بدلا منها في نفس الموعد مؤتمر من أجل تنفيذ قرارات القمة العربية الخاصة " باستراتيجيات وخطط عمل اقتصادية وإجتماعية متكاملة " أو بعبارة أخرى للعمل من أجل السوق العربية المشتركة والوحدة الاقتصادية " .

ولم تكن هناك أي استجابة من الحكم لهذه الدعوى .

ولكن الرئيس مبارك وبعد فشل كل المحاولات لدفع نتنياهو" للعودة إلى الالتزام بالاتفاقات الموقعة بين إسرائيل والفلسطينيين ومبادئ التسوية السياسية كما اتفق عليها في مدريد - أعلن في خطاب بالأسكندرية في ٢٢ أغسطس ربه بين عقد ونجاح قمة القاهرة الاقتصادية ، وإحراز تقدم في عملية السلام قبل حلول موعد القمة . وأجمع المراقبون أن تصريحات مبارك قتل تهديفا واضحا بإمكانية إعادة النظر في إمكان عقد هذه القمة ، مالم يتغير موقف حكومة نتنياهو.

وتواتل التصريحات الرسمية التي تؤكد نية الحكومة المصرية - والرئيس - تأجيل هذه القمة الاقتصادية مالم يحدث تغيير حقيقي في ممارسات حكومة نتنياهو.

فأكد عمرو موسى وزير الخارجية أن مصر ستأخذ قرارها الخاص بالقمة الاقتصادية بالقاهرة ، في ضوء المعطيات الحالية والمصالح العربية والمصرية وعلمية السلام . وهذه هي الاعتبارات التي يستعده على أساسها انعقاد المؤتمر ، وكيفية انعقادها ، والتاريخ المناسب له .. إننا نتحدث عن متى وكيف يعقد ونحت أي طرف "

وتحدث د. أسامة الباز وكيل أول وزارة الخارجية ومستشار الرئيس للشئون السياسية بصورة أكثر وضوحا وتحديدا ، فقال " إن القمة يمكن أن تعقد في موعد آخر طالما أننا نغير ملامت لعقدتها في موعدنا " في تصريح آخر أشار د. أسامة إلى إمكان تأجيل المؤتمر إلى الربيع المقبل ( عام ١٩٩٧ ) في حالة عدم إحراز تقدم في المفاوضات.

وتبارى الكتاب والصحفيون الرسميون في تأكيد هذا الموقف وتأييده وشرح

٧ سبتمبر الماضي.

- عدم إنشاء الطريق الآمن الذي يربط بين الضفة الغربية وغزة واستمرار الحصار والتجويع للشعب الفلسطيني في الأرض المحتلة .

- توسيع المستوطنات القائمة والاستمرار في تهويد مدينة القدس ، أى إجراء تغييرات جغرافية وديمقراطية تؤثر على أوضاع الفلسطينيين قبل التوصل إلى الحل النهائي . - الادعاء ، بوجود انتشار للقوات السورية في لبنان بهدف إسرائيل ، وبالتالي قيام إسرائيل بحشد قواتها على الحدود السورية :

\* وبالنسبة لضبط التسليح ، فممازالت الولايات المتحدة تواصل ضخ الأسلحة في إسرائيل ، وإقامة تحالف استراتيجي معها ، يؤكد تفوقها العسكري المطلق بما يهدد جيرانها جميعا ، ويزداد الأمر خطورة باستمرار احتكار إسرائيل للأسلحة النووية في المنطقة ودعم أمريكا لهذا الموقف ، ورفض تحويل المنطقة الى منطقة خالية من السلاح النووي وأسلحة الدمار الشامل.

ولكن الموقف المصري الرسمي سرعان ما انقلب على نفسه ١٨٠ درجة . وجاء هذا الانقلاب - كالعادة - نتيجة لضغوط أمريكية وقحة .

بدأ التحرك الأمريكي بالترغيب ثم التهيب . في أغسطس وأثناء زيارة نائب وزير التجارة الأمريكي "ستوارت ايزنشتاين" لمصر ، تحدث أمام غرفة التجارة المصرية الأمريكية ، داعيا مصر للعمل على عقد هذه القمة وإجهاها ، رابطا بين عقد القمة والقرص التي ستتاح لدعم مصر اقتصاديا . وتحدث عن أن بلاده تنظر إلى علاقاتها مع مصر باعتبارها أهم حليف لها في الشرق الأوسط . وأن الولايات المتحدة " مهتمة بهذا المؤتمر ، ووجهت الدعوة إلى مئة مؤسسة اقتصادية أمريكية للمشاركة ، وأن نائب الرئيس آل جور سراس الوفد الأمريكي الذي سيقدم وزير الخارجية وارن كريستوفر ووزير التجارة ميكى كاتنرور .. . وأن القمة الاقتصادية فرصة مهمة لمصر لجذب أنظار العالم إلى مائتق سرا ، على الصعيد المصري أو على الصعيد الإقليمي .. . وسيحضر المشركون الأجانب إلى مصر إذا تأكدوا أنها في القاعدة لتسويق إنتاجهم في كل دول الشرق الأوسط " . تريد الولايات المتحدة أن تصيح مصر مثل النمر الأسيرة من أجل شعب مصر .

وعندما لم يفهم حكام مصر مغزى الرسالة ، كشفت الإدارة الأمريكية عن وجهها التبعي .

فأدلى المتحدث باسم الخارجية الأمريكية "نيكولاس بيرنو" بتصريح أكد فيه على أهمية عقد القمة الاقتصادية بالقاهرة في موعدها المحدد ، وهو ١٢ نوفمبر . وقال " أن واشنطن تتوافق على تأجيل انعقاد القمة حتى يتحقق تقدم في السارات السياسية في عملية السلام بالمنطقة التي تمر بمرحلة صعبة حاليا وهناك تحديات كثيرة في وجهات التوافق بين الأطراف الرئيسية . وأضاف أن التهديد بإجلاء المؤتمر أو الغائه "تهديد قصير النظر " وأنه " واقع من وزير الخارجية وارن كريستوفر سيجعل إلى القاهرة في ١٢ نوفمبر المقبل لحضور المؤتمر " .

في نسخة الموقف صرحت الخارجية الأمريكية للصحافة أن الولايات المتحدة ألحت للحكومة المصرية أنها ستسريط تنفيذ بنود اتفاق المشاركة في مصر المعروف بـ " مبادرة مبارك آل جور" الموقع في سبتمبر ١٩٩٤ بانعقاد القمة الاقتصادية الثالثة لدول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا . وأن واشنطن عبرت بوضوح عن هذا الموقف خلال اجتماعات الوفد الأمريكي برئاسة مساعدة وزير الخارجية لشئون الشرق الأوسط " جوان سبيرو" مع المسؤولين المصريين للبحث في ترتيبات انعقاد القمة الاقتصادية ومناقشة موقف مصر في هذا الشأن . وأن واشنطن تعتبر التصعيد في المناخ السياسي لايورث المناخ المناسب لانعقاد القمة ، وسيؤدى إلى عزوف الدول المدعوة عن المشاركة ، وإلى هروب رأس المال " الجبان بطبعه " ورجال الأعمال من المشاركة خوفا على أموالهم .

وفي اليوم التالي (١٢ سبتمبر) أذيع أن "جوان سبيرو" أبلغت المسؤولين المصريين قائمة أعضاء وفد بلاده الذى سيشترك في القمة

الاقتصادية برئاسة آل جور .. وقالت لهم " سيحضر نائب الرئيس الأمريكى الى القاهرة يوم ١٢ نوفمبر المقبل للمشاركة في المؤتمر وكل الترتيبات اتخذت لحضور جو والمشاركين من الولايات المتحدة .

وكان المغزى واضحا أمريكا ترفض التأجيل . وسيحضر وفدنا في الموعد المحدد .

ووصلت الرسالة هذه المرة إلى الإدارة المصرية . وبدأت الهزلة والتراجع ودن نظام .

فأعلن الرئيس حسنى مبارك يوم ١٣ سبتمبر أن "مصر لا ترفض عقد القمة الاقتصادية في موعدها ، لكنها تريد أن تتحرك إسرائيل من أجل تنفيذ الاتفاقات التي تم التوقيع عليها " . وقال في تصريح آخر إن "مصر مصممة على عقد القمة في موعدها " .

ثم أعلن الرئيس بعد ذلك بأيام " أن مصر حرصت على انعقاد مؤتمر القمة الاقتصادية في موعده المحدد . فانعقاد المؤتمر في موعده ، يمثل دعوة لكل الأطراف بأن تتحمل مسئولياتها والتزاماتها ، وأن تنتهزم معنى الوفاء بالالتزام والمسئولية أمام المجتمع الدولى " .

وفي حديث للتلفزيون الإسرائيلى قال مبارك " إننا حرصون على عقد المؤتمر في موعده .. فقطعت عدم تأجيل المؤتمر ، كى لا يستغل أحد هذا التأجيل .. ولذلك أكدت أننا من جانبنا لا نؤجل المؤتمر وحرصون على ذلك ، لكننا نطالب الولايات المتحدة وإسرائيل بالمساعدة في إجهاهه .. وهكذا ورفضت الإدارة المصرية الرأية البيضاء ، واندفعت بشكل محموم تؤكد أن المؤتمر في موعده ، وتؤكد تعزير عن مجرد التفكير في التأجيل .

فياد د. كمال الجنزورى رئيس الوزراء - والذى لم يسع له صوت من قبل في هذا المؤتمر - عقد اجتماعا وزاريا حضره (٢٢) من وزرائه لإعداد القمة الاقتصادية في ١٢ نوفمبر ، ليعلن أن انعقاد المؤتمر في موعده يمثل التزام مصر الواضح بواقفيها الثابتة وتعهداتها أمام المجتمع الدولي بجميع مؤسساته " .

ويلقى وزير الخارجية "عمر موسى" مع أعضاء اتحاد الصناعات المصرية ليؤكد بدوره أن الاستعدادات تجري لعقد المؤتمر في موعده . وتشتد الصحف جميعا شهادة تقدير لهذا القرار ( التراجع ) من ألمانيا ، فتقول : إن الدوائر الاقتصادية والصناعية الألمانية رحبت بقرار الرئيس حسنى مبارك بإقامة القمة الاقتصادية بالقاهرة في موعدها المقرر يوم ١٢ نوفمبر القادم وأن " هذا القرار الحكيم جاء في وقته تماما " .

وهكذا تتراجع السياسة المصرية مرة أخرى عن بداية موقف صحيح ، خضوعا لإرادة البيت الأبيض .

ولايجدى الانتكار والقول بعدم وجود ضغوط أمريكية وأن مصر لايمكن أن تتأثر بأى نوع من الضغوط ، كما قال الرئيس مبارك ، أو سفير مصر في واشنطن أحمد ماهر .. فلحقاقت واضحة ومكشوفة تؤكد أن طبيعة العلاقات القائمة بين الإدارة المصرية والإدارة الأمريكية تجعلنا في وضع التبعة .

ولنتذكر أن هذه ليست المرة الأولى التي تحاول الدبلوماسية المصرية اتخاذ موقف سياسى في قضية تمس المصالح المصرية مباشرة ، ثم تنظر للراجع بصورة تدعو للأسى فقد سبقتها قضية احتكار إسرائيل للسلاح النووي ورفضها التوقيع على معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية ومطالبة مصر بعدم مد العمل بهذه الاتفاقية مد نهائيا ، ثم تراجع أمام الضغط الأمريكى بنس الصورة .

ويطرح هذا الموقف الجديد - وبالحاج - قضية العلاقات الخاصة التي تربط الإدارة المصرية بالولايات المتحدة أو علاقة التبعية المصرية لأمريكا نتيجة للسياسات التي تبنيها إدارة الرئيس مبارك .

وهي قضية حان الوقت لطرحها للنقاش العام والتصدى لها ولأثارها المدمرة على مصالح مصر والوطن العربى .



مظاهرة لحزب الله

## السباق إلى «ساحة النجمة»

السلطة؟ فإذا تأكد لديهم أن فوز هؤلاء المرشحين يتوقف على هذه الأصوات الإضافية.. تولوا استدعاء الموتي!! وهكذا فازت قوائم مرشحي السلطة - مثلاً - باثنين وثلاثين مقعداً في منطقة جبل لبنان من ٣٥ مقعداً. ودخلت الدولة بكل ثقلها في المعركة الانتخابية وحشدت لها كل إمكانياتها.

وتم تعيين رؤساء اللجان الانتخابية في معظم الأحوال من أنصار قوائم السلطة، وجرى تداول «المغلقات المغفلة» أو الظروف المعدة للتصويت حيث يتسلم الناخب هذا الطرف المخلق من مكتب المرشح ثم يعود ليتسلم هذا المكتب الطرف الفارغ بعد أن



رفيق الحريري

نعرفها جيداً؛ ففي الساعة الرابعة بعد الظهر.. يكون الموقف الانتخابي لمرشحي السلطة قد أصبح واضحاً، ويستطيع مسئولو مراكز الاقتراع أن يبينوا كل جوانب الصورة: هل يحتاجون إلى أصوات إضافية لمرشحي

وجه أحد الصحفيين سؤالاً إلى الوزير اللبناني وليد جنبلاط قائلاً: «هل اقترح الموتى في دائرتك الانتخابية في منطقة «الشوف» الجبلية؟» والتي جنبلاط - بدوره - سؤالاً وهو ينظر إلى ساعة يده: «كم الساعة الآن؟» ثم اضاف.. «لا يزال الوقت مبكراً للموتى، فهم لا يقومون قبل الساعة الرابعة بعد الظهر».

ويؤكد مرشحو المعارضة في الانتخابات النيابية التي جرت خلال شهرى أغسطس-سبتمبر الماضيين أن ما قاله جنبلاط لم يكن من قبيل المزاح بل هو الحقيقة بعينها؛ فقد وضعت أصوات الموتى بالفعل في صناديق الاقتراع، كما هي الحال في دول عربية أخرى



الانتخابية، فضلاً عن تزوير بيانات القيد على نطاق واسع، الأمر الذي مكّن الكثيرين من الاقتراع نيابة عن آخرين واستخدام المغلفات المهرورة بخاتم وزارة الداخلية من جانب السلطة، الأمر الذي مكّن قائمة مرشحي السلطة من فرض معظم أعضائها على الكثير من الناخبين، إضافة إلى محاولات التهيب والترهيب التي مورست على موظفي في الدولة ومؤسساتها...».

وتحدث «حبيب صادق» مرشح قائمة «الحيار الديمقراطية» في الجنوب اللبناني عن «تأثير سياسي وقانوني ومادي»، كما أكد رئيس الاتحاد العمالي «الياس أبو رزق» أن لبنان شهد «أعنف عملية تزوير مباشر وغير مباشر».

وكان كل من حبيب صادق والياس أبو رزق ضحية لعمليات التزوير، وتم إسقاطهما.

وعلى حد تعبير اللبنانيين فإن اللوائح (القوائم) المحلية «والطغيان المركبة» وتدخلات الساعات الأخيرة.. كانت هي الظاهرة السائدة في الانتخابات.

وكان لبنان في حاجة إلى نظام انتخابي يوفق بين مقتضيات الوحدة الوطنية ومستلزمات الديمقراطية وصحة التمثيل الشعبي وضرورات التعبير عن التيارات السياسية التي تجاذب الرأي العام بحيث يمكن إرساء القواعد لمشروع المستقبل وهو إلغاء الطائفية السياسية. وقد ظل قانون الانتخاب معلقاً حتى أيام معدودة قبل بدء التصويت. وعندما فرغت منه الحكومة بسرعة وحصلت على موافقة المجلس النيابي، وقع عشرة نواب على طلب إلى المجلس الدستوري بالظعن في القانون. وبأبطل المجلس أربع مواد أساسية في القانون. واضطر مجلس الوزراء اللبناني إلى إجراء التعديلات المطلوبة وتم التصديق عليها في المجلس النيابي في جلسته الأخيرة.

وقد ورد في اتفاق الطائف (الذي وضع حداً للحرب الأهلية في لبنان) النص على نظام (الدائرة - المحافظة) حيث أن تصغير الدوائر يؤدي إلى تشجيع التطرف الطائفي، بينما يؤدي أسلوب تأليف القوائم التي تضم مرشحين من كل الطوائف ولعدة أفضية (كل محافظة لبنانية تنقسم إلى أفضية) إلى تعزيز لغة الاعتدال السياسي والوحدة الوطنية.

وكان هناك اتفاق على استثناء جبل لبنان والجنوب مرة واحدة. وهذا ما



ناخبون أمام مركز الاقتراع

## «القرويكا».. والانتخابات

### النيابية اللبنانية

شهادات القيد وملكون الاختام يعملون مع جيش ضخم من الموظفين والاداريين العاملين في شركات ومؤسسات أصحاب السلطة ويضعون تحت تصرفهم مستندات الهوية المزيفة. وتحولت الانتخابات في بعض المناطق إلى «مهرجان قوى الأمن» على حد تعبير أحد المعارضين. وكما يحدث في دول أخرى مجاورة.. تم تسخير كل وسائل الاعلام الرسمية وغير الرسمية والحكومة للدعاية المباشرة لمرشحي السلطة. وسيطر المال بقوة على العملية الانتخابية. وتم سحب عشرات الملايين من الدولارات من البنوك للاتفاق على الحركة (مليار دولار انفتحت في بيروت وحدها). وكما هو معروف فإنه لا يوجد سقف للاتفاق المالي في الانتخابات اللبنانية.

### دور المال

ويقول الدكتور سليم الحص، رئيس وزراء لبنان السابق وزعيم كتلة «الائتلاف والتغيير»: «يحز في نفوسنا أن يكون قد شاب الانتخابات الفضيحة ما شابهنا من تجاوزات وانتهاكات شوت وجهها الديمقراطي.. منها الدور الفاجر الذي لعبه المال في التحكم بالعملية

يتسلمه من رئيس مركز الاقتراع لكي يثبت أنه صوت لصالح القائمة. ولا يستطيع أي مرشح معارض أو عادي الحصول على هذه الظروف لأن صاحب النفوذ والمنصب الرفيع هو وحده الذي يستطيع الحصول عليها. وكذلك ثمة منع مندوبي المرشحين المعارضين إلى مراكز الاقتراع. وظهر أن ثمة تمعداً في منح هؤلاء المندوبين التصاريح الرسمية التي تخولهم الدخول إلى مراكز الاقتراع لمراقبة عملية التصويت، ولوحظ نقل مراكز اقتراع من مكان إلى آخر دون إبلاغ المرشحين في الوقت المناسب. وظهرت حالات تسلل مسؤولي مراكز الاقتراع قواتهم باسماء الناخبين تختلف عن القوائم التي تسلمها المرشحون.

وبينما كان يتم إحياء الموتى.. واستخدام أصوات المهاجرين والمختربين وحشد الجنسين (الذين منحتهم حكومة رفيق الحريري الجنسية) للتصويت لصالح مرشحي السلطة.. جرى حذف أسماء ناخبين أحياء!.

واكتشف ناخبون آخرون أن غيرهم قد سبقهم إلى التصويت بالنيابة عنهم! فقد كان هناك من يحملون صوراً حقيقية أو مزورة من



حدث في الانتخابات اللبنانية عام ١٩٩٢ ، ولم يكن من المتصور أن تحافظ الحكومة اللبنانية على هذا الاستثناء مرة أخرى لأنه يحرم الطائفة المسيحية من التأثير الموازن لتأثير الطوائف الأخرى في اختيار ممثلي الدروز والشيعية في الجبل.

غير أن رجال الحكومة أصروا على استثناء الجبل مرة أخرى من نظام المحافظة كدائرة انتخابية . وكان من الواضح أن الهدف من منع الكتلة المسيحية في جبل لبنان من أن تكون صاحبة ثقل في المجلس أو من أن تكون لديها فرصة حقيقية في تشكيل معارضة لها وزنها.

وبعبارة أوضح ، بأن معنى القانون الانتخابي اللبناني هو أنه في المناطق التي يشكل النخبون المسلمون فيها الكثرة يشكل المسيحيون القلة ، فإنه يحق للمسلمين اختيار ممثلي المسيحيين أما في المناطق (وهي منطقة الجبل بالتحديد) حيث المسيحيون هم الكثرة والمسلمون هم القلة.. فإنه يتم تقسيم الدائرة الانتخابية إلى دوائر صغيرة تكون الزعامات الدرزية من فرض النتائج الانتخابية التي تريدها ، دون حاجة للدخول في مساومات مع النخبين المسيحيين (حيث إن المنافسة في الجبل تدور بين المسيحيين الدرزيين في الأساس) وقد جاء في قرار المجلس الدستوري أن هذه هي آخر مرة يمكن السماح فيها بهذا الاستثناء.

وهكذا اقترح مواطنو الجبل بطريقة تختلف عن مواطني الشمال وعن سائر مواطني المحافظات اللبنانية الأخرى.

#### مرشحون «مدعومون»

وقد تم تقسيم محافظة جبل لبنان إلى ست دوائر انتخابية- بناءً على إصرار الزعيم الدرزي وليد جنبلاط- . فاكتملت قوائم جنبلاط وحلفائه ثلاث دوائر مهمة هي الشوف وعالية والمثاق الجنوبية ، وأصبح الزعيم الدرزي أميراً طرّاً للجبل ويتربع على رأس كتلة برلمانية تضم ١٥ نائباً ، وبذلك يكون قد حصل على مكافأة عن توثيق تحالفه مع رئيسي المجلس النيابي (نبيه برى) والحكومة (رفيق الحريري) .

ومكافأته تظهر خروجهم عن تحالفهم مع «حزب الله» وهو التحالف الذي كان قائماً في الانتخابات السابقة في

صيف عام ١٩٩٢).

ووحد أصحاب القوائم الصغيرة والفقرية والمحلية أنفسهم في مواجهة قوى هائلة ومرشحي «مدعومين» توافرت كل السبل لضمان نتائج لهم في صناديق الاقتراع.. وهي نتائج لا تخضع لأي مفاجآت غير محسوبة.

كذلك وجد النخبون من ذوي التوايا الطبية أنفسهم أمام قوائم تضم في بعض الأحيان أكثر من ٢٥ مرشحاً لا يعرفونهم جميعاً وربما لم يسمعو باسماء الكثيرين منهم.

ولا حاجة للتذكير بأن النظام الانتخابي اللبناني يركز على القواعد الطائفية. وعلى سبيل المثال فإن هناك ١٩ مقعداً مخصصاً للعاصمة بيروت (تنافس عليها ٩١ مرشحاً) . وتتوزع هذه المقاعد على الطوائف وفقاً للنظام التالي:

«٦ مقاعد للسنة- اثنان للشيعه- واحد للدروز- اثنان للدروز- اثنان للروم الارثوذكس- واحد ماروني- واحد للروم الكاثوليك- ثلاثة للارمن الارثوذكس- واحد للارمن الكاثوليك- واحد انجيلي- واحد للاقليات.

وفي هذا الإطار الطائفي.. تظهر القوائم: قائمة الحزب الشيوعي اللبناني بزعامة فاروق دحروج» وتحمل اسم لائحة الشعب ، وقائمة حركة أمل الشيعية بزعامة نبيه برى وتحمل اسم «كتلة التحرير والتنمية» ، وقائمة رئيس الوزراء رفيق الحريري وتحمل اسم «قوار بيروت» .. وعشرات القوائم الأخرى.

#### اجتماع «بيت مرى»

وكما حدث في الانتخابات السابقة (١٩٩٢) قرر الحلف الثلاثي المعارض الذي يضم الرئيس اللبناني السابق أمين الجميل والعماد ميشال عون، ورئيس الحكومة العسكرية المؤقت السابق، ودوري شمعون ، زعيم حزب الوطنيين الأحرار ، وأعضاء البهيومون أده زعيم حزب الكتلة الوطنية) في اجتماع عقده في باريس مقاطعة الانتخابات. وقالوا أنهم سيعلنون عن تشكيل جبهة معارضة قبيل عيد الاستقلال اللبناني المقبل في الواحد والعشرين من شهر نوفمبر القادم.

غير أن الانتخابات اللبنانية كشفت هذه المرة مدى عزلة هذه القيادات التقليدية التي تجاوزتها التطورات في لبنان

ذاته.

فقد اجتمعت شخصيات لبنانية مسيحية معارضة (٥٢ شخصية) في «بيت مرى» بجبل لبنان في أواخر شهر يوليو الماضي في منزل القبط المعارض البهيومون مخيم، وقررت المشاركة في الانتخابات بما يعنى إعلاناً عن الانشقاق النهائي عن «معارضة الخارج».

وكان المفترض أن تركز السلطة في لبنان كل جهودها في اتجاه تشجيع معارضة الداخل على الانخراط في الحياة السياسية. غير أن التحالف الحاكم (الرئيس السياسي الهراوي ونبيه برى ورفيق الحريري) تصرف على نحو يشجع على توليد أسوأ مقاطعة مسيحية ممكنة للانتخابات.. إلى حد جعل العديد من المراقبين يشعرون بأن المقاطعة مطلوبة من جانب رموز الدولة وليس العكس!!.

وعجزت السلطة اللبنانية عن المساعدة على خلق قيادة مسيحية جديدة (بدلاً من القيادات التقليدية التي يعيش معظمها خارج البلاد) وتصحيح الخلل الناشئ عن انكفاء فرق من المسيحيين وابتعادهم عن المشاركة.

وبدا في بعض الأحيان أن التحالف الحاكم يمارس أسلوب «تصفية حسابات» وعمليات تأرية مع بعض عناصر المعارضة المسيحية في الداخل.

#### انهيار المعارضة

ومع ذلك ، فإن أزمة الانتخابات اللبنانية الأخيرة لا تكون في جمود المقاطعة بل تتمثل أساساً في «انهيار المعارضة»- كما قال محسن إبراهيم رئيس منظمة العمل الشيوعي.. وذلك أن الذين قرروا الانتقال من المقاطعة إلى المشاركة.. لم يقدموا على هذه الخطوة بهدف الضغط لتعديل ميزان القوى السياسية لصالح المعارضة وبرامجها وتعزز نفوذ هذه المعارضة على حساب كتلتات التأييد (أو التأييد المتخلف) وهذه الخطوة بهدف إعلان الولاء والتأكيد على الاستعداد للذوبان في الحكم القائم.. ومن هنا قاموا بالتخفيف من لهجة خطابهم السياسي لعل «الاعتدال» يشكل جواز مرورهم إلى القوائم المقدر لها أن تفوز في الانتخابات.

والمؤكد أن معظم اللبنانيين لا يؤمنون الآن بجيود المقاطعة. والكثيرون من الذين قاموا في الانتخابات السابقة (١٩٩٢).. اقترحوا هذه المرة بعد أن وجدوا أنفسهم محذوفين ومهمشين طوال أربع سنوات. وقد

ذلك أن التطورات الاقليمية خلال السنوات الأخيرة، وخاصة بعد اتفاق اوسلو، والمعاهدة الاردنية - الاسرائيلية.. وحتى وصول بنيامين نتنياهو إلى الحكم في اسرائيل.. جعلت سوريا تشعر بتزايد أهمية الورقة اللبنانية ولا سيما اشتداد الضغوط الأمريكية على سوريا واقتناع دمشق بأن هناك محاولات محمومة لتطويقها عن طريق تركيا. وعلى هذا الاساس فإن التوازنات الاقليمية في العصر الحاسم في الوضع الداخلي اللبناني، كما أن سوريا هي «الناخب الأكبر» في لبنان.

### قارئ جيد

والحقيقة أن وليد جنبلاط من القلائد الذين اشتهروا بالبحث عن المشاكل في زمن السلم، وبأنه صاحب هوية استحضر وانتفاء ما يسلط عليه الأضواء، بأنه لا يبدأ ولا يكف عن توجيه القصف العشوائي في الأمور الداخلية ولحسابات خاصة.. غير أنه في المقابل لابد من الاعتراف بأن الرجل يتميز بقدرة غير عادية على القراءة الجيدة في لوحة التغييرات الاقليمية والتأجرجة ذات الصلة بالوضع اللبناني.

ومن هنا نستطيع أن نستنتج أن حملة جنبلاط على «حزب الله» لم تكن تستهدف ممارسة هوية خلق أكبر عدد من المحصور (بلا ميرر أحياناً) ... وإنما تشكل جزءاً لا يتجزأ من موقف سياسي لا يفصل عن مجريات العلاقات السورية - الإيرانية وما يتخللها من مشاكل.

والظاهرة التي تلتلت الأنظار أكثر من غيرها في الانتخابات اللبنانية هي أن جنبلاط أعلن الانضمام إلى حليفة القديم - الجديد نبيه بري لكي يشعل، وبإياه، الحلف الأكبر بانضمام رفيق الحريري والياس الهراوي. لكي يدخل الجميع معركة في خندق واحد ضد حزب الله.

كان المطلوب هو إعادة «حزب الله» إلى حجه الطبيعي وعلى حد تعبير افراد الترويك بعد الهجم الكبير الذي بلقه في الانتخابات السابقة (كان عدد اعضائه في مجلس النواب ١٧ عضواً انخفض إلى ٧ في المجلس النيابي الجديد).

ولم تكن سوريا بعيدة عن هذا التغيير المفاجئ في التحالفات وليس سراً أن إيران



الناطقة بهمة الحريرية

موحدين ومتجانسين على نحو يجعل من المستحيل على أي معارضة - مهما بلغت من القوة ودرجة التمثيل الشعبي - اختراق موقع من مواقعها أو إضعاف أحد هذه المواقع. وفي وقت من الأوقات.. كان هذا الاختراق وسيلة أجنحة في المعارضة اللبنانية للتأثير. أما الآن فإن ما لا يجمع عليه الثالث لا يمكن إقراره وقريره.

وفي ضوء هذه الأوضاع.. تفقد المعارضة ميرر فعلها وإذا كانت المقاطعة تعني «الاستقالة من الوطن».. فإن طريق المشاركة مسدود.

وكما تم تكريس جنبلاط أميراً طريراً لطائفته الدرزية، تم أيضاً إعادة تكريس نبيه بري ملكاً على طائفته الشيعية ورئيساً بلا منازع للمجلس النيابي الجديد.

وهنا يجب القول بأن وليد جنبلاط، زعيم الحزب التقدمي الاشتراكي، أصبح الحليف الاساسي للترويك.

ونظراً لأن تقاسم السلطة مستمر إلى أجل غير مسمى بين هؤلاء الحلفاء... فسوف تظل الحياة السياسية معقدة وسيبقى تداول السلطة مبعثاً. ويمكن القول أيضاً أن الترويك تحول تدريجياً إلى «دويكا» باعتبار أن حصة الرئيس الياس الهراوي ستكون شبه معدومة في المجلس النيابي الجديد.

ولكل فرد من «الترويك» حق الفيتو (النقض) مع التسليم بأن إجماعهم على رأى واحد لا يعني أن القرار في يدهم.

أدركوا أن كل صوت يقطع إنفاً يصب في خاتمة الحكومة ويخدم موقفها في مواجهة المعارضة.

ولم تكن المعارضة صاحبة رؤية في عملها. ولم تستثمر المواقف الشعبية لوضع برنامج عمل محدد. كما أن الدولة استطاعت أن تروض بعض الرؤوس المعارضة بالوعود وتدخل المصالح وضمان المراكز والناصب، فاستقطبت وجوها معارضة ونجحت في فك الرباط بين معارضة الخارج (عون - الجميل - شمعون - اده) ومعارضة الداخل (مخبير - دكاش - بطرس حرب - الكتائب - ابو اللمع... الخ)

ولم يكن المجلس السابق يمثل أكثر من ١٤ في المائة من اللبنانيين. غير أن ذلك لا يعني أن ٨٦ في المائة يؤيدون المعارضة.

وإذا كانت المعارضة في حالة تشتت.. فإن أركان الحكم قد توحدها وظهروا كقوة متساركة، واستطاعوا أن يجتذبوا إلى صناديق الاقتراع هذه المرة ما بين ٤٠٪ - ٥٠٪ من الناخبين.

### «الترويك» الحاكم»

والنظام القائم في لبنان لا تنطبق عليه القواعد المعروفة للنظم السياسية في العالم، فلا هو رئاسي ولا هو برلماني. فقيادة النظام موكولة إلى «ترويك» تضم «الرؤساء الثلاثة» (رئيس الجمهورية ورئيس المجلس النيابي ورئيس الحكومة) وأعضاء الثالث الحاكم.. ظهروا هذه المرة

## الانتخابات والحسابات الاقليمية

وما قاله الحريري صحيح في مجمله. ولكن الجديد هو أن هذا الموقف يعد تبديلاً طارئاً في السياسة المتبعة في لبنان تجاه «حزب الله».

وثمة ارتباط وثيق بين الاعتبارات والحسابات الاقليمية وبين نتائج الانتخابات اللبنانية.

لم يكن المطلوب هو تعزيز الثقة بلبنان الديمقراطي الحر أو لبنان المستقل. ولم يكن الهدف هو - كما حدث - خروج ٤٨ نائباً من مجلس نواب عام ٩٢ - إما بالخسارة أو بالعزوف عن الترشح - بحيث تصبح نسبة النواب الجديد ٣٧,٥٪. وإنما كان المطلوب هو تثبيت المعادلات والتوازنات التي تربط بملف العلاقات اللبنانية - السورية وضمان الاستقرار في الترتيبات التي تكتنف هذه العلاقات.

ويرى حبيب صادق «أن هناك ثقافة تطبيقية تشكلت على أرض الواقع في لبنان، وأن التحالف الحاكم يسعى منذ أربع سنوات إلى توليف ثقافة تعمل على تشكيل قبول مسبق لما ستنهض إليه المفاوضات مع إسرائيل».

وإن ما يريدونه هو إعادة إنتاج مجلس نواب مطيع من أجل تمديد ولاية هذا التحالف الحاكم أربع سنوات أخرى، والاستمرار في اختزال الدولة والسلطات العامة في أقطاب الثالوث المهيمن، ومواصلة القفز فوق المشكلات الاقتصادية والاجتماعية». ويرى حبيب صادق أيضاً أنه تفصيل للدوائر الانتخابية على قامات أركان التحالف وأن «ثمة نهج منظم وغطاص للدولة وجوهر للجهة السياسية».

ويؤكد المكتب السياسي للحزب الشيوعي اللبناني «سعد الله مزرعاني» أن هناك خلافاً في أداء السلطة اللبنانية وأن هناك نهجاً يختصر المؤسسات في أشخاص.

### ظاهرة «التشطيب»

والحقائق التي كشفتها الانتخابات اللبنانية توضح أن الزعامات التقليدية، من وراثية أو مكتسبة... ما زالت راسخة الجذور وإن لم تبق صاحبة السيادة المطلقة والنفوذ المطلق. ورغم أن النابحين اقترعوا لاشخاص وليس لقوائم إلا أن أسماء عائلات سياسية متعددة في جبل لبنان غابت عن الساحة مثل «الحوري» و«وادة»

## لماذا تدخلت

### الحكومة

### اللبنانية

## في الانتخابات

### اسرائيليات في المنطقة».

وهذه هي أول مرة يتحدث فيها مسئول لبناني بهذه اللهجة عن «حزب الله» والمشروع الابرائي.

وتتجلى ظاهرة «توافق» «الترويج» باعتبارها المرجعية الوحيدة لصواب القرارات والتوجهات التي توجه الدولة وتتقود مصير مواطنيها عندما نسمع رفيق الحريري في نفس اللحظة يقول: «لا شيء يجمعنا مع حزب الله في الأول أو في الآخر».

لقد ميزت بين المقاومة والحزب. ولم يكن الحزب هو من بدأ أعمال المقاومة. والججميع يعلم أن كثيرين استشهدوا في الجنوب ولم يكونوا من ذلك الحزب» وقال الحريري أيضاً إن حزب الله هو رأس حربة المقاومة. ولكن الشعب اللبناني كله مقاوم.. لقد انتهينا تقريباً من الأصولية المسيحية التي انحسرت. ولم يعد أمامنا سوى مواجهة الأصولية الاسلامية التي لها مشارب خارجة عن لبنان وببشئته. كما أن كلمة المقاومة لا تعني فقط المقاومة العسكرية وإنما تشمل مقاومة شعب بكامله أينما وجد...».

وتدردت على لسان كل من الرئيس اللبناني الهراوي والزعيم الدرزي جنبلاط كلمات ماثلة.

والنتيجة أن «حزب الله» لم يحصل على مقعد في الجولات الثلاث الأولى من الانتخابات، جبل لبنان - محافظة الشمال - بيروت.

تحاول منذ بعض الوقت أن يكون لها موقع في الساحة اللبنانية يتمتع بقدر من الاستقلالية عن الدور السوري. وكان المتوقع أن تحاول تعظيم هذا الموقع من خلال الانتخابات اللبنانية الأخيرة. غير أن الموقف السوري واضح وهو أنه غير سمح لابراي بان تتفرد بتقرير الأمور داخل الساحة اللبنانية لكي تضمن (طهران) لنفسها دور الشريك في الملف اللبناني. وفي نفس الوقت فإن سوريا، التي تساند وتشجع المقاومة اللبنانية ضد الاحتلال الاسرائيلي، غير مستعدة في الظروف الحرجة والدقيقة القادمة لأن تترك لطرف إقليمي مهمة تحديد الأولويات وفرص أحداث وتطورات بعيدة عن الحسابات السورية واللبنانية أو لا تشكل جزءاً من هذه الحسابات.

وما يجدر ذكره أن تخطاها يريد أن يتحين الفرصة لفرض مشروعه الذي يحمل اسم «لبنان .. أولاً»، وبالتالي فإنه قد يسعى إلى تغيير الموقف في لبنان لكي يوضح هذا المشروع على جدول الاهتمامات الدولية.

ومن هنا فإن كل المخاطر والعمليات في الجنوب اللبناني خلال الفترة القادمة يجب أن تكون مدروسة ومحسوبة بدقة بحيث تحقق أهدافاً سورية - لبنانية وليست أهدافاً إسرائيلية.

### اسرائيليات «جديدة»

ولذلك رفضت حركة أمل بزعامة «نبيه يري» طلب حزب الله تقاسم اختيار أعضاء القائمة الوحيدة كشرط للتحالف. ثم جاء إصرار حزب الله - كحد أدنى - على الاحتفاظ بعدد المقاعد التي كان يشغلها في المجلس النيابي السابق. وقبول هذا الطلب بالرفض أيضاً. وقال نبيه يري إن الجنوب لا يتحرر إلا على أيدي جميع اللبنانيين، والمقاومة لن تكون إلا لبنانية». وقال يري أنه يرفض أن تتحول المقاومة إلى سلطة سياسية في سوق الزاد العلني، فالمقاومة ليست مقاومة شيعية، وليست مقاومة اسلامية، وليست مقاومة جنوبية، إنما هي مقاومة الجنوب ومقاومة كل لبنان. بل إن نبيه يري كان أكثر حساساً عندما أوضح قائلاً: «نحن ضد قيام جمهورية اسلامية أو جمهورية مسيحية لأن هذا مشروع إسرائيلي لا يهاد

**و«الحلو» و«باخوس» و «الجميل» و«شمعون» و «السعد».** ولم يجد الناخبون وسيلة للتعبير عن مواقفهم سوى «التشطيب» الذي تحول إلى ظاهرة في هذه الانتخابات. فقد كان من الضروري أن يستخدم الناخب حق «الفيتو على أسماء ضمن قائمة من عشرين أو ثلاثين مرشحاً فيحذف أسماء ويضع أسماء أخرى من قائمة المتنافسين».

وأخطر ما لوحظ في هذه الانتخابات انعدام الترشيح الحزبي القادر على تشكيل قوائم مستقلة متجانسة لذلك كانت القوائم خليطاً من «التحالفات» والمواقف السياسية المتضاربة.. الأمر الذي لا يمكن للناخب معه أن يؤيد جميع الاتجاهات المرغوبة في القائمة. وقد انعكس دور الأحزاب السياسية في لبنان.

وعلى سبيل المثال ، فإن حزب «الكتلة الوطنية» أصبح مجرد ناد لبعض الخاصة من أهل «جبل» وانتهى حزب الكتائب إلى هيكل خاو وتحولت حركة «أمل» إلى رابطة للموظفين والنظرين.

ويقول كزيم بفاردوتى ، نائب رئيس حزب الكتائب أن تراجع الأحزاب يدل على تخلف الوعي السياسي ليحل أهل المال محل أهل السياسة».

وقد فقد الناخب اللبناني ثقته في الأحزاب بسبب دور هذه الأحزاب في الحرب الأهلية. ولذلك فإن الأحزاب والعائلات المعروفة في مقدمة الحاسرين في محافظة الشمال.

فقد سقط الدكتور جورج سعادة رئيس حزب الكتائب وسقط مرشحو الحزب القومى السوري ، والأمين العام لحزب البعث (الموالى لسوريا) عبد الله الشمال ، وسقط مرشحو الجماعة الإسلامية ورغم التوصل العائلى فى بعض المناطق.. واحتفاظ عائلات الأسعد وحسادا وارسلان ولهود وسكاف وفرنجية وكرامى بدرجة أو بأخرى من وجودها فى الحياة النيابية إلا أن عصر انحسار العائلات السياسية فى لبنان قد بدأ.. لكى يخل محلها الآن زحف رجال الأعمال والتجار ومن ينتمون إلى عالم المال والشركات والمقاولات ولا يملكون أى تاريخ سياسى.

**الظاهرة «الحزبية»**  
إنها «الظاهرة الحزبية»  
واسم رفيق الحريري يرتبط بسقوط

التجربة الحزبية التاريخية فى لبنان بالضربة القاضية بعد أن فرغت الساحة السياسية من الأحزاب الفاعلة على الأرضى وتقلصت التيارات الحزبية التى تحكمت فى السنوات الماضية (الشمعونية -الكتلوية- العونية- الكتائبية-الدستورية وبعد أن تغير وجه لبنان السياسى نتيجة حرب أهلية دامية استمرت ١٦ سنة . ولم تظهر حتى الآن القوة السياسية الجامعة التى تقدر جذورها داخل كل الطوائف فى وقت واحد.

فاالحريرى المياردير ،وأحد أغنى رجال الأعمال فى العالم (بين أغنى مائة رجل فى العالم ، و ثروته تزيد على ثلاثة مليارات دولار) يسعى إلى تأكيد زعامةه السياسية بعد المالية. وهو يرعى ورشة إعادة الاعمار فى لبنان منذ أربع سنوات. ولا أحد ينكر أن هناك انجازات فى عهده فى مجالى الأمن والإعمار. غير أن الحريري يتصرف أحياناً- كما يقول سليم الحص- وكأن التاريخ قد بدأ يوم عدته إلى بيروت من الخارج.. ويتحدث بعم الإناء والإعمار وكأنهما من اختراعه اوسوف يدخل الحريري «ساحة النجمة» (مقر مجلس النواب فى بيروت) على رأس كتلة نيابية قوية إلى جانب علاقات وثيقة ترايطه بعدد غير قليل من النواب المنتخبين. ولا يهم الحريري أن تتجمع حوله ائتلافات يحتشد فى داخلها طامعون من متعددى الاتجاهات والمشارب يتاعد بينهم المنطلقات السياسية وربما الاذهان. فالهم هو الحرس على عدم تعكير مياه الداخل اللبناني فى هذه الفترة العصبية من الاحتقان الاقلىسى. وسوف تزدهر فى ظل الحريري الرموز الرأسمالية التى يضمن لها نشاطها مجلس نيابى على مستوى الطاعة المطلوبة ودن أن يكون هناك صوت يفسد مزاج الترويكما الذى يراعى المتطلبات الاقلىسية والدولية. ومن يقف خارج المعسكر سوى يعتبر من أصحاب الاتجاهات المتشجعة أو المشبوهة.

ويسئولى الحريري، رجل المال والاقتصاد ، توظيف سلطة الدولة- إلى جانب أمواله الطائلة- فى خدمة مشروعة للأمن والإعمار وموازنى القوى السياسية والطائفية والإقلىسية المعروفة.

### «صراع» الأجهزة

ولا يهم أن تجري الانتخابات فى غياب أية برامج سياسية فالواقع النيابى -كالدوازي- مصدر أساسى للحماية

**المصالح المالية والاقتصادية**  
وتعزيزها والانخراط فى مشروع مربح. وكذلك يمكن القول أنه باستثناء سليم الحص ومجموعة من المستثمرين والسياسيين اللبنانيين .. فقد كان من النادر أن تسعى جهة سياسية إلى تشكيل كتلة أو قائمة مستقلة قبل أن تستنفد كل الوسائل للاتحاد بقوائم السلطة.  
وهكذا تقابلت فى الانتخابات أجهزة «أوماكيات» انتخابية. وليس أحزاب سياسية.

دفع البأس من الأحزاب.. مواطنى لبنان إلى السعى للاتحاد بمرافق القوة والنقد.. والنافع.

وكان أكثر من نصف الثلاثين وزيراً فى حكومة الحريري يسعون للحصول على مقعد نيابى، وتحالف معظمهم مع كبار أثرياء لبنان. واحتاج المرشح إلى أكثر من مليون دولار لى تكون أمام فرصة للفوز.

وقبل أربعة أيام فقط من الموعد المحدد للانتخابات فى الجنوب (٨ سبتمبر) تولت دمشق رعاية مفاوضات ماراثونية انتهت بتكريس مبدأ الائتلاف بين حركة «أمل» وحزب الله ، فى الجنوب والبقاع لى تضمن له اللقاء التى تعيده إلى حجه الطبيعى وتكفل التهذنة بين الفصيلين.

أما الحزب الشيوعى اللبناني فانه خسر هذه المرة، ولم يحصل على مقعد واحد. وفاز سليم الحص ، ولكن أعضاء قانسته أصيبوا بضربة هائلة. وكان مشروع الحريري أنه إذا فاز بعشرين مقعداً فى ١٢٨ مقعداً (عدد مقاعد المجلس النيابى) فانه يكون بذلك قد حقق نصراً كبيراً ويكون قد شيد لنفسه قاعدة انتخابية تجعل منه أحد القواب السياسية الدائمة فى لبنان..

غير أن الفوز الذى حققه الحريري لا يقاس بعدد المقاعد. لقد نجح فى تشكيل مجلس نيابى يتمتع الثقة للحكومة. ويتم انتقام» معها حول كل القضايا خارج هذا المجلس ويمنع عليه إسقاطها. فالتهجير متعذر وبنوعى . حتى لا تهتز المعادلات فى هذه الظروف الاقلىسية الحساسة والدقيقة على نحو يؤثر على تلاحم المسارين السوري واللبنانى أو يشجع على اختراقات سياسية لا تتسجم مع الخطوط العريضة للسياسة اللبنانية الدولية والاقليلية الحالية.



## جبهة أمريكية إسرائيلية فى مفاوضات (السلام)

كهذه، واتضح أن الأمريكان تخلصوا من الموضوع، بطريقة ما، من دون أن يرفضوه تماما، وحذروا أن يعودوا إلى الجولات المكوكية فى المنطقة ليؤدوا دور الوسيط، فحتمى لو كان متحيزا، يظل طابعه وسيطا، يحاول أن يوفق بين الاطراف من دون أن يتبنى رسميا، الموقف الاسرائيلى.

### فلسفة التحالف

فى واشنطن انتهت جولة فى محاولات نتناهو، لكن الفكرة لم تسقط والمعركة لتحقيقها لم تنته وما زال متفانلا بإمكانية الوصول إليها، وليس على المسار السورى-اللبنانى، بل أيضا وربما بالاساس على المسار الفلسطينى وعموما فى العلاقات الاسرائيلية العربية، خصوصا مع مصر التى تتخذ مسارا مستقلا فى تعاملها مع مفاوضات السلام. المنطق الذى يسير نتناهو فى فلسفة

التحالف هذه يسير على النحو التالى:

- سوريا تطلب الانسحاب بالكامل من

الجلان.

- الفلسطينيون يطلبون الانسحاب

الكامل من الضفة الغربية وقطاع غزة وإقامة

دولة فلسطينية فيها، عاصمتها القدس

الشرقية.

وكلا الآخرين لا يمكن قبولها فى

اسرائيل، ليس فقط لدى الليكود واليمين بل

أيضا لدى أوساط واسعة فى الوسط. فى

حزب العمل. والأمريكان هم الوحيدون الذين

يفهمون ذلك ويقفون معنا ضد ضغوط العالم.

## رسالة حيفا

### نظير مجلى

المسار السورى -اللبنانى.

فى البداية، رد الأمريكان على الاقتراح

من دون موقف لم يقولوا لا. لم يقولوا نعم.

وتركوا نتناهو يتحدث عنه لوسائل الإعلام

بصوت عال. فقال: «طرحنا عدة اقتراحات

على سوريا لاستئناف المفاوضات، فرفضتها،

وفيها مشروع «لبنان أولا». فلجانا إلى

هذه الطريقة. قلنا للأمريكان، أنتم حلفاؤنا

وأصدقائنا. تعالوا نتفق على موقف ليد.

المفاوضات، وفافوا عليه «دمشق». ثم

أضاف فى مرحلة لاحقة، «وهو ما زال فى

واشنطن: «إننا بدأنا إعداد وثيقة أساسية

تكون قاعدة تستأنف المفاوضات على

أساسها». وفى نيويورك، بعد يوم من هذا،

أعلن: «دورى (المقصود هو مستشاره

السياسى، دورى غولد) بقى فى واشنطن

لمواصلة التفاوض حول إعداد الوثيقة. ولن

يعود إلى البلاد قبل أن ينتهيا».

لكن غولد عاد فى اليوم نفسه من

واشنطن وانضم إلى حاشية نتناهو فى العودة

إلى البلاد، مر دون الاعلان عن وجود وثيقة

العودة إلى الدفاتر العتيقة لم تكن سمة

من سمات سياسيين- شبان، خصوصا من

تيار اليمين المحافظ، وقد اعتبرت عودتهم

إلى تلك الدفاتر نوعا من العودة إلى

الأصالة، وليس فقط نيشا فى أكوام الغبار.

علن هذه الطريقة، يسعى بنيامين

نتناهو، رئيس الحكومة الاسرائيلية، إلى

إقامة جبهة أمريكية- اسرائيلية لتنسيق

المواقف فى مفاوضات السلام لدرجة التطابق.

فهو لا يكتفى بالتحيز الأمريكى القائم لصالح

اسرائيل ولا يكتفى بالتحالف الاستراتيجى،

والسياسى والعسكرى، ويفتش عن مستوى

شبيه فى مفاوضات السلام بحيث تفقد

الولايات المتحدة أى طابع محايد ولو على

المستوى الشكلى.

قد لا يعجب هذا الكلام أيا من حلفاء

الولايات المتحدة من السياسيين العرب، وقد

لا يعجب أيضا أوساط اليسار الراديكالى

الذى لا يميز موقفا أمريكى معقولا، أبدا.

ويرى فى كل ما باتى من الغرب عموما

أمريكا خصوصا، سماً قاتلاً، وكلا الموقفين

مرحج جدا، ولا يحتاج إلى جهد. لكن نتناهو

يفكر هكذا، ويخطط لتنفيذ هذا. وفى رحلته

الأخيرة (الثانية بعد انتخابه لرئاسة الحكومة)

إلى واشنطن (٩-١١ سبتمبر / ايلول

١٩٩٦)، بدأ المحاولات لتطبيق هذه السياسة

عن طريق إعداد وثيقة أمريكية -اسرائيلية

تكون أساساً لاستئناف المفاوضات على

مباشرة، باتفاقات أوسلو أما بالتخليصات  
مع سوريا فهذه ورثة من عهد كليتون ودول  
، صحت تنتيهاو، سيجتاج إلى أصوات  
اليهود في الدورة التالية (سنة ٢٠٠٠).

وثالثا: اذا فاز كليتون ، فانه سيكون  
محكوما للوى اليهودى الكبير وصاحب  
النفوذ الواسع، فال معروف أن اليهود الأمريكان  
يمولون ٩٥ /٦٠ من الدعاية الانتخابية لكليتون.  
أحد المسئولين الكبار فى حكومة  
نتنياهو، قال لنا خلال الزيارة فى واشنطن ،  
إن ما يميز نتنياهو عن غيره من رؤساء  
حكومات اسرائيل السابقين أنه خبير فى  
الأوضاع الأمريكية يعرف كل شئ فى الحيلة  
السياسية هناك . فقط غولدة مثير (اللى  
كانت رئيسة الحكومة الاسرائيلية فى فترة  
حرب أكتوبر ١٩٧٣)، كانت تتمتع بهذه  
الصفة وقد نجحت فى جعل الأمريكان  
يشاركون فى الحرب مباشرة، بما فى ذلك  
قيادة الطائرات القتالية على الجبهة المصرية.  
ونتياهو مثلها، يعرف كيف يجند القوى  
المؤثرة فى واشنطن وسئل ذلك المسئول: الا  
يعتبر هذا تهديدا للادارة الأمريكية، بأنكم  
تستطيعون الضغط عليها من الداخل ،  
فأجاب: لا نحن نتحدث عن ضغط إيجابى!!

من هذا المنطلق يبدو أن نتياهو متفائل  
بقدراته ، ويعتمد كثيرا على ضعف تأثير  
العالم العربى على الولايات المتحدة من جهة  
وعلى نقاط ضعف داخل العالم العربى  
(أنظمة الحكم، غياب الديمقراطية القيود على  
حرية الصحافة، وحرية التنظيم الحزبى،  
الوضع الاقتصادى ،وحاجة بعض الدول  
العربية للمساعدات الأمريكية مثل مصر  
والأوروبية مثل لبنان والاردن وحاجة دوله  
مثل سوريا لشطب اسمها من لائحة الدول  
المؤيدة للارهاب، تصرفات النظام العراقى،  
ليبيا السودان واليمن.. وغيرها..)، من  
جهة ثانية.

وحتى لو لم يكن نتياهو بهذا الموقف ،  
فان فى حكومته واتلاقه ، أوساطا كثيرة  
تفكر بهذه الطريقة وتدفع بهذا الاتجاه مثل  
ارنيل شارون ويبنى بيغن فى الليكود وحزبى  
الغدال وتتوسمت الشريكين فى الحكومة  
والمستوطنين اليهود فى المناطق الفلسطينية  
المحتلة. ونتياهو يستفيد من هذه القوى  
وضغوطها المكثوفة عليه، ليعبر سياسته فى  
العالم.

## تكتيك إسرائيل يعتمد على نضع السلطة الفلسطينية وتوريث الولايات المتحدة فى خصومات مع حلفائها العرب

فكما هو معروف ، نتياهو لا يعترف  
بالتلخيصات التى تمت حتى الآن بين  
حكومتى اسرائيل وسوريا فى المفاوضات التى  
جرت قرب واشنطن «بلوينشتين» ويريد أن  
يبدأ المفاوضات معها من نقطة ما قبل مدريد.  
وبالنسبة للمسار الفلسطينى ، يحاول  
نتياهو ليس فقط أن يجعل اتفاقات أوسلو  
المرحلة حلا نهائيا للقضية الفلسطينية بل  
يريد فتحها من جديد وتعديلها لتلائم أو  
تقترب من برنامج الليكود السياسى، وهو  
البرنامج المعادى لفكرة اقامة الدولة  
الفلسطينية المستقلة والقاضى بتوسيع  
المستوطنات وحتى زيادة مستوطنات جديدة.

وبالنسبة للبنان، يريد أن يندمج جيش  
العلاء ، الذى اقامته ومولته اسرائيل لينفذ  
سياستها ، فى جيش لبثان الرسمى.  
وكل هذا بحجة الأمن، التى تتفهمها  
الادارة الأمريكية وعندما تنقف القيادة المصرية  
ضد هذا النهج، يريد نتياهو أن يجند الادارة  
الأمريكية للضغط عليها.

ويعتقد نتياهو أن بإمكانه جر الولايات  
المتحدة إلى مواقفه هذه، ببرنامجه منهجى  
مفصل مبنى على الخطوات التالية:  
فأولا- هناك الانتخابات الأمريكية التى  
ستجرى فى الشهر القادم (نوفمبر ، تشرين  
الثانى ١٩٩٦) . فالادارة الأمريكية لن تدخل  
معه فى مواجهة قبل الانتخابات، لانها بحاجة  
إلى أصوات الناخبين اليهود.

وثانيا- اذا فاز روبرت دول ، مرشح  
الحزب الجمهورى، فان رئيس حكومة الليكود  
يأمل أن يتجارب مع رغبائه لانه غير ملزم

وهم الوحيدون القادرون والمستعدون لطرح  
حلول بديلة تستند إلى تغيير سلم الأولويات.  
قيلا من الحديث عن «انسحاب كامل»  
مقابل «سلام كامل» نطرح موضوع الأمن.  
ويلا من الحديث عن تليسيح نووى وتفق  
استراتيجى لاسرائيل، نسعى لتحقيق تعاون  
اقتصادى من أجل رفاه وازدهار كل دول  
المنطقة، ويلا من الحديث عن الممارسات  
الاسرائيلية فى المناطق الفلسطينية الاستيطان  
هدم بيوت ، قمع، نتحدث عن ديمقراطية  
اسرائيل مقابل قمع الحريات فى العالم العربى  
ودور حقوق الانسان.

وهذا هو فى الواقع ما فعله نتياهو، بعد  
انتخابه. وما زال يفعله حتى اليوم، ولكن  
بكلمات أكثر دبلوماسية.

أحد مرافقيه إلى واشنطن ، قال لنا خلال  
الرحلة الطويلة: الحكومة السابقة كانت تطرق  
أبواب العالم كله، من أوروبا إلى الولايات  
المتحدة، إلى اليابان، حتى تشمل الأموال من  
أجل السلطة الوطنية الفلسطينية وتقرتها.  
وتتذرع بالوضع الاقتصادى والصعب  
للفلسطينيين، أما نحن، فنقدم للعالم وثائق  
تدل على مدى الفساد فى السلطة الوطنية،  
وكيف أن الأموال التى تصلها تصرف بشكل  
غير مراقب وتذهب الملايين منها إلى جيوب  
المنفعين من كبار المسئولين، والحكومة  
السابقة، أضاف- كانت تغض الطرف عن  
ممارسات قوات الأمن الفلسطينية ضد  
المعارضة . حركات حقوق الانسان، أما نحن  
قمع كل عملية جديدة لحقوق الانسان هناك ،  
نهتم بإبصال الأخبار .. إلى العالم أجمع.

قلت له ، ما بين المراه والجد: اعترف  
أنت بأننا نحن الذين نقدم لكم المادة الخام.  
فلولا غياب الديمقراطية فى عالمنا العربى ما  
كنتم تجدون ما تنياهون به أمام العالم ولولا  
ممارسات السلطة الوطنية ما كنتم تجدون ما  
تعرضون به العالم ضد فلسطين.

فضحك بالطبع، وأبقى لى الغصة.  
لكن المسألة حدية للغاية، فالحكومة  
تبنى تكتيكها السياسى على استراتيجية  
أخرى، فى أساسها توريث الولايات المتحدة  
الأمريكية فى عدا، وخصوصة حتى مع حلفائها  
العرب واستخدام سليات العالم العربى  
(الكثيرة) لتجنيب الرأى العام العالمى  
وأجهاض بعض التعاطف الذى يظهره تجاه  
القضية الفلسطينية والشعوب عموما.  
ويريد هذا بديلا عن مسيرة السلام الحالية.



ياسر عرفات

## محك المواجهة القادمة مع نتنياهو

وزراء في الحكومة الاسرائيلية أمثال اورييل شارون وبنيامين نتنياهو ورئيس لجنة الخارجية والأمن في الكنيست عوزي لاندائو وغيرهم من أقطاب حزب الليكود الذين قال بعضهم متبكيين «لقد وصل نتنياهو إلى السلطة لكن لليكود لا يزال في المعارضة».

ويبدو أن الاحتكاك الداخلي قد وصل حدا دفع برئيس الوزراء الاسرائيلي إلى التهديد بأقالة وزراء. في حالة عدم التزامهم بالتوجهات العامة للحكومة.

ولكن ماذا فعل نتنياهو حتى يبراه بمثل هذا الزعيق وحتى يضطر للتهديد بأقالة وزراء؟

انه لم يفعل شيئا سوى الانخراط مضطرا للضغط والاستجابة لمطالبته من قبل العديد من القادة والشخصيات بالانلقاء. مع ياسر عرفات. وبالفعل لقد استجاب نتنياهو لهذه الدعوات. وعدل موقفه السابق الذي كان يرفض مبدأ التلقاء مع عرفات. وهو أراد بذلك إدخال تعديل تكتيكي على أسلوب تعامله مع الاتفاقات الموقعة وقد ظهر ذلك جليا بطره شعار نحن ملتزمون ولكن...!! - أي حسب اقواله في المؤتمر الصحفي بعد الاجتماع مع عرفات- نحن ملتزمون بالاتفاق المؤقت وبالسعي إلى تنفيذه- ولكن- على أساس المعاملة بالمثل؛ وبعد ذلك صرح قبل مغادرته إلى واشنطن لدينا حقيقة ملتبسة بالمطالب من الفلسطينيين. وفي واشنطن وبعد لقائه مع كليفتون قال: «إن التقدم في المحادثات مع الفلسطينيين يعتمد على الإيفاء بالتزاماتهم الأمنية. والامتناع عن أي نشاطات غير قانونية في القدس». ومن حيث الجوهر فقد رفض رئيس الوزراء الاسرائيلي، بمحمد مودع لاعادة الانتشار من الخليل. ومحاول بشكل

يمكن للمراقب العادي، ان يرصد العديد من التفاعلات والارهاصات التي ابتدأت تطفو على سطح الحياة السياسية في إسرائيل. ومن هذه التفاعلات ما كان متوقعا ومنها ما لم يكن كذلك. لكن الملفت للانتباه فيها ذلك الصراع في ظهورها. ومن هذه الارهاصات في تحالف اليمين الحاكم في إسرائيل، موقف مجلس المستوطنات الاسرائيلي الذي وصف أداء حكومة نتنياهو منذ مجيئها إلى السلطة، بأنها «مئة يوم من خيبة الأمل»، وجاء ذلك في المذكرة التي بعثها هذا المجلس إلى رئيس الوزراء الاسرائيلي بعد الاجتماع مع الرئيس ياسر عرفات.

### رسالة القدس

#### حنا عميره

عدم تنفيذ الالتزامات التي نص عليها اتفاق أوسلو، واستخدام بعض العبارات الغريبة والموجعة عندما قال: «لم يكن معقولا خلال الحرب العالمية الثانية أن يلتزم رئيس الوزراء البريطاني ويستون تشرشل في ذلك الوقت بالتعهدات التي قطعها سلفه تشريلرن إلى هتلر»! والمقارنة هنا واضحة.

ولم تقتصر هذه الأوصاف والمقارنات والمواقف على المستوطنين وبعض أوساط المثيرات المتعاطفين وغير المتعاطفين، وإنما تعدتهم إلى

وفي الخيمة الاحتجاجية التي نصها المستوطنون وسط القدس العربية، التي كتبت وصفت نتنياهو بأنه كبير الكذابين؛ وذلك للمقارنة بين اقواله وتعهداته خلال حملته الانتخابية. وبين ما يفعله الآن. والاشارة أيضا إلى اجتماعه مع عرفات. وإعلان هؤلاء المستوطنين أيضا: «بالنسبة لمدينة الخليل مستقاتل حتى النهاية» والاشارة إلى رفضهم المطلق لاعادة انتشار الجيش الاسرائيلي من مدينة الخليل.

وليس موضوع الخليل وحده هو الذي يزعج أوساط اليمين المتطرف في إسرائيل ويشكل مبعثا للقلق وخبية الأمل، وإنما كل شيء يتعلق بمواصلة عملية السلام وتنفيذ الاتفاقات المعقودة مع الفلسطينيين، وعلى سبيل المثال، فقد دعا الجيور جنرال احتياط ايهرون ليفران، وهو رئيس ما يسمى بهيئة الأمن والقوة الوطنية، التي تضم حوالي 400 من ضباط الجيش الاسرائيلي المعارضين لاتفاق أوسلو، بنيامين نتنياهو إلى



## المظاهرات الشعبية في مدينة يافا عام ١٩٢٧ في مواجهة قوات الاحتلال البريطاني

تجاهل ضغوط الطرف الآخر التي قد تضطره للسير على طريق تنفيذ الالتزامات والاتفاقات.. الأمر الذي قد يفتح الباب نحو تطورات جديدة. والسؤال المطروح الآن كيف سيتصرف رئيس الوزراء الاسرائيلي: هل يلجأ إلى اتباع سياسة تؤدى إلى اهتزاز قاعدة التحالف اليميني الذي يقوده أم أنه سيحفظ بوحدة هذا التحالف على حساب مصالح اسرائيل الأخرى!! وكمن الوقت سيستغرق ذلك! ان الكثير يعتمد فى هذا المجال على مواقف السلطة الفلسطينية وتضامن الأطراف العربية وإداء المقاضى الفلسطينى خلال جولة المفاوضات القادمة. وليكن المحك ونقطة البدء فى المواجهة مع تقنيهاو تمسك الجانب الفلسطينى فى تنفيذ الاتفاق حول الحليل ورفض الابتزاز والضغط الاسرائيلية الداعية إلى ادخال تعديلات عليه، بهذه الوسيلة فقط نهدف لتنفيذ باقى الالتزامات والاستحقاقات ونحول دون فتح باقى الملفات، كما ونهدف الظروف المناسبة والاساس الصلب لبدء مفاوضات الحل النهائي.

ولكن... أى نحن ملتزمون قولا.. ولكن.. بعد تقديم الفلسطينيين لحقيبة كاملة من التنازلات. لهذا فان- لكن- التي يستخدمها تقنيهاو تقلب جميع المعاني التي سبقتها. وعلى الجانب الفلسطينى الانتباه جيدا لذلك، وعليه عدم الوقوع فى حالة من الرضى عن النفس، وتحصيل اللقاء بين عرفات وتقنيهاو ما لا يحمله من معان ومضامين، أو الترع بتقديم أى مقابل له مثل الموافقة على تعديل اتفاق إعادة الانتشار من الحليل.. أو الاقدام على خطوات، تشجع تقنيهاو فى محاولاته لتنفيس الضغوط القائمة وتساذه بالتالى على التحلل من الاسس التي قامت عليها المفاوضات. ومن هنا فلا مجال للبناء على بعض التقديرات القائلة: إن الاجتماع المذكور شكل انتصارا استراتيجيا للموقف الفلسطينى، وما سياتى من خطوات سيتضمن المزيد من هذه الانتصارات! وإذا ما عدنا مرة أخرى إلى ضغوط اقواب الائتلاف اليميني وصيحاتهم وانتقاداتهم، فيجب القول بأننا لسنا أمام انقلاب فى مواقفهم تجاه تقنيهاو .. وبالمقابل فان تقنيهاو لا يستطيع

مطلق، ما نصت عليه الاتفاقات حول إعادة الانتشار من المنطقة ج-، التي كان يجب أن تبدأ فى السابع من ايلول «سبتمبر» ١٩٩٦- هذا بالإضافة طبعاً إلى توسيع النشاطات الاستيطانية، فى مختلف اجزاء الضفة، وتوسيع شبكة الطرق الالتفافية، ومواصلة حملات الهدم وتهجير المواطنين وغيرها. فان تقنيهاو لم يفعل شيئا يستحق مثل هذا التقرير والانتقاد، من شركائه فى قيادة حزبه واخراب اليمين! لأن ما حاول أن يفعله حتى الآن، هو الانحناء قليلا للضغط، ومحاولة تنفيسها واحترائها لصالح سياسته، التي تستهدف فى النهاية وكما أعلن بنفسه إقامة كيان فلسطينى للسكان فى المناطق غير الجرداء، ومعظم الضفة حسب اقواله، هي منطقة جرداء. وتأكيد أن الموضوع الرئيسى فى الحل النهائي، سيكون فقط ماهية صلاحيات هذا الكيان، والمنطقة التي يشرف عليها- وليس تنفيذ قرارى مجلس الأمن ٢٤٢ و ٣٣٨ كما نصت الاتفاقات. وأما الوسيلة لذلك فهي من خلال الشعار «نحن ملتزمون



## العرب

### العراق:

عدوان

أمريكي

جديد

لتكريس

الهيمنة



موقع أصيب بصاروخ أمريكي

### ابراهيم الصحاري

بارزاني العام الماضي ومساعدته في السيطرة على مواقع استراتيجية متاخمة لحدودها كانت تسيطر عليها قوات طالباني ، تقف اليوم مع الأخير بعد أن ثرت علاقاتها في الفترة الأخيرة مع بارزاني الذي يعتنق الايرانيون أنه يجاوز الحدود باتصالاته مع بغداد.

ونفذت إيران العديد من العمليات العسكرية المتلاحقة في شهر يوليو الماضي داخل الأراضي العراقية استهدفت قواعد ومراكز الحزب الديمقراطي الكردستاني الايراني ، وأتهم مسعود بارزاني ايران بأنها تركت قبل انسحابها كميات كبيرة من الأسلحة الثقيلة لقوات طالباني استخدمتها في القتال الأخير.

وتذكر الرؤية الايرانية في استخدام القوة العسكرية داخل كردستان العراق ليس لمحاربة الحزب الكردستاني الايراني فحسب ، وإنما لسيط نفوذها وتوسيع رقعة تأثيرها العسكرية وسط أكراد العراق أولاً ، فهي تتعامل مع المنطقة الكردية العراقية على أنها ساحة ملائمة للصراع لا مع العراق وتركيا فحسب بل مع أمريكا وإسرائيل أيضاً.

وتتميز ايران بامتلاك سرعة ومرونة

السلطة في هذه المناطق إلى الحزب الديمقراطي الكردستاني وزعيمه مسعود بارزاني الأكثر انقياداً لبغداد ، ليضع العراق بهذا موطن قدم في المناطق الشمالية الكردية بعد خمس سنوات من انسحابه ، بعد أن ثار الأكراد على صدام حسين في نهاية حرب الخليج عام ١٩٩١ وأعلنت الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا حظراً جواً يمنع دخول الطائرات العراقية إلى هذه المناطق.

\*\*\* الأكراد على منبج التجاذب الإقليمي

وراء الاتحاد الوطني الكردستاني والحزب الديمقراطي الكردستاني تاريخ دموي طويل من الصراعات والولاءات الإقليمية المتقلبة، فهناك أطراف خارجية إقليمية تقف وراء الاقتتال الكردي - الكردي وتعمل على تصعيده لتحقيق مصالح متعلقة بأمنها القومي خاصة إيران وتركيا.

فايران التي كانت تقف مع قوات مسعود

جاءت الضربة الأمريكية التي تم توجيهها إلى العراق بعد إقدامه في وقت سابق في مطلع الشهر الماضي على اجتياح المناطق الكردية في شماله لتثير تساؤلات ومخاوف في كل أنحاء المنطقة حول تصرفات وقرارات الولايات المتحدة المفردة التي تسعى إلى خلق التوتر في منطقة الخليج كمدخل لتكريس هيمنتها وتعزيز وجودها في المنطقة.

وجاءت المواجهة الأمريكية - العراقية الأخيرة بعد أن سيطر الجيش العراقي على المناطق الشمالية الكردية فقد استعاد مدينة أربيل ومدينة السليمانية كبرى مدن كردستان من قوات الاتحاد الوطني بزعامة جلال طالباني المدعوم من إيران . وأعلنت القيادة العراقية أنها اتخذت قرار إرسال قوات إلى الشمال لمساعدة قوات الحزب الديمقراطي الكردستاني بناء على طلب من زعيم الحزب مسعود بارزاني

وحشد العراق مايتراوح بين ٣٠ ألفاً و ٤٠ ألف جندي في المحافظات الشمالية ، وانسحب سريعاً من هذه المناطق بعد أن طرد اتباع الاتحاد الوطني الكردستاني وسلم

التركية تحدثت عن مسئوليات تركيا القومية في الدفاع عن التركمان العراقيين البالغ عددهم نحو ٢٠٠ ألف نسمة وقالت أنقرة أنها تخطط لبثولي هؤلاء التركمان مهمة الدفاع عن الحدود التركية من الجانب العراقي بعد انسحاب القوات التركية من الحزام الأمني . وتكون المنطقة تحت مراقبة القصر الصناعي التركي ومحطات الرصد الأرضية التي أنشأت بدعم ومساندة إسرائيل بموجب الاتفاقيات العسكرية التي تم توقيعها بين تركيا وإسرائيل في فبراير الماضي.

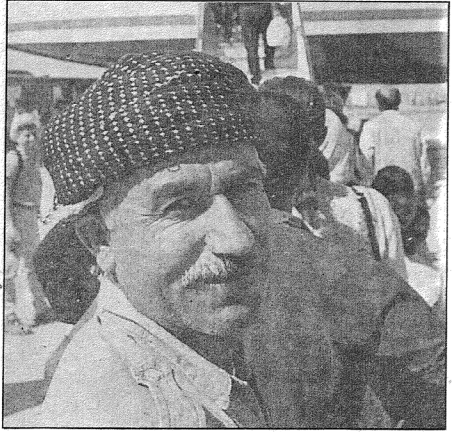
وبالنسبة لنظرة الولايات إلى المشكلة الكردية في العراق من المعروف أنها لا تريد إقامة وطن مستقل للأكراد ولا تريد تقسيم العراق خوفاً من اختلال موازين القوى في المنطقة . ولكننا في نفس الوقت خوفاً من قيام دولة عراقية قوية تحت زعامة صدام حسين تفضل الولايات المتحدة بقاء الأكراد في الشمال ككيان مستقل وهي تعطي الأكراد العراقيين دوراً مهماً في المناورات الأمريكية ضد صدام . ولذا فهي قد استخدمت كل قدرتها على الاقتناع لتتوصل إلى مصالحة بين بارزاني وطالباني بعد ما اندلعت المعارك بينهما في منتصف أغسطس الماضي .

وعندما دنا عن شمال العراق لمسعود بارزاني الذي اتصور انتصاراً حاسماً على خصمه بمساندة عراقية ، أفتتحت الولايات المتحدة بفك التحالف مع صدام والوعدة لخطورة الولايات المتحدة لو أراد أن يكون سيد الشمال ، وهو ماوافق عليه بارزاني في الزيارة العراقية التي قام بها إلى أنقرة وقابل فيها تانيسو تشيلر ومسؤول من الخارجية الأمريكية.

وعند تحليل الموقف عن كتب نرى أن الولايات المتحدة كانت راضية عن انتصارات بارزاني التي تمت بيد الجيش العراقي لأنها قلصت من النفوذ العسكري الإيراني في شمال العراق فمن الغريب أن ترك الولايات عشرات الآلاف من قوات صدام حسين تحذف إلى شمال العراق وتسيطر على منطقة كانت تعتبر بمسابات السياسة الخارجية الأمريكية العلنية منذ نهاية حرب الخليج منطقة نفوذ أمريكي بالكامل.

### أمريكا التوتر .. طريق الهيمنة

ولأن العراق لم ينتهك الحظر الجوي الذي تفرضه الدول المتحالفة لحماية الأكراد لذا فالغرضية الأمريكية التي استهدفت بعض الدفاعات الجوية العراقية جاءت هذه المرة أمريكية وليست دولية . فهذه الغرضية أظهرت



كردى عراقى يتجه

المطرفة" على ارتفاع ٣٠ ألف قدم في سما كردستان لتحول دون تخليق طيران صدام حسين فوق المحمية الكردية شمال خط عرض ٣٦ ويحلق الطيران التركي على ارتفاع ٥ آلاف قدم ليقتصف القرى الكردية تحت سيع ويصر الولايات المتحدة الأمريكية التي تنظر إلى العراق الكردي - التركي على أنه مسألة داخلية ، لذا أطلقوا يد الجيش التركي في حل هذه المشكلة لاستئصال حزب العمال الكردستاني - الذي يعد في نظرم حركة اراهابية من المناطق والجبال الشمالية العراقية المتاخمة للحدود التركية البالغ طولها ٣٣٠ كيلو متراً .

وحصلت تركيا على دعم أمريكي لمشروعها الخاص بإنشاء منطقة أمنية عازلة داخل الأراضي العراقية وعلى طول الحدود المشتركة بعرض ٢٠ كيلو متراً . وكشفت بعض التقارير عن تعاون تركي أمريكي إسرائيلي من أجل إنشاء تلك المنطقة . فإسرائيل قدمت لتركيا العديد من المساعدات في هذا المجال بناء على خبرتها وتجاربها في الحزام الأمني في الشريط المحتل في جنوب لبنان والأخطار من كل ذلك أن تانيسو تشيلر وزير الخارجية

كبيرتين في التعامل مع الوضع الكردي في العراق . فمشكلة أكرادها ليست متفجرة بصورة مأساوية على عكس أكراد تركيا الذين أصبحوا عقدة مستحكة - خاصة بعد ظهور حزب العمال الكردستاني - لا في السياسة التركية فحسب بل حتى في سياسات حلفاء تركيا ومن ضمنهم الولايات المتحدة . والدليل على ذلك أن إيران سمحت بدخول عشرات الآلاف من اللاجئين الأكراد العراقيين إلى حدودها وإلى المدن الكردية الإيرانية إثر المعارك الأخيرة في حين تخوفت تركيا من وصول اللاجئين الأكراد العراقيين حتى إلى حدودها .

وتعتدى تركيا منذ عام ١٩٩١ بصورة دورية على الأراضي العراقية من خلال العمليات العسكرية ضد عناصر حزب العمال الكردستاني الذي يقال أنها تتخذ من شمال العراق مأوى لها . وتقوم دبابات الجيش التركي بانتظام بذكر منطقة يبلغ عمقها أكثر من ٢٠ كيلو متراً داخل الأراضي العراقية مما أدى إلى تهجير الفلاحين الأكراد من قرائم التي أعادوا بناها أكثر من مرة وقتل الكثير من المدنيين . بينما تحلق طائرات قوات "

ولكن إذا سلمنا بهذا المبرر كيف تنعكس هذه الضربة سلبياً على شعبية بيل كلينتون نظراً لمعارضة دول أساسية في مواجهة العراق لهذه الضربة الأمر الذي أفضّل مشروع قرار لادانة تدخل العراق في شماله في مجلس الأمن قدمته بريطانيا - بتأييد أمريكي بالطبع بشكل أظهر الولايات المتحدة في أضعف صورها على الصعيد الدولي منذ نهاية الحرب الباردة.

وهنا يجب أن نتأكد أن هناك مبرراً آخر يقف وراء الهجوم الصاروخي الأخير على العراق . فالولايات المتحدة رغم الرض الدولي والاقليمي والعربي لاتزال مصرّة على شن هجوم جديد على العراق . فقد حشدت أكثر من ٥٠٠٠ جندي في الكويت بالإضافة لطائرات الشبح التي لاترصدها الرادارات . وحاول وليام بيري وزير الدفاع الأمريكي في جولة سريعة في منطقة الخليج إقناع كبار القادة الخليجيين بضرورة التعامل بحزم مع صدام . ان واشنطن تريد إطلاق يدها في التعامل مع العراق في وقت تجد فيه أغلب الدول الخليجية صعوبة في أن تفسر لشعوبها أن الهجمات الأمريكية لها مابريرها . فعلى سبيل المثال السعودية اليوم باتت في موقف صعب فهي تحاول معالجة قضية حاجتها لوجود عسكري أمريكي في المملكة في ظل تنامي الرض الشعبي لهذا الوجود فقد قتلت الجماعات الاسلامية الرادكالية ٢٤ أمريكياً وهددين في هجومي منفصلين بالقتال في السعودية في نوفمبر ويونيو الماضيين ضد مواقع عسكرية أمريكية.

ان واشنطن تشعر أن الأرض في الخليج تهتز تحت أقدامها في ظل تنامي إمكانية عودة العراق للصف العربي خاصة بعد قمة القاهرة العربية الأخيرة ومن هنا فهي لها مصلحة في رفع درجة التوتر في منطقة الخليج لاستمرار ربط المنطقة بها والهيمنة عليها لضمان تدفق النفط وتأمين مبيعات أكبر لصناعات السلاح الأمريكيين.

إن الولايات المتحدة بحاجة إلى التواجد العسكري في الخليج للماء الفراغ الذي خلفه خروج العراق من معادلة الأمن في مواجهة إيران بالإضافة الى القلق من أي احتمالات للتغيير في التوجهات السياسية التركية فتركيا تحوج بالعديد من الصراعات وعدم الاستقرار خاصة بعد وصول الاسلاميين الى الحكم لذا فالولايات المتحدة بحاجة إلى رفع درجة التوتر في منطقة الخليج من فترة لآخرى لتكرس وجودها العسكري وتعزيز هيمنتها بما يجعل التصعيد ضد العراق له مابيره منطقياً .



بارزاني وجلال طالباني قبل الاقتتال

ودافعت بعض الدول العربية عن حرية العراق في تحريك جيشه داخل أراضيه دون تدخل من أحد . وحتى السعودية القوة الخليجية المهيمنة لزمت الصمت على الصعيد الرسمي بشأن الهجمات الأمريكية وحرصت على أن توضح لمواطنيها أنها لم تشارك في الهجمات.

اذن لماذا أقدمت الإدارة الأمريكية على ضرب العراق على علمها مسبقاً بكل ردود الأفعال هذه؟

أغلب التحليلات التي تناولت مبررات الضربة الصاروخية الأمريكية أرجعتها إلى منطق الدعاية الانتخابية لبيل كلينتون . فهذه الضربات مزمنة للغاية ولم تسفر عن أي تغيير حقيقي في الدفاعات الجوية العراقية أو في موازين القوى الأساسية فهي رد رمزي على تحرك بغداد في اتجاه المناطق الكردية كان يحتاج إليه الرئيس كلينتون في حملته الانتخابية حيث تعرض لضغوط شديدة نظراً لعدم اتخاذ رداً حاسماً وسريعاً لغزو العراق للمناطق الكردية خاصة من خصمه الجمهوري " بوب دول".

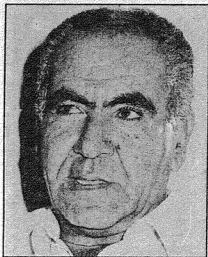
التوترات داخل التحالف المناهض للعراق الذي تشكل في حرب الخليج فلم يزيد هذه الضربة سوى عدد صغير من الدول التي انضمت للتحالف في حرب الخليج بينها بريطانيا وألمانيا . فقد جابت فرنسا وروسيا تأييدها لهذه الضربات . فلكل من الفرنسيين والروس جدول الأعمال الخاص بهم اقتصادياً وسياسياً . فقد أدى قرار مجلس الأمن بحظر التعاون مع العراق إلى الاضرار بهذه الدول بصورة كبيرة فهي كانت ترتبط بعلاقات اقتصادية قوية مع العراق . فالأخير مدین لروسيا وحدها بأكثر من ٢٠ مليار دولار . والشركات الفرنسية تنافس للعودة مرة أخرى للاستثمار في العراق بعد تطبيق القرار ٩٨٦ ( النفط مقابل الغذاء ) الذي يسمح للعراق ببيع كميات محدودة من النفط قيمتها مليارات دولار خلال ستة أشهر لشراء احتياجات شعبة الأساسية من الطعام والدواء .

واتسمت المواقف العربية بالامتناع عن تأييد الضربة الأمريكية باستثناء الكويت .

يوسف الشريف و..

مساهمة في فهم :

## السودان والسودانيين



يوسف الشريف

د. حيدر إبراهيم على

عند المقارنة بين ما كتبه الأجانب وبالأذات البريطانيين وما كتبه المصريون نجد الفرق شاسعاً في الكم والنوع. وكثيراً ما أقول بأن المصريين هم الأقرب من السودان جغرافياً ولكنهم - للأسف - الأبعد في فهم السودانين ثقافياً ونفسياً واجتماعياً. فقد كتب البريطانيون من اداريين والثنولوجيين ، وصوروا الافلام الوثائقية عن قبائل السودان المختلفة. وما زالت بعض كتبهم تعتبر مراجع أساسية.

من ناحية أخرى كان وجود جامعة القاهرة فرصة جيدة. لفهم السودان والسودانيين وبالفعل ظهرت مجموعة من الاكاديميين أبدت اهتماماً بكتابة السودان بعين مصرية، وعرفنا أسماء الاساتذة: محمد محمود عوض محمد، محمد التوبسي، عبد المجيد عابدين، محمد السيد غلاب، الصيد ، مصطفى مسعد، محي الدين عوض، طلبة عويضة، خليل عساكر، محمد رفعت رمضان، محمد زكي العشماوي، محمد حافظ دياب، صموئيل باسيلوس، كمال الدوسوقي ، شاطر البصيلي، عبد العزيز كامل. وكانت فترة صعود في العلاقات على المستوى الشعبي فقد كانت الظروف الإقليمية أيضاً مؤاتية. كانت حركة التحرر الوطني العربي في مداه والاشان العربي- المصري قد رفع رأسه وشعر بدور يتعدى الدائرة العربية رغم مركزيتها. والسودان يمثل الجسر بين افريقيا والعرب. ولكن جاءت هزيمة حزيران (يونيو ١٩٦٧) ، ثم النكسة الحقيقية: الفورة النفطية ، لتحول اهتمام الاكاديميين والمثقفين إلى منطقة أخرى، لا يقصد الكتابة والحث ولكن بهدف تأمين

بقي عدد قليل من الأصدقاء الذين يكتبون عن السودان يحب وفهم -أذكر منهم على سبيل المثال وللتقدير: حلمي شعراوي، أمينة النقاش، نسيم مقار، إجلال رأفت، أماني الطويل. ولا أعني بكتابة الحب التحيز للسودان أو ترضية ما يسمى بحساسية السودانية، بل بسبب معاشيتهم واحتكاكهم ورويتهم الواضحة للعلاقة. لقد وقعت الكتابة المصرية عن السودان بين معركتي الهيكلين. فقد كتب الدكتور محمد حسين هيكل، عقب زيارة للسودان في يناير ١٩٢٦، كتاباً بعنوان «عشرة أيام بالسودان». وقد أثار الكتاب غضب السودانيين ، حتى أن المؤرخ محمد عبد الرحيم ألف كتاباً في الرد عليه بكتاب عنوانه : «النساء في دفع الانتر» (١٩٥٣) . ثم جاء الاستاذ محمد حسين هيكل عقب أكتوبر ١٩٦٤ مقالا بعنوان : «ثم ماذا بعد في السودان؟» وأعتبره السودانيين- الذين كانوا في خضم ثورة شعبية ضد الحكم العسكري- انتقاصاً وتبخيساً لقدرات الشعب السوداني. ومن وقتها قرر هيكل الصيام عن تناول الشأن السوداني. لهذين الحديثين دلالة واضحة على غياب التحمل أو عدم التسامح ورفض الآخر. وكانت النتيجة الانسحاب المصري عن ميدان الكتابة العبيقة والمخلصة عن السودان . وترك هذا الموضوع لبعض المعلقين متوسطي القدرات والساسة الهواة والحزبيين ضيق الأفق.

الكتب مثل البشر- أحياناً- من ناحية الحظ الجيد أو السيئ . والحظ ليس صدفة باستمرار، ففيه قدر من التدبير وحسن التوقع . فكتاب الأخ يوسف الشريف : (السودان وأهل السودان) من الكتب المحظوظة لانه جاء في الوقت المناسب تماماً. فالعلاقات المصرية- السودانية في حالة انحسار لم تعرفه قبل ذلك. والمؤلم في الأمر هو أن التوتر لم يعد مقصوداً على المستوى الرسمي بل تعداه إلى التعامل الشعبي العادي في بعض الأحيان. والأثن تتكون صور ذهنية ونفسية شديدة السلبية في النظرة المتبادلة بين المصريين والسودانيين. وهذه تراكمات وعقد تنتظر المستقبل لكي تتفجر وتظهر. لذلك يجيء كتاب الشريف ليساعد في تقديم صور إيجابية ولو في الماضي، فالعلاقة الآن تحتاج إلى قدر كبير من الاهتمام القائم على المعرفة والحب. وهذا الكتاب ينضج بحب عريق، وهذا هو المطلوب الآن، فالؤلف لم يصدعنا بالحديث عن الاستراتيجية والمجربوليتيك والمصالح والمصير المشترك. ولكنه دلف بهدوء ورقة إلى شخصية الانسان السوداني والمجتمع السوداني. لذلك جاء الكتاب ونسبة قريبة للقلب، ولكنها تحرك العقل بطريقة مختلفة فالعلاقات المصرية السودانية لا تحتاج في فهمها إلى إحصائيات واستشراف وغازج فقط، بل تبدأ من الرغبة في الفهم والاحترام المتبادلين . ولكن كثيراً ما نهرب من الفهم الحلي إلى التنظيم البارد، لذلك بقي المسكوت عنه في العلاقات كثيراً ، وهو الأهم والأكثر تأثيراً.

يأتي كتاب «السودان وأهل السودان» ليكسر الصمت والاهمال الذي لازم تاريخ الكتابة المصرية عن السودان. فقد





د. حمدر إبراهيم علي

ما افتقده رصفاه من الكتاب المصريين ومن البداية ، يكشف الإهداء عن هذا المدخل: إلى أهلتنا في السودان عشاق الحرية والديمقراطية والسلام وألوان الفرح والمسررات وكل جميل ونهيل في الحياة. يستحق الحرص والتضال من أجله (ص ٥) هذه صفات تميز الإنسان السوداني ومجتمعه وهي مفتاح فهم لكل شيء في جنوب الوادي. لذلك كان الكاتب موقفاً حين اعتبر أن الوضع الحالي هو «المخرج عن النص» (ص ١١٩) فالسياق الطبيعي هو الحرية والديمقراطية والسلام. وهنا نجد خطأ آخر يقع فيه بعض الأخوة المصريين حين يعتبرون «سودان الجبهة الزاهية» من الأصل وليس الاستثناء. وبالتالي يصيح السوداني في نظره إرهابياً أو مشروراً إرهابياً، والمشكلة الأساسية أيضاً هي عدم الفصل بين الشعب وحكامه، فالسودان لديهم كتلة واحدة.. الشعب، السلطة، الوطن. ويتسبب هذا الخلط في كثير من سوء الفهم والإدراك الخاطيء.

يمكن اعتبار الفصل الرابع (ص ٢٥١-٣٣٦) من أمتع وأعمق ما كتب عن الحبس القلبي والذوق لدى السودانيين، وهذا جانب رغم أهميته ظل مهجلاً بينما هو أس الثقافة. وأرى أن هذا هو اكتشاف يوسف الشريف الذي يمكن أن يميزه ، لأن الكتاب أسكس بالروح السودانية (ETHOS). يقول واصفاً ببراعة استماتع السوداني بالفناء والموسيقى : «ومن النادر أن تلتقي بسوداني بلغت مكانته رفعة وحولاً وطولاً لا يعيش الاستماتع أو ممارسة هواية الفناء ، وتذوق ألوان الطرب السوداني " وخيف : " لكن الفناء ليس وحده متعة أهل السودان ، إذ أنهم يحرصون دوماً على التفنن في تلوين أوتيه الحياة ويحفل مفاصلها عبر ألوان محببة من الفنون والتقاليد الموروثة والعادات الاصناعية الشيقة ، وممارسة ألوان الضحك والظفر والسخرات » (ص ٢٥١) فالسوداني ليس ثقيل الدم أو مغلقاً ولكنه يحافظ على مسافات الجد والهزل بعناية. هذا الباب في الكتاب أقرب إلى دراسة إثنوغرافية أو وصف ثقافي للجوانب الفنية لدى السوداني.

وأخيراً يختم الكاتب بدعوة إلى الإدراك التبادلي كشرط لوحدة وادي النيل ، ويقول في الصفحة الأخيرة: «وبشارة نافعة .. إذ أن التفاعلات المؤسفة والقرودية لأوضاع السودان السياسية والاقتصادية وانتهالك حقوق الإنسان ، منذ انقلاب الجبهة الإسلامية عام

المستقبل الشخصي. وهكذا انحسر الاهتمام بالسودان، رغم القرارات الفوقية الخاصة بالتكامل وبرلمان وادي النيل والتي ظلت مجرد شعارات خاوية المضمون. فالتنقل بالبطاقة ساهم في تبادل تجاري ولكن لم ينعكس على التقارب الثقافي والفكري.

أعتقد أن ميزة كتاب الشريف هي العودة إلى تقليد الكتابة عن السودان من منطلق التذمة والتواضع والفهم وقبل الآخر. لم ينحاز إلى السودانيين بعاطفية ولم يقل عنهم ما ليس فيهم لانه عرفهم جيداً. فالسودانيون ليسوا حاسنين بالمعنى المرضي الذي يورده بعض الكتاب المصريين عنهم والمقصود بهذه الصفة- بطريقة غير مباشرة- عدم التضعض والانفعالية وبالذات سرعة الغضب. بل العكس ، التجارب الديمقراطية وطبيعة المجتمع السودانية البسيطة وشبه البدوية، جعلت في السودانيين مجاورين ومناقشين جيدين. وللمفارقة يرى السودانيون أن المصريين حاسسون ولا يهتمون أي نقد إذ يعتبر «إساءة لمصر» وأي تعليق ناقص يعتبر تجاوزاً على مصر. لذلك يحجم السودانيون عن «التدخل» في الشؤون المصرية رغم المعاشية. هذا يعني أن الحذر من الجانبين، ومن هنا يأتي سوء الفهم أو عدم الرغبة في الفهم. ولذلك تبقى الصور السلبية المتبادلة في فتحت الحديث عن الإخاء والعلاقات الأرتلية، توجد صور وانطباعات Images تخلو من أي إيجابية وكأننا أمام نظرة غرب لصهاينة أو العكس. والسبب هو أن السياسة ما زالت تتحكم في النظرة ، بينما الثقافة تفق بعيدة عن مجال هي الأجدى به.

حاول الشريف أن يرى السودان من خلال الثقافة والمجتمع والشخصية السودانية، وهذا

١٩٨٩ ، أسفرت لتقائنا عن نزوح ثلاثة ملايين مواطن سوداني إلى مصر .. يمارسون حياتهم الطبيعية وسط أشتاتهم المصريين إنها الفرصة السانحة والمواتية لإعادة التلاقي والحوار الشعبي المتبادل لسد هوة الغياب والإدراك المعرفي بأهمية العلاقات المصرية والسودانية " (ص ٣٦٣) تشارك الكاتب في هذه الرغبة وتنمى أن يكون الوجود السوداني الحالي - بغض النظر عن حجمه - فرصة للفهم والتقارب . ولكن ذلك لن يتم بالأمان والريغيات بل قد يتحول إلى عامل تنباعد وسوء فهم. إذ لم تتحرك التنظيمات الحزبية والشعبية وأجهزة الإعلام في التأكيد على العمل من أجل علاقات مصرية - سودانية معافاة. أخشى أن يكون الوجود السوداني في مصر يعيش الحذر أو الانسحاب أو التجاهل. وأخشى أن تكون قيمة الانسان السوداني قد هبطت بسبب ممارسة نظام الجبهة الحاكم وأن يكون " السوداني الظالم قد اخفى في المصطلح المصري. إذ لا يمكن الوجود المادي الكبير للسودانيين ، فلماذا يتحول هذا الكم إلى كيف في التفاعل اليومي الإيجابي مع الإخوة المصريين وإلى احتكاك يعقب الأخوة والمحبيمة وإلى المنافسة والكرامية .

وفي نهاية الأربعينات شهدت مصر وجوداً مزدوجاً وكان أغلب المقيمين من دعاة وحدة وادي النيل " تحت التاج المصري" أو نتيجة " الكفاح المشترك" ولكن كان هؤلاء هم أنفسهم الذين دعوا للاستقلال في داخل البرلمان السوداني . وفوجئ المصريون " بغدر" السودانيين وكانت الحقيقة غير ذلك ، فقد تراكمت مواقف كانت تعتبر صغيرة ولكنها كوت كاتجاهات أثرت على مواقف مصرية . لذلك كان مسئوليتنا تقتضي أن نبدأ من الآن وأن نوظف هذه الفرصة في مزيد من التفاهم والإدراك ندخره لمستقبل العلاقات والتي لاأصور أي مستقبل للبلدين بدون تطويرها إلى أقصى مدى.

كنت أود أن يكون ظهور كتاب الأستاذ يوسف الشريف فرصة لفكرة طرحت ثم ماتت في مهدها ، وهي إقامة ندوة تحت عنوان : "العلاقات المصرية - السودانية : من منظور شعبي " تكون محاورها ومنطلقاتها وأهدافها مختلفة عن السلسلة الطويلة للندوات السابقة . وأن تركز فقط على المسكوت عنه في العلاقة . ونجيب الأستاذ يوسف الشريف ونبادله الحب والود بل وأكثُر.

بعد الخلافات  
الآخيرة في  
حزب الأحرار

# مستقبل الديمقراطية في مصر بين مسئولية الحكم ومسئولية المعارضة

## أمانة النقاش

ومن الظواهر الملفتة للنظر، أن الطرفين لم يتحرجا من الاستعانة بأجهزة الدولة وأجهزة الأمن للتسكن من الانتصار على الطرف الآخر والتغلب عليه، وكسب الجولة لصالحه.

وكانت الأزمة بين رئيس التحرير ورئيس الحزب، قد تفجرت بعد نشر صحيفة «الأحرار» بعناوين بارزة في صفحتها الأولى، موضوعا ينسب للسيدة جيهان السادات ابنا غير شرعى من شاب غير متزوج، وفى سياق تحقيق يبينه إلى سهولة تزوير الوثائق الرسمية واستخراجها، وهو ما دفع أسرة السادات إلى الاحتجاج بعنف على الترخيص فى الزوج باسم السيدة «جيهان السادات» فى هذا الموضوع.

وتؤكد مصادر صحيفة عليمة أن نشر هذا التحقيق، قد أثار استياء جهات عليا فى الحكم، وأعتبرته تأكيدا للروح غير المسؤولة التى تنشر بها «الأحرار» بعض موضوعاتها فى الفترة الأخيرة. ولوحث هيئات حكومية بفتح ملفات قيادات الحزب التى أكدت، أن بها ما يدعوا للمساءلة القانونية، إذا لم تنته معالجة هذا الخطأ المهنى والسياسى، بتغيير فى رئاسة تحرير الصحيفة، وهو ما تم بالفعل.

وما حدث فى «حزب الأحرار» لم يكن الأول من نوعه، ولن يكون الأخير. فالأحرار نشأ كأحد المنابر الرئيسية الثلاثة داخل الاتحاد الاشتراكي العربى- التنظيم الأحدث للسلطة- التى أعاد بها الرئيس الراحل «أنور السادات» تجربة التعدد الحزبى، فى مارس عام ١٩٧٦، بعد نحو ربع قرن من توقفها

تقدمها الدولة على عضويته التى تتسم بالطابع النفعي!.  
معارض .. وحكومى .. معا

وتبرز الدوافع العلنية التى استند إليها طرف الصراع الأخير فى حزب الأحرار، جانبها من أزمة الحياة الحزبية المصرية، ومازقتها رئيس الحزب مصطفى كامل مراد.. اكتشف فجأة، أن رئيس تحرير صحيفة الحزب الذى أمضى فى موقعه حوالى عامين، لا يلتزم بسياساته ولا يعبر عنها، مع أنه هو نفسه الذى أصدر قرارا قبل عدة أشهر بتعيينه وكيلًا للحزب. كما اكتشف رئيس التحرير مصطفى بكري أن رئيس الحزب يغازل الإخوان المسلمين، وينوى التحالف معهم، مع أن الصحيفة فى ظل رئاسته، كانت منبرا من منابر الدفاع عن الإخوان المسلمين والتنديد بخصوصهم، ووصفهم بالعلمانيين الملاحدة ولقد تطور الصراع بين الطرفين، إلى الحد الذى أدى إلى صدور صحفيين باسم واحد حزب واحد على امتداد أربعة أيام، تبادل فيها الطرفان السباب والالتهامات. كما استولى رئيس التحرير المخلوع وأتباعه على مقر الصحيفة، وعقد به وبهم مؤتمرا للحزب أقال فيه مصطفى كامل مراد، وعين نفسه رئيسا للحزب.

المشكلة التى تفجرت فى حزب «الأحرار» مؤخرًا، وانتهت بأقالة رئيس تحرير صحيفته من موقعه بعد عامين من تولي رئاسة تحريرها، وتحويلها من صحيفة أسبوعية إلى صحيفة يومية، تسلط الأضواء من جديد على القيود التى تحكم الحياة الحزبية فى مصر، كما أنها تمنح التشكيك فى احتمالات التغيير عبر الطريق السلمى الديمقراطى أسلحة جديدة فضلا عن أنها تحيط بمستقبل الديمقراطية فى مصر بأجواء غير محكمة النتائج بطبيعة الحال، خاصة ولم يعد سرا أن خلافات طاحنة تسود بقية أحزاب المعارضة الرئيسية الأخرى سواء كانت الوفد أو العمل أو الحزب الناصرى أو حتى حزب التجمع وإن تباينت أشكال التعبير عن تلكم الاختلافات من حزب إلى آخر. هذا بالإضافة إلى الأزمة التى يعانى منها الحزب الوطنى الحاكم، التى تتمثل فى ضعفه وعجزه عن المنافسة، واندفاعه للتغلب على هذين العيبين، إلى الاستعانة بقوة جهاز الدولة للبقاء فى الحكم و الانفراد به، بالإضافة إلى سن مجموعة من التشريعات والأعراف والتقاليد التى تسمح له بالصعود إلى السلطة، سواء بتزوير الانتخابات، أو بتمديد حالة الطوارئ، أو بقصر الخدمات التى

ومنها. فشغل موقع منير اليمين تحت اسم «الأحرار الاشتراكيين» جنباً إلى جنب مع منير «اليسار» الذي شغله تنظيم «التجمع الوطني التقدمي الوحدوي» ومنير «الوسط» الذي شغله تنظيم «مصر العربية الاشتراكي» الحاكم الذي حل عام ١٩٧٨، وتحول إلى «الحزب الوطني الديمقراطي». وفي شتاء عام ١٩٧٧، أصدر حزب الأحرار الاشتراكيين، أول صحيفة أسبوعية معارضة هي «الأحرار» - بعد أن تحولت المنابر إلى أحزاب - التي أسسها «صلاح قبضاي» وكان أول رئيس لتحريرها. قبل أن يتم إقالته بنفس الطريقة التي أُقيل بها «مصطفى بكري»، بسبب التفتيشات، الصحيفة، وتحولت بعد ذلك إلى عدد من أشهر الاستجوابات في مجلس الشعب، مما أدى إلى ضغط حكومي. أنذر فيه حزب الأحرار، بأن بقاء «صلاح قبضاي» في موقعه، سيؤدي إلى إساءة العلاقة بين الحكومة وبين الحزب الذي كان رئيسه «مصطفى كامل مراد» زعيماً للمعارضة. حيث كان للحزب أكثر من ثلاثين نائباً في مجلس الشعب آنذاك. وخلف صلاح قبضاي في رئاسة التحرير «محمد الغلبان» ثم «وحيد غازي».

### إبتزاز مستمر

ويشهد تاريخ حزب «الأحرار» على أن القاعدة الثابتة للحركات السياسية له، هي ابتزاز الحكومة والسعي للحصول على مزيد من الابتزاز الحكومي به. وإخذ ابتزاز حزب الأحرار للحكومة اشكالا متنوعة، كان من بينها تعيين رئيس تحرير مستقل لصحيفة الأحرار هو «محمود عوض»، الذي فتح أبواب الصحيفة لعدد من الناصريين ما أحدث ارتعاجاً واضعاً في صفوف الحزب للشتاقت الذي بدا لافتاً للنظر بين ما كتبه صحيفة الحزب وبين برنامج الحزب الذي لا يرى أي تناقض بينه وبين الحكومة، فهو يدعو إلى الاقتصاد الحر، ويدعم سياسة الانفتاح الاقتصادي، ويطالب بتقليص دور القطاع العام في الاقتصاد المصري، ويرفض أي تدخل من أي نوع للدولة في المسار الاقتصادي، ويؤيد اتفاقيات الصلح المنفرد مع إسرائيل. وحتى فشلت سياسة الابتزاز بالورقة الناصرية «في الحصول على أي مكاسب من الحكومة»، أقالت قيادة حزب «الأحرار» بعد ثلاثة أشهر «محمود عوض» من موقعه كرئيس للتحرير. وأشهرت في وجه الحكومة ورقة ابتزاز جديدة هي «الجماعات الدينية» حزب

فاؤزت المرحوم الشيخ صلاح أبو اسماعيل بعد أن ترك حزب الوفد للانضمام إلى «الأحرار» وتعيينه نائباً لرئيس الحزب. ووافق «صلاح أبو اسماعيل» بعد أن استجاب الحزب لشروطه، بحذف كلمة «اشتراكيين» من اسمه الذي عرف به، وسحب موافقته السابقة على اتفاقيات كاتب دقيقد بعد أن كان مصطفى كامل مراد هو رئيس الحزب المعارض الوحيد الذي انفرد بمصاحبة الرئيس السادات في زيارته إلى القدس في نوفمبر عام ١٩٧٧، كما تم تعيين رئيس تحرير إسلامي لجريدة الأحرار هو «محمد عامر». غير أن هذه الصفقة لم تدم طويلاً، وبعد مرور ستة أشهر على إتهامها، انسحب الشيخ «صلاح أبو اسماعيل» من حزب الأحرار احتجاجاً على قرار رئيس الحزب بقبول التعيين في مجلس الشورى، بعد أن كان قد وافق قبل صدور قرار تعيينه مباشرة مع أحزاب المعارضة الأخرى على مقاطعة انتخابات مجلس الشورى. وتعيينه عضواً بمجلس الشورى، حصل مصطفى كامل مراد على الحصانة البرلمانية، التي تسع له بحرقه تحريك سير التحقيقات التي نسبت إليه ارتكاب مخالفات جسيمة أثناء رئاسته لإحدى شركات القطاع العام. ولم يلبث أن أقال «محمد عامر» ومنحه ترخيصاً باصدار جريدة أسبوعية أخرى هي «الحقيقة». ثم أعاد «وحيد غازي» رئيساً للتحرير، إلى أن أقاله قبل عامين ليعين «مصطفى بكري» بديلاً له. ويتحول اصدار «الأحرار» من صحيفة أسبوعية، إلى صحيفة يومية.

وكان من الإجراءات اللافتة للنظر استقالة وحيد غازي من عضوية الحزب، بسبب ما أساءه التغيير الفاجئ في توجهاته، حيث انتقل من حزب ليبرالي، إلى حزب ينطق بأسم الناصريين والاصوليين عبر صحيفة التي أصبحت يومية، وهو ما دفعه إلى التقدم بطلب لتأسيس حزب جديد باسم الحزب الدستوري ليوقع راية الليبرالية المثقة - كما يقول - التي تخلى عنها حزب الأحرار، ليصبح تجميعاً لتيارات مختلفة، كل همه السعي لإحداث توازن فيما بينها.

وإستناداً إلى القاعدة الثابتة التي أقام بها حزب الأحرار تحالفاته، والقائمة على ابتزاز الحكم أولاً وأخيراً، فلم يكن مبعث دهشة للدوائر الحزبية الطريقة المبالغية التي أقال بها الحزب «مصطفى بكري» من رئاسة تحرير صحيفته واستناده إلى «صلاح

قبضاي» مرة أخرى، الحزب انفرد بين أحزاب المعارضة، باستخدام الحق المنوح لها في اصدار ما تشاء من الصحف والمجلات ليحصل على ترخيص باصدار ١٦ صحيفة ومجلة، بعضها للحفاظ على التوازنات، وبعضها لزوم «الابتزاز السياسي» وبعضها لاجتبايات التمويل والمثال الصارخ على ذلك هو منح «الأخوان المسلمين» حق اصدار صحيفة اسبوعية هي «الاسرة العربية» لعدة أسابيع إلى أن تخبت الضغوط الحكومية مرة أخرى في إجبار الحزب على وقفها.

### والاحزاب الأخرى

من الظلم أن يتحمل حزب «الأحرار» وحده المسؤولية عن حالة التشوه في تحالفاته وأفكاره وبرامجه، فالعشوائية التنظيمية هي سمة أساسية ملازمة لنشأة الأحزاب القائمة. وبعد عشرين عاماً من وجودها لم يعد سرا أن جميع تلك الأحزاب تعاني من انحسار في عضويتها وفي نفوذها من السياسي، ومن خلاقات طاحنة، أدت في بعضها إلى انشقاقات سائرة، كما حدث في «حزب العمل» قبل سنوات وكما يحدث الآن في «الحزب الناصري» وكما ينتظر أن يحدث عندما تحسم خلافة رئاسة حزب الوفد، بين الجناحين المتصارعين حولها في المستقبل.

كما أن حزب التجمع الذي يبدو أنه أكثر تلك الأحزاب تماسكاً، لم ينتج من هذا الصبر، فجهزت كوادز حزبية نشطة إما ياساً أو بعياً لمعالجة الظروف الاقتصادية القاهرة، كما عطلت قيادات تاريخية من مؤسسيه نشاطها في بعض المستويات القيادية، لأسباب بعضها سياسي والبعض الآخر تنظيمي، واكتفت بالتواجد الرمزي الذي يحفظ علاقاتها الشخصية بالقادة دون أن يقودها ذلك إلى انشقاق سائر.

### المرض الرئيسي

ولا جدال في أن معظم المشاكل الموجودة داخل احزاب المعارضة، هي كلها أعراض لمرض رئيسي، هو القيود المفروضة على حق إنشاء الاحزاب وحق اصدار الصحف التي تحمكت في تشكيل الأحزاب وأدت إلى وجود أحزاب لها جماهير واضحة وأفكار مميزة وليس لها وجود على الخريطة السياسية، بينما تشغل أحزاب بلا جماهير ولا قيادات ولا أفكار حيزاً على تلك الساحة. كما أدت القيود المفروضة على نشأة الاحزاب وحق اصدار الصحف إلى منع تيارات

رتيبة كالشيوعيين والاخوان المسلمين من حق التنظيم المستقل، بما دفعهم للبحث عن مظلة شرعية للنشاط وسط الأحزاب القائمة وهو ما أوجد داخلها بذورا دائمة للتناحر والتناحر والشقاق كما أدى هذا التحكم القسري في تشكيل الأحزاب إلى اضطراب بعض هذه التيارات إلى الدخول في تحالف حزبي أو انتخابي، مؤقت، كان هو أحد الأسباب الرئيسية للصراعات الحادة التي نشبت داخل الأحزاب القائمة، والتي يمكن أن تتخفف من وظائفها، إذا ما أطلقت حرية تشكيل الأحزاب ورفعت القيود المفروضة على حق إصدار الصحف، ليصبح لكل تيار حزبي المواجه البرامج والسياسات وصحفه المحددة الواضحة.

لكن يبدو أن الفكرة التي دعت الرئيس السادات إلى الأخذ بفكرة التعددية الحزبية المقيدة، هي نفسها التي تأخذ بها الإدارة المصرية منذ تولي الرئيس مبارك السلطة قبل ١٥ عاما، وهي تقدم على طعنه الغرب والولايات المتحدة الأمريكية والدول المانحة للقروض والمعونات، أن أموالها التي تستثمر في مصر أو التي تم استدانها لن تخفض أبدا للمصادرة أو التأميم بعد فتح السوق المصري لسيطرة رأس المال المحلي والأجنبي وتحويل المجتمع المصري إلى حالة من الفوضى الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

كما أنها تأتي في سياق الرغبة الحكومية في تطبيق الحركات الجماهيرية المنظمة والمستقلة خارج نطاق هيمنة الدولة وقيمتها، وهو ما يفسر سلسلة القوانين الاستثنائية التي تصدر واحدا تلو الآخر لا لتقييد النشاط الحزبي ومحاربه فحسب، بل لتعطيل النشاط النقابي العمالي والمهني والنشاط الأهلي بمجمله، بما يحول بينها وبين العمل المنظم.

كما أن ضعف أحزاب المعارضة وانقسامها وانحسار تأثيرها وتشوشها هو عرض آخر لضعف الحزب الوطني الحاكم، الذي يشكل عتية رئيسية في مسيرة التعددية الحزبية وفي طريق التطور السلمي الديمقراطي في مصر.

فالحزب الوطني هو امتداد مشوه من حيث التكوين والحركة للتنظيم السياسي الواحد قبل بدء التجربة التعددية، دون الاحتفاظ بفضائله من العداة

للاستعمار والصهيونية إلى إقامة موازنة اجتماعية لتطبيق الهوة الأخذة في الاتساع بين من يملكون ومن لا يملكون. كما أن الحزب يستمد نفوذه من ترسيخ الطابع الحكومي له، فترأسته موكولة لرئيس الجمهورية، كما أن ميزانيته الدولة تتدخل مع ميزانيته، بدءا من منح قياداته في المدن والقرى امتيازات خدمية بسبب عضويتهم به وانتهاء باستلامه على أجهزة الاعلام القومية المقروءة والمرئية والمسموعة.

وكان من الطبيعي وقد سن الحزب الوطني قوانين تتيح له أغلبية لا يستحقها داخل البرلمان ينحصر نشاطهم على تيرير سياسات الحكومة، ولا يكون له أي فكر سياسي واضح، وأن تطمس داخله كل المعالم، وأن تنفقد تقاليده إلى قضية الاخلاص الحزبي، بعد أن تم تشكيله على أساس أنه تجميع لأصحاب المصالح الفردية، المؤهلين بحكم مصالحهم وانتائهم الاجتماعي للدفاع عن سياسات القوضي الاقتصادية السائدة، وبما ترتب عليها من علاقات مصر العربية والدولية ومن مخالفت لا علاقة لها بالمصلحة الوطنية.

**برنامج الإصلاح السياسي**  
لكن كل هذه الأوضاع، لا تعفى أحزاب المعارضة من المسئولية عن الأحوال المتدهورة التي وصلت إليها. فقد كان من الظاهر الثابت في الحياة السياسية في السنوات الأخيرة، أن الحزب الوطني كلما واجه أزمة يصعب عليه منفردا الخروج منها، مديده إلى أحزاب المعارضة واستجابت له، والظاهرة الأخرى التي لازمتها، هي أنه حين يكون لأحزاب المعارضة مجموعة من المطالب المشتركة، يصعب من النادر أن يستمر التنسيق المشترك فيما بينها طويلا، حيث ينشط الحزب الحاكم، في إصدار إجراءات لأجهاض العمل المشترك لها وسحب البساط من تحت اقدامها، أو بالقيعة بين أطرافها، أو بتشجيع الاشتباكات وسط صفوفها، أو بالترويج لمبادرات لأعضاء أحزاب المعارضة التي تختلف مع أحزابها، أو بالأفراد، بالتعامل مع كل حزب على حدة، بما يميز بين أحزاب المعارضة، ويدفعها للواجهة مع بعضها، ويبرر الشكوك بين أطرافها وداخل صفوفها.

وقبل سنوات شهدت الساحة الحزبية أشكالا متنوعة من التنسيق المشترك بين مختلف القوى السياسية حققت نجاحا ملموسا في بعض المهام التي أوكلت إليها، وأجيت الآمال في إمكانيات بناء جبهة وطنية ديمقراطية، تحشد حول عملها المشترك، رأيا عاما قويا، يضغط ويوازن الضغوط التي

يمارسها يمثلو الفئات الطفيلية في الحكم الذين يصرون على الأفراد بالحكم والبقاء على التجربة الديمقراطية في إطارها التكني المحدود، وتهبش دور الجماهير وقواها السياسية وأحزابها ونقائباتها ومنظماتها الجماهيرية.

ولعل أبرز مثال على ذلك هو مؤتمر أحزاب المعارضة المشترك في ٥ فبراير عام ١٩٨٧، الذي أسفر عن موافقتها الجماعية عن برنامج لإصلاح الدستور والديمقراطي، يثني الدعوة إلى انتخاب رئيس الجمهورية ونوابه بالاتراع العام والمحر المباشر بين أكثر من مرشح، وتخلي رئيس الجمهورية ونوابه عن انتائهم الحزبي، والغاء المادة ٧٤ من الدستور التي يتم بها ترشيح الاستفتاءات، والغاء نظام المدعي الاشتراكي، وتقدير مبدأ المسؤولية الوزارية أمام المجلس النيابي، وتقدير الحق الكامل له في تعديل المراتبة العامة للدولة وإشراف السلطة القضائية على الانتخابات العامة في كافة مراحلها وتغيير قانون مباشرة الحقوق السياسية، وإنشاء جداول انتخابات جديدة من واقع السجلات المدنية والاكتفاء ببطاقة اثبات الشخصية أو ما يحل محلها من أوراق رسمية أخرى عند الاقتراع. وأن يرفع أو يسم النائب أمام أسمه عقب التصويت، وأن تكون عقوبة تزوير الانتخابات جنائية، لا تسقط فيها الدعوى بالتقادم، فضلا عن الغاء قانون محاكم أمن الدولة، والقانون ١٢٩ لعام ٦٥ الذي يحرم المواطنين من إقامة الدعوى الجنائية المباشرة على المرفق العام إلا بأذن من النيابة العامة، والغاء قانون الانتباه وإنهاء العمل بحالة الطوارئ ورفع القيود المفروضة على المواطنين في حق الاجتماع والتظاهر السلمي ومقر الحاكم العسكرية على الجرائم على العسكريين وحدهم وإطلاق حرية تكوين الأحزاب، ورفع الرصاية عنها ومنع التدخل في شؤونها، والسماح لكافة التجمعات السياسية بالحق في التنظيم المستقل ورفع القيود المفروضة على حق إصدار الصحف، واثاحة الفرصة للشباب بممارسة النشاط السياسي داخل دور العلم.

ولكن .. ما أن حل الرئيس البرلمان وقرر إجراء انتخابات جديدة.. حتى تأسست الأحزاب هذا البرنامج تماما.

وما زال هذا البرنامج صالحا للعمل المشترك بين الأحزاب المعارضة، التي أن لها لن تدرك أنها قد فشلت منفردة في تجاوز أزمته، وأن عليها أن تسعى غير التنسيق لبعث الثقة في قدرتها على التعبير عن مشاكل فعلية، بوفي أملتية على الاستمرار والبقاء. والمظفرة الأولى نحو ذلك، هي إجراء إصلاحات داخلية في كافة الأحزاب المصرية تقوم على مبدأ الشفافية أولا وأخيرا، وتضمن سيادة روح الديمقراطية في حل الخلافات الداخلية والقائمة على خضوع الأقلية لرأي الأغلبية، وإعلاء مبدأ الكفاءة لا الولاء في تقلد المناصب الحزبية.



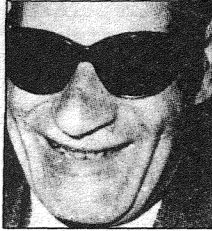
## الجامعة والمجتمع: علاقة جدلية

إن العلاقة بين الجامعة والمجتمع علاقة جدلية في أساسها، بمعنى أن ما يصيب الجامعة من تدهور قيمى وعلمى ويحتمل، هو نتاج طبيعى لما يفرزه المجتمع من سلبيات على الجامعة ودورها كمؤسسة اجتماعية تلعب دوراً وطنياً وطبيعياً في بلدان العالم الثالث، وكذلك ينافى بها مهام ثورية محورية في مواجهة قضايا مجتمعية عديدة منها: العدل الاجتماعى والحريات العامة والديمقراطية، وتشجيع النماذج الملائمة لتطور وتقدم المجتمع بما يحقق مصالح الغالبية العظمى من المواطنين.

لذلك كانت نشأة أول جامعة في مصر (الجامعة الأهلية ١٩٠٨) نشأة وطنية في الأساس، وفي ظل صعود البرجوازية المصرية، والحركة الوطنية التي وضعت أمامها هدفاً أساسياً، تكرس في الاستقلال السياسى عن القوى الأجنبية والاستعمارية، والاحتلال البريطانى خصوصاً، والدفاع عن الثقافة الوطنية في مواجهة طغيان الثقافة الإنجليزية والفرنسية، والدليل على ذلك الممارك الوطنية التي خاضتها الجامعة المصرية- بعد دمجها في الجامعة الحكومية -(عام ١٩٢٥) متمثلة في معارك طه حسين ومصطفى عبد الرازق في الثلاثينيات، ومعارك أحمد أمين عميد كلية الآداب، واستقالته احتجاجاً على نقل بعض الأساتذة، ولقد لعبت الجامعة المصرية دوراً كبيراً في الصراع السياسى والاجتماعى الذى شهدته البلاد في الثلاثينيات والاربعينيات، بل أن تكوين الجماعات الوطنية- اللجنة الوطنية للعمال والطلبة- تم داخل أسوار الجامعة.

ولقد غاب هذا الدور الوطنى والسياسى بعد تأميم دور النقابات المهنية والجامعات والمنظمات بعد ثورة يوليو ١٩٥٢، ولأن، وللدرجة التي بارك فيها رؤساء بعض الجامعات وأصحاب الرأي نقل ٦٤ أستاذاً من الجامعة إلى وظائف خارجها عام ١٩٨١، مما دعم دور السلطة السياسية في احتواء وضع الحريات العامة والحريات الأكاديمية بوجه خاص.

ولاشك أنه في ظل ظروف المجتمع المصرى الحالية، والذي يعاني من التبعية بكافة أشكالها للغرب الرأسمالى، والتخلف المعرفى والاقتصادى، ومن سوء أحوال معيشة الغالبية العظمى من أبناء الشعب،



طه حسين



أحمد لطفى السيد

## الجامعات الخاصة وتكافؤ الفرص التعليمية

يعد التعليم الخاص من أبرز مظاهر عدم المساواة أمام فرص التعليم. ففى معظم المجتمعات لا يتناسب المروض من أماكن الدراسة فى التعليم الرسمى والطلب الاجتماعى على التعليم. ومن ثم يستطيع القادرون مالياً التغلب على تلك المشكلة بأدخال أبنائهم فى التعليم الخاص، والذي يتطلب نفقات مالية لا يقدر عليها إلا أبناء الفئات المسورة، وأبرز علامات عدم المساواة الناجمة عن وجود التعليم الخاص تتمثل فيما يوفره هذا التعليم من نوعية ممتازة من التعليم فى معظم الحالات، الأمر الذى يترتب عليه أن ينافس خريجو التعليم الرسمى وخاصة فى أنظمة التعليم التى تتخذ مستوى النجاح فى الامتحانات المدرسية معياراً لمواصلة التعليم فى المستويات الأعلى. ومعنى ذلك أن الفئات المسورة التى توفر لابنائها تعليمًا خاصاً حتى مستوى الثانوى، تستأثر بقدر كبير من أماكن التعليم الرسمى على مستوى الجامعة، على حين تحتل الفئات الأخرى عدداً من الأماكن لا يتناسب وثقلها فى التركيب السكانى. ويتعمير آخر يتعلم أبناء الفئات المسورة على حساب ما يدفعه أباء الآخرين من ضرائب للخزانة العامة.

د. شبل بدران

بالقد من قبل الساسة وأساتذة الجامعات والباحثين وأقربا، في مجال التعليم. على أن الملاحظ أن مشروع الجامعة لم يكن محل نقد في نهاية الخمسينات وذلك لوقوف السلطة السياسية التي كانت تمثل الطبقة المتوسطة خلفه، وللحاجة الحقيقية للفتين من ذوي التخصصات النادرة التي لا تخرجهم الجامعات المجانية وقتئذ. وعلى أية حال، فقد توقف المشروع حيث واجه عقبات كثيرة أهمها التمويل، لكن تبقى قوانين بوليو الاشتراكية عام ١٩٦١ من أهم العوامل التي ساعدت على انزوائه إذ أن هذه القوانين رفعت مبادئ العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص التي انعكست بشكل حقيقى على طلبة الجامعة.

ومنذ مطلع السبعينيات وتحديدًا ، بعد استقرار سياسات الانفتاح الاقتصادي وتخليق شرائع وقفات اجتماعية جديدة ارتبطت مصالحها بتلك السياسة، وفكرة إنشاء جامعة أهلية (خاصة) بمصرورات تراءد الرأسمالية المصرية، محاولة إيجاد قناة تعليمية توفر لابنائها- الفاشلين دراسيا- فرصا للالتحاق بالتعليم الجامعى لتولى المناصب العليا، وإدارة شئون المجتمع، وعلى ذلك التاريخ والفكرة ويعلم ضجيجها حينًا، وتقاوم شعبيا، ثم يخفت الضجيج، لكن سرعان ما تعاود الكرة مرة أخرى.

ولكن الجدل استمر من قبل المعارضين بسبب المخالفة الدستورية والأيدولوجية والمؤيدين الذين يحاولون الاستناد للدستور لدعم حجته بأن التعليم مجاني فقط في المؤسسات التعليمية التي تشرّف عليها الدولة. أما بالنسبة لموقف مؤسسات الدولة فقد اتسم بالتخبط البين وهو ما يتضح من موقف مجلس الشعب ووزارة التربية والتعليم ورئاسة الحكومة. إضافة لعدم حسمه داخل المجالس القومية المتخصصة. ورغم أن الجدل قد توقف نسبيا لعدة أعوام بسبب موقف الرئيس الراحل السادات في عام ١٩٨٠ الداعي لإجراء انتخاب قرار بشأن هذا الموضوع، إلا أنه عاد مرة أخرى منذ منتصف الثمانينات وذلك عندما طرحت وزارة التعليم العالي عام ١٩٨٦ فكرة إقامة جامعة تكنولوجية، وعندما وافق المجلس الأعلى للجامعات في عام ١٩٨٨- بعد إقرار استراتيجية تطوير التعليم في

المصرية» مكونة من كليات أربع هي: كلية الآداب ، كلية العلوم، كلية الطب، كلية الحقوق. وبعد عشر سنوات في عام ١٩٩٥ أدمجت في الجامعة مدرسة الهندسة ومدرسة الزراعة العليا، ومدرسة التجارة العليا ، ومدرسة الطب البيطرى وحل اسم «كلية» محل اسم «مدرسة» بالنسبة إليها جميعا. ولعل إنشاء الجامعة الأهلية، كان يرتبط أشد الارتباط بحركة القوى الوطنية والسياسية التي كانت سائدة في المجتمع المصرى منذ أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، وكان على رأسها نفر غير قليل من المناضلين السياسيين الذين تغيروا القضية الوطنية في مواجهة القوى الاستعمارية من أمثال مصطفى كامل، وعبد الله النديم، ومحمد عبيد، ومحمد فريد وقاسم أمين ، وغيرهم ، من المصريين الذين حاولوا الدفاع عن الثقافة الوطنية والهوية المصرية في مواجهة طغيان التواجد الإنجليزي والفرنسي ثقافيا وسياسيا وعسكريا في مصر.

ومن هنا نستطيع القول بأن الجامعة الأهلية في مطلع القرن العشرين نشأت نشأة وطنية في ظل صعود البرجوازية المصرية والحركة الوطنية التي وضعت أمامها هدفاً أساسياً تمثّل في الاستقلال السياسي عن القوى الأجنبية والاحتلال البريطاني خصوصا. والدليل على ذلك المعارك الوطنية التي خاضتها الجامعة المصرية متمثلة في معارك طه حسين عميد كلية الآداب في الثلاثينيات مع رئيس الوزراء اسماعيل صدقي، واستقالة أحمد أمين عميد كلية الآداب احتجاجا على نقل بعض الأداسة. ولقد لعبت الجامعة المصرية دورا مبرزاً في الصراع السياسي والاجتماعى في المجتمع المصرى منذ نشأتها على أيدي الوطنيين المصريين، الذين ما فتئوا يدافعون عن حق الأغلبية الفقيرة والمحرومة من التعليم الجامعى وظل هذا هدفا رئيسيا للجامعة حتى مطلع الخمسينيات.

وخلال النصف الأول من القرن العشرين لم يطرح أحد فكرة إنشاء جامعة خاصة بمصرورات، إلا في نهاية عقد الخمسينات، منذ ذلك الوقت، تعرضت الفكرة للظهور والاختفاء عدة مرات؛ الأمر الذي كان مرتبطا

بعاله وفلاحيه ومثقفيه، ومن النشاط الطفيلي الواسع الذي تكن ثماره على حساب الغالبية الساحقة من أبناء الوطن، لا تستقيم الدعوة بإنشاء جامعة أهلية للفاشلين علميا والميسورين ماليا. لان الشواهد المجتمعية تؤكد إحقاق خطط التنمية في استيعاب الخريجين الجدد، وزيادة معدل البطالة والذي بلغ حوالى ٢٠٪ بما يعادل ٣ مليون عاطل، وتدهور العملية التعليمية في التعليم الجامعى الحالى. ومن هنا فان استقامة الدعوة يكون بتوجيه الجهود نحو تطوير وتدعيم التعليم الجامعى الرسمى وحث رأس المال الخاص على تقديم الدعم المادى لعملية التطوير.

## تطور فكرة الجامعة الأهلية

على الرغم من أن التعليم الجامعى في مصر يمكن رده إلى ألف سنة مضت منذ بدأت الدراسة في الجامع الأزهر، إلا أن ما اصطالحنا على تسميته بالتعليم الجامعى لا ترتبط خيطه ارتباطا وثيقا بالماضى، لا من حيث مواد الدراسة، ولا من حيث منهج التدريس، ولا من حيث الأهداف والغايات المنشودة من التعليم الجامعى، وذلك لاختلاف الزمان وتطور الواقع الاجتماعى والسياسى والاقتصادى للمجتمع المصرى.

ففى يوم ١٢ أكتوبر ١٩٠٦ اجتمعت نخبة من أهل الرأي والفكر والوطنية معترضة إنشاء جامعة أهلية، وكان القائم عندئذ من التعليم العالى مدارس تتبع وزارة المعارف، ولم يعض أى منذ ذلك التاريخ حتى افتتحت الجامعة الأهلية، وأُرسلت البحوث العلمية إلى أوروبا ليعود أعضاءها فيضطلعوا بالتدريس فيها، كما دعت نفرا من أساتذة الجامعات الأوروبية فظفوا مع طائفة من الأساتذة المصريين دراسات في التاريخ والآداب العربى والفلسفة والاقتصاد.

وفى عام ١٩١٧ فكرت الحكومة المصرية فى إنشاء جامعة على أن تضم المدارس العالية القائمة وقتئذ إلى إدارة واحدة تكون في الجامعة، وفى عام ١٩٢٣ تم الاتفاق بين الحكومة والجامعة الأهلية، على إدماج الجامعة الأهلية فى الجامعة الجديدة على أن تكون الجامعة القديمة نواة لكلية الآداب، وفى ١١ مارس ١٩٢٥ صدر مرسوم بقانون بإنشاء الجامعة الحكومية باسم «الجامعة

من البشر.

## قوى الرفض

تنطلق تلك القوى في رفضها لإنشاء جامعة أهلية بمصرفوات من منطلقات علي رأسها أن التعليم الخاص بكافة صوره وأشكاله ومستوياته، يقوض تكافؤ الفرص ويكرس التفاوت الاجتماعي والثقافي داخل بنية المجتمع، وإن التعليم حق للراغبين فيه والقادرين عليه معرفيا وبدون عوائق مادية أو جغرافية أو عرقية.. ويسوقون حجرات عديدة لذلك أمهها.

- أن التعليم بنص الدستور (المادة ٢٠) مجاني وتشرّف عليه الدولة في كافة مراحله. وإن ذلك يعد صمام أمان اجتماعي وسياسي، وعاملاً هاماً من عوامل تضيق الفوارق الاجتماعية والطبقية بين أبناء الوطن الواحد.

إن مصر أربع عشرة جامعة، بها العديد من الكليات في كافة التخصصات العلمية والفنية، إلى جانب مئات من المعاهد العليا الفنية بكافة تخصصاتها. وليس المجتمع في حاجة إلى جامعات جديدة أو كليات جديدة، بقدر ما هو في حاجة إلى دعم وتطوير ما هو قائم فعلاً.

-أن التعليم العالي والجامعي في مصر يعاني من مشكلات جمة في التمويل والإفناق والتجهيزات وضيق الأماكن. بل ندرتها سواء للطلاب أو لأعضاء هيئة التدريس والذين يعانون ظروفًا معيشية قاسية، والاجدر بالدولة ورأس المال الخاص الذي يستفيد من مخرجات التعليم العالي والجامعي، أن يدعم ويوفر المال اللازم لتحسين أداء العملية التعليمية في الجامعات المصرية. وإن كان هناك أهل خير يريدون دعم التعليم العالي والجامعي فإن الفائدة ستعود على المجتمع بكافة فئاته وطبقاته الاجتماعية.

-إن نسب البطالة ارتفعت بشكل مخيف وفي تخصصات يندر أن توجد في مجتمع نام مثل الزراعة والهندسة والتجارة وغيرها.. وبلغت أرقامًا مفرقة ما بين ٢٠-٢٥٪، وما يعادل ثلاثة ملايين عاطل من بين الخريجين في الجامعات. حسب إحصائيات عام ١٩٩٨، وإذا سارت معدلات البطالة على ما هي عليه، فاتها- أي البطالة- بين حملة المؤهلات في مصر ستؤدي

للجامعات، ومنهم من يرون إعادة النظر في مجانية التعليم- وترشيده-والتي سمحت للكثيرين من الفقراء بالتطلع لهذا التعليم العالي. وهناك من يشهرون سلاحهم من زاوية أخرى حيث يطالبون بالربط بين التعليم واحتياجات سوق العمل، وبهذا يتم تقليل الأعداد المتحققة بالتعليم العالي، ولاشك أن كل تلك الرؤى تعبر بجلال عن الإطار الفكري والأيدولوجي لأصحابها، وهي تنتسب إلى منظومة الفكر التبعية والمشروع التبعية برمتها والذي طرح في مصر بشدة منذ مطلع السبعينيات.

## قوى التأيد

تستند تلك القوى الاجتماعية في تأييدها لإنشاء جامعة أهلية بمصرفوات إلى حجج أمهها:

- أن هناك العديد من الطلاب يسافرون إلى خارج الوطن لمواصلة التعليم الجامعي والعالي.. وينفقون الكثير من الأموال والدولارات في سبيل ذلك، وأن توفير تلك المبالغ يسعود على الوطن بالخير الوفير.

- أن التعليم في مصر الآن، لم يعد مجانيًا، ولكنه أصبح بمصرفوات طائلة على رأسها الدروس الخصوصية والمصرفوات المدرسية.. إلخ.

-أن هناك الجامعة الأمريكية والمدارس الخاصة والأجنبية في مراحل التعليم قبل الجامعي، ومن هنا فما الضرر من مد الخط على استقامته ومواصلة تلك الأشكال والصيغ في التعليم الجامعي والعالي.

- أن مصر الآن تدعو وتتهج طريق الخصخصة وتحرير الاقتصاد، فلماذا لا يحرر التعليم والثقافة أولاً، حتى تكتمل حلقات الدائرة في الخصخصة المجتمعية؟ وما سبق يتضح أن مبررات الإنشاء لا تستند إلى أي مبرر تربوي أو تعليمي أو فني ولكن المبرر الوحيد هو مبرر فتوى، أي أن هناك جماعات أو فئات، ترى أنها طالما تلك الفئات بكافة أشكالها، فلا يجب أن يحول عائق فني أو تربوي دون تعليم أبنائها- تعليمًا جامعيًا، طالما أنها تملك القدرة المالية، بغض النظر عن تكافؤ الفرص أو ديمقراطية التعليم.. ومن هنا فيلدا من الجدارة إلى ترسيخ المساواة والعدل، يتم الشروع في الدعوة إلى التفاوت وتكريس كل ما هو سلبى وضد مصالح الغالبية العظمى

مصر، في يوليو ١٩٨٧ على إقامة جامعة أهلية وكانت آخر المواقف في هذا الشأن موافقة وزير التربية والتعليم، في أغسطس ١٩٨٩ على اقتراح تقدمت به جمعية «اقرأ» لإنشاء جامعة للعلوم والتكنولوجيا.

والشيء الأكيد أن سياسة التعليم الحالية والواردة «باستراتيجية تطوير التعليم» والتي طرحت في يوليو ١٩٨٧ عازمة على المضي بخطوات أكيدة في إنشاء تلك الجامعة وذلك استكمالاً للمشروع التبعية الذي تدور في فلكه مصر منذ مطلع السبعينيات، وهو التزاوج بين رأس المال المصري والأجنبي ورفع الدعم عن التعليم، كما تم رفعه عن السلع الضرورية للمواطن المصري، والتعامل مع التعليم بوصفه سلعة في السوق يشتريها من يستطيع أن يدفع ثمنها. والجديد في الموقف الراهن هو تقديم حجج وأهية للدفاع عن تلك الجامعة، وهو في حقيقته دفاع للفكر التبعية المتبني للمشروع التبعية في مواجهة الفكر الوطني الذي ما زال يؤمن بأن التعليم حق للمواطن ولأسبابا للفقراء والكادحين، وأن الدولة التي تشرف عليه وتتفق عليه لابد أن توفره لاتها هي المستهلك الوحيد للخرجين في سوق عملها.

## الجامعة الأهلية والفكر التبعية

يواجه التعليم الجامعي في مصر مثله مثل كثير من بلدان العالم الثالث على تعدد مستوياتها الاقتصادية، مشاكل ومطالب متعددة ومتخلفة، لعل من أبرزها ما يطلق عليه بظاهرة الأعداد الكبيرة والرافعة في التعليم الجامعي.. ومع الزيادة في أعداد الطلاب الراغبين في التعليم الجامعي وقلة الأماكن المتاحة والمحددة، مها زادت، أمام الرغبات المتزايدة، فإن الاتجاهات في مصر تتضارب من أجل البحث عن حل في فترة من التاريخ أبرز ما فيها الازمة الاقتصادية والتبعية بكافة أشكالها للنظام الرأسمالي العالمي. والدين وتبعاتها، وترتفع أصوات من يرون الحل في ضرورة إنشاء جامعة أهلية- خاصة- تستوعب أبناء القادرين الراغبين ليركوا أماكنهم لغيرهم في الجامعات التابعة للمجلس الأعلى

إلى كارثة اقتصادية واجتماعية حيث سيصل عددهم عام ٢٠٠٠ إلى نحو ٤ مليون متعطّل، وهو رقم تفاؤلي يؤكد البعض أنه قد يصل إلى الضعف.

**فاعلى معدل البطالة يقع فى الفئة العمرية ما بين ١٥ - ٢٩ سنة، وتبلغ نسبته ٢٦٪. ومعنى هذا أن ربع شباب وشابات مصر القادرين على العمل والراغبين فيه لا يجدونه، وتلك مصيبة . وكذلك ارتبط مستوى التعليم فى مصر بمستوى البطالة بطريقة مخالفة للمنطق فزيادة درجة التعليم تؤدى إلى زيادة احتمال التعرض للبطالة. والإحصائيات لعام ١٩٨٦ تؤكد أن نسبة البطالة بين الأميين ٤٪، والملمين بالقراءة والكتابة ٤,٥٪. وترتفع بين حملة المؤهلات أقل من المتوسطة -الاعدادية- مثلا إلى ١١,٢٪، وترتفع للغاية بين حملة المؤهلات المتوسطة وأقل من الجامعة ٢٨,٧٪. وبين المؤهلات الجامعية والأعلى إلى ٢٥,٢٪. وهذا أمر مفرح فالمفروض أن الشخص يجتهد فى تحصيل العلم لكي يجد فى النهاية فرصة عمل، لا العكس، والسؤال: هل نحن فى حاجة إلى جامعة جديدة بمصروفات تكسّر البطالة وتفاقمها؟! أليس فى هذا تغليب للمصلحة الخاصة على المصلحة العامة، والمفروض فى التعليم أن يحقق التوازن بين مصالح الفرد ومصالح الجماعة؟!**

إذا كان أعضاء هيئة التدريس بالجامعات المصرية يعانون من سوء الأحوال وتدنّى مستوى المعيشة . فهل ستكون الجامعة الأهلية حلما أمامهم وبدلا عن السفر والإعارة؟ ونزفا للإمكانات البشرية المتوفرة بالجامعات الحكومية والتي أنفقت الدولة على تعليمها وتدريبها الكثير من الأموال. لصالح الجامعة الأهلية المزمومة. والسؤال: من أين سيأتون بأعضاء هيئة التدريس؟ هل بالاستخدام من الخارج؟ وذلك مكلف جدا ومرهق ثقافيا وقيميا واجتماعيا.. هل بالاعارة من جامعات الدول؟ وذلك سيكون على حساب جامعاتنا التى تعاني مشكلات جمة باعتراق الكثيرين...؟ لا شك أن ذلك سيكون على حساب جامعاتنا وتفرغها من أفضل العناصر واكتفائها لأن سطرة المال هى التى ستحكم الأمر فى النهاية. إن إعداد كادر أعضاء هيئة التدريس يستغرق ما بين ١٥ - ٢٠ عاما على أقل تقدير- ولذلك ما فى الخروج من ذلك المأزق سيكون تعصيق التدنى

وتكرس مشكلات الجامعة المصرية.

تظل مشكلة التمويل رئيسية أمام إنشاء تلك الجامعة، فما تم الإعلان عنه الآن من تبرعات لا يتجاوز ٢٥ مليون جنيه، وإنشاء جامعة علمية ذات تخصصات فريدة وحديثة، كما يدعون محتاج ما لا يقل عن خمسة أو عشرة مليارات من المنهيات للإنشاء والتجهيز فى المباني والمعامل وغيرها. والسؤال: هل ستدعم الدولة ذلك ماديا؟ أم ستعنى كما هو حادث الآن؟ فتبنى وزير الاسكان المشروع وحديث وزير التعليم والقيادة السياسية بعد دعما معنويا لذلك الأمر وسيدا إطارا للشرعية المجتمعية. لأن الحديث عن الإنشاء لم يأت فقط من أصحاب رأس المال أو المتحمسين للمشروع. بل هو حديث وحديث رجالات الدولة على حد سواء.

إن هذه الجامعة لن يلتحق بها إلا أصحاب المجاميع المنخفضة . لأن أصحاب المجاميع المرتفعة ليس لديهم الدافع للاتحاق بها ودفع مصروفات تربو على ٢٥ ألف جنيه سنويا، وأمامهم فرصة الالتحاق بالجامعات المصرية ذات المكانة العالية والسعة العلمية الطيبة. إذن سيلتحق بتلك الجامعة الفاشلون دراسيا والقادرون ماليا. وتلك حقيقة لا جدال فيها، وذلك يعد هدرا للديمقراطية فى التعليم وتكافؤ الفرص وسيكون لذلك التمايز المادى آثاره المدمرة اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا فى المستقبل القريب.

وطالما أن المخصصة هى مشروع اليوم فى تحرير الاقتصاد المصرى، فإن خريجي تلك الجامعة سيجدون فرص العمل بعد التخرج بشكل أفضل من نظرائهم فى الجامعات الحكومية، ولاسيما فى مجال القطاع الخاص والمشروعات التى سوف تنبئ أبناء تلك الجامعة بحكم أنناهم.. وذلك سيكون له مردود اجتماعى وسياسى سئ فى المستقبل القريب أيضا.

### تهافت الدعاوى

إن الدعاوى التى يسوقها أصحاب ومؤيدو الجامعة الأهلية الخاصة، هى جد متهافنة ، ولا تعبر عن ضرورة تربوية أو علمية، بقدر تعبيرها عن رغبة فى التمايز الاجتماعى والمعرفى، وخلق تنوعات فى جسد التعليم المصرى واتاحة الفرصة لابنائهم لكي يحصلوا على ما يرغبون فيه بأموالهم فقط، وليس بقدراتهم وإمكاناتهم العلمية والمعرفية. فبدلا من تطوير وتحديث وتدعيم

ما هو قائم - بحكم حاجته للدعم- فى جامعاتنا، وتفتح شعب جديدة متطورة لوماكة العصر كما يزعمون. وبدلا من أن تلعب الرأسمالية المصرية الوطنية دورها الوطنى والحقيقى فى البناء الثقافى والتعليمى والتربوى- كما سبق للبرجوازية الأوروبية أن لعبته-هى تختار دور التخريب والتمايز والتشويه.

نحن إذن.. أمام اقتراح- أخذ شكل التنفيذ الفعلى- بإنشاء جامعة أهلية من المتعذر قيامها فى ضوء الخبرات التاريخية وطبيعة الرأسمالية الطفيلية التى تدعو إلى ذلك، وكذلك من المتعذر فى حالة قيامها أن يلتحق بها سوى الطلاب الفاشلين دراسيا والذين يحرقون وراء جامعات بيروت والحرموط وتركيا ورومانيا وغيرها، لكي يحصلوا على شهادات جامعية يستكملون بها الشكل الاجتماعى، على عكس المتفوقين من أبناء الطبقات الوسطى وما دونها، وعلى هذا فإن هذه الفكرة تطرح عاكسة بذلك الأفرات التى أفرزتها سياسة الانفتاح الاقتصادى وتلق طبق من أصحاب الدخل العليا وهى فى غالبيتها دخول غير مشروعة، توسعى إلى تعويض المكسبات الشعبية والوطنية فى مجانب التعليم وتكافؤ الفرص، وتلق التناقض الطبقي وتأكيد عدم المساواة بين فئات وطبقات الشعب المختلفة.

وأخيرا علينا أن ننسى دروس التاريخ من أن فكرة إنشاء أول جامعة أهلية فى مصر، تمت فى أحضان الحركة الوطنية وكفاح الشعب المصرى ضد القوى الأجنبية المسيطرة عسكريا وثقافيا وتعليميا. كانت الفكرة إنشاء جامعة لتخريج كوادر وطنية من المصريين يتقنون الدفاع عن وطنهم وقضاياهم المصرية فى مواجهة أعتى استعمار غربي شهده مصر فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين. كانت الجامعة الأهلية (١٩٠٨) مشروعا وطنيا مستقلا للدفاع عن الهوية الثقافية المصرية والعربية. أما مشروع الجامعة الأهلية اليوم (١٩٩٦) فهو يخلق فى أحضان التهميش والهيمنة الرأسمالية العالية. وعيب الديون وسياسات البنك والصندوق الدوليين . والنظام العالمى الجديد ذو القطب الواحد. المعركة الواضحة والدرس جلى، فهل من مستفيد؟!



# استقلالية الحركة النقابية العمالية

محمد جمال إمام

المخدرات المسكية والكولومبية تقوم بشراء الكثير من هذه الشركات. وتتكون هذه الشركات شبه الحكومية من مؤسسات مالية هامة ومصانع وبيوت أعمال صناعية وخدمية رئيسية تبلغ قيمتها مليارات الدولارات. ثم تنقل الصحيفة الأمريكية عن تقرير أصدره ما يسمى بمكتب واشنطن لشئون أمريكا اللاتينية في أبريل الماضي قوله: «ليس من قبيل المبالغة القول بأن أموال المخدرات تستثمر في الصناعة والأعمال المصرفية والزراعة والسياحة، وربما في سوق الأوراق المالية المسكية». فهل يعتبر هؤلاء المسؤولون الأمريكيون من قبيل العناصر الضادة، أم هل تعتبر الإشارة إلى احتمال تكرار الأمر في مصر من قبيل التشكيك والالتزام إلى زمرة العناصر المضادة؟

ومعنى هذا المسئول إلى مطالبة رؤساء مجالس إدارات الشركات التابعة له باتخاذ إجراءات إدارية وادعة تجاه العناصر التي يثبت قيامها بنشاط مخالف للوائح العمل داخل المرافق الإنتاجية» وهي عبارة يقصد بها ما جاء في الفقرة الأولى من خطاب «معالية» بأنها العناصر التي تعمل على التشكيك والمزايدة على برنامج المخصصة وما تم تنفيذه بدعوى تأثيره على حقوق ومكاسب العمال». وهو تحريض يقضى إلى حرمان عناصر عمالية نشطة من حقها القانوني والنقابي في مخاطبة جماهيرها

في أي نظام ديمقراطي يأخذ بما يسميه هؤلاء المسئولون بآليات السوق، والتي تقوم أساسا على التعددية والتنافس وتفاوت المواقف والآراء؛ أم أن هؤلاء المسئولين والنظام الذي يمثلونه يضعون على وجوه قناعا كتبوا عليه «آليات السوق» للتصويه على جهات أجنبية يحرصون على استرضائها بينما لا يزالون يفكرون ويتحركون بعقلية شمولية - يتبرأون منها علانية- تعتبر كل من يختلف مع أفكارها ومنطقاتها «عناصر مضادة» (وبالمناصفة، نشرت صحيفة «واشنطن بوست» الأمريكية في عددها الأسبوعي بتاريخ ٢٢- ٢٨ بوليه الماضي تحقيقا عن غسيل أموال المخدرات في المكسيك قالت فيه بالحرف الواحد: وفي حالات أخرى، أصبح برنامج المكسيك مخصصة بيوت الأعمال المملوكة للحكومة والذي استهله رئيس المكسيك السابق كارلوس ساليناس لجذب رؤوس الأموال الأجنبية، مجالا مفضلا بدلا من ذلك لاستثمارات ملوك المخدرات، وذلك وفقا لما ذكره جيمس موودي الذي تقاعد مؤخرا من عمله كرئيس لشعبة الجريمة المنظمة في إدارة المباحث الاتحادية الأمريكية. وتنقل الصحيفة الأمريكية عن هذا المسئول الأمني الكبير قوله: «تلاحظ إدارة المباحث الاتحادية أن منظمات تهريب

في عدد شهر أغسطس من «اليسار» أشرت في معرض حديثي عن التماثل العالي الراحل عبد الرؤوف أبو علم إلى ملاقاة من عنت شديد في عام ١٩٦٦ بسبب دعوته إلى استقلالية الحركة النقابية العمالية عن الهيمنة الإدارية لوزارة العمل. ومن أسف أننا نجد أنفسنا لا نزال ندعو، بعد ثلاثين عاما، إلى نفس ما كان يدعو إليه د. أبو علم في ذلك الحين: إلى استقلالية الحركة النقابية عن الهيمنة الادارية لوزارة القوى العاملة وأجهزة الدولة الأمنية والادارية الأخرى».

فها هو مدير المكتب الفني لوزير قطاع الأعمال العام يرسل خطابا سرا وشخصيا (يحتوى على أخطاء. تنويع وإعلانية مشينة) إلى رؤساء شركات القطاع العام في ٢٤ يونيو الماضي يقول لهم فيه: إن «الجهات الأمنية» قد أبلغته بأن هناك تحركا من «العناصر المضادة» في الأوساط العمالية مستغلة الانتخابات العمالية المقبلة.

وتنوقف أولا عند «العناصر المضادة» التي ينقلها مدير المكتب الفني لوزير قطاع الأعمال عن التقارير الأمنية: مستغربين أن يستخدم مسئول كبير يفترض أنه يعمل من أجل تهئية مناخ منفتح يساعد على ازدهار نشاط الاستثمار الوطني والأجنبي مثل هذا التعبير المباحثي لوصف نشاط عناصر نقابية تختلف مع توجهات الدولة السياسية والاقتصادية، وهو أمر يفترض أنه طبيعي

العمالية وبسط أفكارها ومنطلقاتها أمامهم بغية الفوز بتأييدهم لها في الانتخابات النقابية. كما أنه يتنافى مع ما جاء في المادة التاسعة عشرة من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي أصدرته الأمم المتحدة في عام ١٩٤٨ والتي تقول: «لكل شخص الحق في حرية الرأي والتعبير» ويشمل هذا الحق حرية اعتناق الآراء دون تدخل واستثناء الألباء والأفكار وتلقيها وإذاعتها بأية وسيلة كانت» كما يتنافى مع ما جاء في ديباجة أول اتفاقية تصدرها منظمة العمل الدولية في عام ١٩٤٨ والتي تحمل اسم الاتفاقية الخاصة بالحركة النقابية وكفالة الحق النقابي والتي صدقت عليها الحكومة المصرية فأصبحت ملتزمة بتنفيذها حيث جاء في هذه الديباجة: «وبما أن دستور منظمة العمل الدولية تنص على الاعتراف بحياة الحرية النقابية كأساس لتحسين شروط العمل والاستقرار والسلام» وبما أن إعلان فيلادلفيا (الإعلان العالمي لحقوق الإنسان) يؤكد أن حرية التعبير والحرية النقابية ضرورية للتقدم المطرد».

ولا يتكفى سيادته بذلك بل يحرض هؤلاء الرؤساء على «المبادرة باختيار عناصر معتدلة تتمتع بشعبية وتقل بأوساط العمال لدفعها للتحرر بالأساليب العمالية لدعم موقفها خلال الانتخابات النقابية القادمة» أي أنه يدعو إدارة الشركات إلى البحث عن عناصر عميلة لها والعمل على ضمان فوزها بقيادة العمل النقابي في مثأنتها. وهي دعوة صريحة تدخل إدارات الشركات على العمل النقابي وفرض أشخاص بعينهم على رأسه مستخدمة في ذلك ما تملك من أساليب الترغيب والترهيب، وهو تدخل يماثل ما جرت عليه الانتخابات النقابية في مصر طوال عقود قريبة ماضية. وكفى هذا التصدد في نذكر الجميع بأن اتفاقية منظمة العمل رقم ٩٨ الشهيرة والمساة باتفاقية مبادئ حق التنظيم والمفاوضة الجماعية والتي صدقت عليها مصر أيضا وأصبحت ملزمة بتبنيها حريًا، تقول في الفقرة الثانية من مادتها الثانية: وبصفة خاصة يعتبر من بين أعمال التدخل السابقة أي إجراء يقصد به التحريض على إنشاء نقابات عمالية يتسلط عليها إثم العمل أو منظمة من منظمات أصحاب الأعمال عن طريق تدعيم المنظمات العمالية ماليًا أو بوسائل

أخرى بغية وضع هذه التنظيمات العمالية تحت رقابة رب العمل أو...».

وفي حين أن الاتفاقية الخاصة بالحركة النقابية وكفالة الحق النقابي، تقول في الفقرة الأولى من مادتها الثالثة: «المنظمات العمال وأصحاب الأعمال الحق في إعداد لوائح نظمها الأساسية والقواعد الإدارية وانتخاب عمليها في حرية عامة، وتنظيمها الإداري وأوجه نشاطها وتحديد برامجها» كما تقول في الفقرة الثانية من نفس المادة: «تتمتع السلطات العامة عن أي تدخل من شأنه أن يحد من هذا الحق أو يعوق ممارسته القانونية»، فما هو وزير القوى العاملة يصدر في شهر يونيو الماضي قرارين متتاليين: الأول منها ينص في مادته الأولى على تشكيل لجنة مشتركة بين وزارة القوى العاملة والهجرة والاتحاد العام لنقابات عمال مصر «للإعداد لوضع مشروع تعليمات إجراءات الترشيح والانتخاب والناذج وخطوات التنفيذ للانتخابات للدورة النقابية ٢٠٠١/٩٦».

واللجنة مشكلت من تسعة أعضاء، أربعة منهم من كبار مسؤولي وزارة القوى العاملة، والخمسة الآخرون يمثلون اتحاد العمال. أحدهم الأمين العام للاتحاد والباقيون من موظفي الوزارة السابقين الذين التحقوا بالعمل في الاتحاد إما تدياً أو بعد إحالتهم إلى المعاش، وأحدهم تجارز عمره السبعين عاماً، والقرار الثاني ينص على تشكيل لجنة مشتركة أخرى تتولى تنظيم انتخابات التشكيلات النقابية، وتتكون من نفس الأعضاء مضافاً إليهم رئيس اتحاد العمال ونائبه الأول. المدهش في الأمر أن هذه ليست أول مرة تجرى فيها انتخابات نقابية في مصر، وأن تعليمات الانتخابات وإجراءاتها ونماذجها وخطوات تنفيذها موجودة بالقطع لدى اتحاد العمال، وأن الاتحاد يمتدور عن إدخال عليها من التعديلات ما تقتضيه تطورات الأمور، وإذا كانت القيود القانونية التي تكبل الحركة النقابية تتطلب أن تحمل تلك المسائل خاتم وزارة القوى العاملة، فقد كان بمقدور الوزير حفاظاً على الشكل وعلى هيبة الحركة النقابية واستقلاليتها المظهرية على الصعيدين العربي والدولي، أن يصدرها بناءً على اقتراح اتحاد العمال ودون الحاجة إلى تشكيل مثل تلك اللجان. فضلاً عن ذلك، فما هو دخل كبير موظفي وزارة القوى العاملة بانتخابات تنظيم نقابي قائم منذ أربعين سنة ولم يعد بحاجة إلى من يعلمه كيف يجري انتخابات

تشكيلاته؟.

وفي الحقيقة أننى كلما تعنت في الأمر أجد أن تشكيل لجنة برأسها رئيس الاتحاد العام لنقابات العمال بقرار من وزير القوى العاملة أمر غير مستساغ بالمرة من الناحية النقابية، ويرقى إلى مرتبة الاعتراف الواقعي بسيطرة الوزارة على مقادير الأمور في الحركة النقابية، والمؤلم في هذا الصدد أن تقبل قيادات نقابية عريقة بذلك كله، وأن تقبل أن تشارك في عضوية لجان يصدر بها قرار من وزير القوى العاملة، ورغم أنه من الناحية الرسمية والنقابية لا سلطان عليها، ورغم ما في القرار من مخالفة صريحة لنصوص اتفاقيات عربية ودولية، وأما ما يصلح في هذا الأمر، فهو أن القيادات النقابية التي تأتي بهذه الطريقة لا تجد غضاضة في كثير من الأحيان في المشاركة في التصدي في بعض المؤتمرات الدولية لما تسميه بالتنظيمات النقابية الصغراء التي تشكلت بناءً على تدخل حكومي.

على أن من الضروري أن نشير إلى أن هذه النماذج التي ذكرناها عن تدخل السلطة في الانتخابات النقابية وتبعديها على استقلالية الحركة النقابية، ما هي إلا قليل من كثير، خاصة وأننا نكتفيها قبل وقت ليس بالقصير من إجراء انتخابات الدورة النقابية الجديدة.

وخماتنا نقول أننا لمحننا كثيراً في مقالات سابقة على ضرورة التخلي عن بدعة إجراء الانتخابات النقابية في غرف مغلقة والعودة إلى التقليد الأميل بإجرائها في مؤتمرات عامة. ومن أتبع له أن يتابع المؤتمرات التالية التي عقدها الحزبان الجمهوري والديمقراطي في الولايات المتحدة لاختيار مرشح كل منهما لانتخابات الرئاسة الأمريكية التي ستجري في نوفمبر المقبل، لعل قد لاحظ مقدار مشاعر الحماس والانتفاء التي يولدها مشاركة التدينين في هذه العملية والتي يصطبغ إليها بعضهم أولاده ليشهدوا ويتعلموا الممارسة الديمقراطية، رغم ما قد يقال عن أصالتها أو اصطلاحها، ولاحظ مدى اهتمام وسائل الإعلام الأمريكية بتبنيها على أوسع نطاق لإعطاء الجماهير العامة فرصة للتعرض على مواقف المرشحين ومنطلقاتهم وتكوينه الشخصي والفكري حتى يكون الناخب على بينة كاملة من المرشح الذي يعطيه صوته، وهو ما يغيب تماماً عن انتخابات الغرف المغلقة التي تسلب العملية الانتخابية من أي طابع ديمقراطي.

# جنون البقر.. وجنون الفصمة

## رابعاً وأخيراً:

## فلنتصدى لمافيا غذاء الشعب

### عريان نصف

أل إليه الوضع في هذا المجال:

\* ٣٠٠ مليون طن، حجم الفجوة  
السكية قبل عام ٢٠٠٠.

-دراسة للمجلس القومي للزراعة والشئون  
الاقتصادية-١٩٩٤.

\* ١٦ ألف مزرعة دواجن- من  
مجموع ١٩ ألف- تم تصفيتها  
نهائياً.

-الاستاذ ابراهيم نافع- الأهرام  
١٩٩٥/١/٦.

\* ٢٥٠ ألف رأس ماشية ، وفقر  
قدره ١٨٠ مليون دولار سنوياً  
(قيمة الاستيراد السنوي للماشية  
واللحوم) ، فقدتها مصر، بتصفية  
مشروع البتلو.

-تقرير اللجنة الزراعة والرى مجلس  
الشعب-١٩٩٤.

\* ٦٦ ٪ من احتياجاتنا من  
اللبن، ٩٧٪ من احتياجاتنا من  
الزبد والسمن أصبحنا نستوردها  
من الخارج.

-التعاون الزراعى-١٩٩٥/١٢/١٩.  
والمستورد .. فاسد وضار  
بصحة المواطنين

إذا كان تدمير الثروة الحيوانية المحلية  
جرمة كبرى في حق الوطن والشعب، ارتكبتها  
مافيا استيراد اللحوم ومن يساندهم ، فالأكثر  
إجراماً أن يكون الجزء الأكبر من هذا المستورد  
فاسد وضار بصحة المواطنين من أجل الزيد  
من التربع لهذه العصابات مملأين- بل

نحمد الله على أن الأغلبية الساحقة من  
قراء مجلة اليسار، ليسوا بمن اعتادوا أن  
يسبق غذاهم «أوردقراوات» (فواتح شهية)  
مثل «شتاجيل وباركيت وجاليت»، ولا  
يحسبون شورية «الفاليزى»، ولا تتضمن  
أطباقهم أصنافاً من نوع «الفواجر» أو  
«الجامبو» .. إلخ هذه الأصناف التى نقلنا  
أسماها دون أن نعرف شكلها أو طعمها!  
ولا كانوا قد تواروا علينا وعلى «اليسار»  
التي أفردت العديد من صفحاتها-على مدى  
أربعة شهور- لهذه القضية «التافهة».  
ولكننا اعتمدنا على أن قرأنا- من  
المستعطفين في الأرض- لا يتجاوز متوسط  
حصولهم على البروتين الحيوانى مقدار ٧  
كجم في العام- وفق إحصاءات المنظمات  
العلمية الدولية المتخصصة-في الوقت الذي  
يتراوح فيه خط الفقر البروتينى ما  
بين ١٨-٣٠ كجم.

وقد قبض الله لشعبنا الطيب، البعض  
من يحرص على أن يصبره على حاله من خلال  
لوى عنق بعض المعلومات الطبية الخاصة  
بأنشراح أكل اللحوم والأمراض الخطيرة التي  
قد تصيب منها، دون أن ينتج ذلك من أكل  
«الكثري والطعمية»!

### حجم تدمير مافيا استيراد اللحوم للثروة الحيوانية

حتى نذكر مدى الدمار الذي حققته مافيا  
استيراد اللحوم في مصر- للزفاد  
بالسوق-في كافة مجالات الثروة الحيوانية  
والسكية والداجنة، مستعينة بالأوضاع  
الاقتصادية والإدارية المتواطئة معها أو  
المتهاونة تجاهها أو على الأقل التافهة لها،  
فستكتفى بعرض بعض الأرقام التي توضح ما

ومليارات- الدولارات.

وسنعرض لبعض نماذج توضح حجم هذه  
الجرمة / المأساة (ويراعى أنها مجرد أمثلة ،  
تم اكتشافها، في السنوات الثلاث الأخيرة  
فقط):

\* ١٩٩٣: ٤٦٠ ألف كجم من اللحوم  
، مصابة بفيروس «ا»، وهو شديد الخطورة  
على صحة المستهلك ومنعت المجموعة  
الأوروبية دخولها، قامت ١٠ شركات مصرية  
(في بورسعيد، والقاهرة، والجيزة، والمحلة  
الكبرى) باستيرادها.

١٩٩٤: عدة ملايين من كيلوجرامات  
اللحوم والكبد، أكدت معامل وزارة الصحة  
فسادها وعدم صلاحيتها للاستعمال الآدمي ،  
استوردها- كما ورد تفصيلاً بمجلة الأهرام  
الاقتصادية في ٢١ / ١١ / ١٩٩٤ ٤٣-  
شركة من خلال مئات الشحنات.

١٩٩٥: ٢٢٢٠ كيلو جرام، ٥٠٠  
كيلو جين، ٤٥٣٠ كيلو زبدة فاسدة، تم  
اكتشافها في شهر واحد وفي مدينة القاهرة  
فقط.

\* سلع غذائية (وخاصة لحوم) قيمتها  
١٣٠ مليون جنيه، تم ضبطها في أقل من  
عام ونصف، بعد تطبيق القانون الجديد للغش  
التجارى- كما يؤكد اللواء فخرى أبو ذكري  
مدير مباحث التمييز- منذ تهايات  
١٩٩٤.

### ليس قلة إمكانات ولكن جنون المصخصة

حتى لا نكرر عرض الكثير من الأضرار  
والأرقام التي تؤكد الإمكانات الكبيرة لمصر  
في كافة مجالات الثروة الحيوانية والسكية  
والداجنة واللبنية- والتي وردت بالأجزاء  
الثلاثة السابقة من هذا الموضوع- سنكتفى  
بالإشارة إلى بعض البحوث العلمية  
والمشروعات العلمية- التي قدمت في  
السنوات الأخيرة -والكثيرة بأفراح مصر-  
مرة أخرى- إلى سطح الاكتفاء، الذي في  
هذا المجال أو الاقتراب الكبير منه. ولكن  
جنون المصخصة، ومافيا استيراد اللحوم،  
تفتلها بالمرصاد.

(١) سلة اللحوم المصرية في  
الساحل الشمالي الغربي:

يمكن أن يصبح الساحل الشمالي الغربي،  
سلة اللحوم المصرية- وفق تغيير د. عميد  
شطا الخبير بمركز بحوث الصحراء- حيث  
تأكد من عشرات البحوث العلمية والعلمية  
صلاحية أراضيه الشاسعة للرعى وخاصة مع  
توفر المياه الطرية والجوفية والسطحية(من  
قناة بهيج).

ويؤكد أيضاً د. شيخون عز الدين  
الخبير بمعهد بحوث الاقتصاد الزراعى إمكانية  
إنتاج ٧ مليون رأس من الماشية سنوياً في  
هذه المنطقة.

## (٢) بحيرة ناصر.. بنك الثروة السمكية:

يؤكد الخبراء المصريون والأجانب بعد دراسات استغرقت عدة سنوات -امكانية أن تكون بحيرة ناصر هي بنك الثروة السمكية في مصر، فهي من أكبر البحيرات الصناعية للمياه العذبة في العالم (٣٠٠ كم + ٢ كم بمسح يبلغ ١٢٥ مليون فدان)، ويمكن أن يستخرج منها -وهي الغنية بالأسماك النيلية- ١٥٠ ألف طن سمك، بدلا من حوالي ٢٠ ألف طن حاليا.

## (٣) الجاموس البلدي، يحل أزمة اللبن:

يتبين من الدراسة العلمية ، الميدانية ، التي نال عليها د. ربيع وجب صادق أسناد الانتاج الحيواني بوزارة القاهرة، جائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٩٤، أنه من الممكن الاعتماد على الجاموس المصري (البلدي) ، القادر- حال الأخذ بالتطبيقات بهذه الدراسة- على تحقيق نسبة ٧٠٪ كإكتفاء ذاتي من اللبن

## (٤) ملايين الدواجن ، مقابل ١٠٠ ألف جنيه

تم الاتفاق عام ١٩٩٤/٩٣، بين كل من مركز الدراسات الاقتصادية بجامعة القاهرة وبين الصندوق الإجتماعي، على قيام مشروع كبير جديد للدواجن ليس كفيلا فقط- وفق ما سبق الاتفاق من دراسات- على إنتاج ملايين الدجاج ومليارات البيض سنويا، ولكن أيضا على توفير فرص عمل منتجة لطاقات الشباب العاطلة.

وكل تكاليف هذا المشروع : ١٤ مليون جنيه تقدم للمربين الشباب -كقروض- على ثلاث مراحل، ١٠٠ ألف جنيه-قطف- للمركز المشرف على المشروع للقيام بالعمليات الأولية الضرورية (التدريب، الاعلان، المعدات الرئيسية.. الخ).

وللأسف -أو طبيعة الحال- لم ير هذا المشروع النور حتى الآن.

## (٥) المكافأة والتقدير .. بدلا من الحاسية.

في الوقت الذي تغرق فيه مصر بأجيال متعاقبة من أساتذة الطب البيطري المقدرين على المستوى العالمي ، وبالئات من الأطباء والباحثين في صحة الحيوان المشهود لهم بالجدية والكفاءة:

نجد أن هناك مؤامرة من الصمت حول بحوث معهد الأمصال واللقاحات التي أكدت -وفق ما نشر بجريدة الأهرام في ١٨

## / ٢ / ١٩٩٣- أن حوالي ٦٪ من الماشية المصرية مصابة بفيروس «الميوكوزا» المدمر لمناعة الحيوان.

ثم تتضاعف خطورة مؤامرة الصمت هذه، عندما تسدل على وفاة وإصابة حوالي ٧٥٠ مواطن مصر الجحش والعصى الكلى أو الجزئي بالإضافة إلى نفوق آلاف المواشي خلال عامي ١٩٩٤ نتيجة الإصابة بمرض حمى الوادئ المتصدع الذي ينتقل من الماشية إلى الإنسان المستهلك للحوم.

ويزداد تضاعف هذه الخطورة ، عندما نعلم أن العديد من العلماء والخبراء قد أكدوا أن انتشار هذا المرض بالماشية هو نتيجة استيراد مصل حي مع تحامل المسؤولين بالهيئة البيطرية -وموافقة وزارة الزراعة- للقاح المصري «المبت» الذي كان نتيجة بحوث علمية ومحلية من كبار علماء مصر في مجال الطب البيطري واستطاع -بالفعل- تحصين المواشي وعدم ظهور المرض لأكثر من ثلاث عشرة سنة.

(وقد نشرت اليسار هذا الموضوع الخطير، بصيغة استجواب لهؤلاء المسؤولين، في عدد مارس ١٩٩٥).

.. وبالرغم من كل ذلك - بل وربما من أجل ذلك- يصدر قرار مجلس الوزراء في ديسمبر ١٩٩٥، بمد خدمة السيد / رئيس هيئة الخدمات البيطرية لمدة ثلاثة أعوام من تاريخ صدور القرار!!

## الحل .. في التصدي

التصدي لماфия استيراد اللحوم.. هو الحل الوحيد لتوفير الحد الأدنى من احتياجات المواطن المصري من البروتين الحيواني اللازم له من ناحية، ولحمايته من المخاطر الصحية المستمرة من اللحوم المستوردة من ناحية أخرى، ولإيقاف سيل تسرب الثروة المصرية في هذا المجال لصالح حفنة من محتركي الاستيراد وماфия اللحوم من ناحية ثالثة.

والمفترض أن يكون هذا التصدي شاملا ومحيطا بكل المحاور في وقت واحد.

## أولا -التصدي الاتحادي:

صدر قرار مجلس الوزراء في ٣١ / ١٩٩٦/١ ويقضي بتوفير التمويل اللازم لاجيا مشروع البتلو ولضمان جدية واستمرارية هذه المرحلة لمشروع البتلو حتى يأتي فعلا بشماره المرجوة، فإن ذلك يستوجب.

١- أن يتم التعاقد مباشرة بين وزارة التسمين والمربين، خاصة أن السيد الدكتور

وزير التسمين ، قد أعلن مؤخرا- خلال اجتماعه برؤساء شركات التسمين في ٢٠ / ٩٦- أنه سيتم الإبقاء على شركات التسمين- دون خصصتها- لحماية الأمن الاجتماعي.

٢- توسيع قاعدة الانتاج والاهتمام بتحويل صغار المربين(من سليات المشروع في الرحلة السابقة أنه كان يمول المربي الكبير بمبلغ ٨٠٠ جنيه لكل رأس دون أن يكون في احتياج إلى ذلك).

٣- التطبيق العملي للعديد من البحوث والدراسات الجادة في مجال إنتاج الاعلاف حيث بلغت الفجوة في الاعلاف- نتيجة جنون الخصخصة -حوالي ٦ مليون طن سنويا.

## ثانيا: التصدي القانوني:

بسرعة صدور قانون منع الاحتكار ، الذي أعده ويسعى جاهدا من أجل أن يصبح واقعيا اقتصاديا وقانونيا- الدكتور أحمد جويلي، منذ توليه مسئولية وزارة التسمين. وينص مشروع هذا القانون الشديد الأهمية- والذي يجب أن تساند كل القوى الوطنية (السياسية والبرلمانية والاعلامية) د. جويلي في إصراره على صدوره حماية للإنسان المصري والاقتصاد المصري-تجريم إبرام أي عقد أو اتفاق مكتوب أو شفهي بهدف احتكار استيراد أو إنتاج أو بيع أو توريد أو شراء أية سلعة- أو مادة تدخل في إنتاجها أو تصنيعها -بقصد جنيها عن التداول أو الحد من إنتاجها أو توزيعها أو عرضها أو التلاعب في أسعارها، سواء كانت الاطراف وطنية أو أجنبية أو مشتركة».

## ثالثا: التصدي السياسي:

للحد من جنون تدمير الناتج المصري والاقتصاد المصري والشعب المصري، بفتح باب الاستيراد على مصراعيه وودن أي ضوابط جادة وحقيقية، واستنفار المنتجين المحليين لمواجهة مصائب الاستيراد التي لا يعينها- أولا وأخيرا- سوى الميزد من الترفع. رابعا: ولعل تحقيق هذه المستهدفات

وهرن بقيام حركة جماهيرية- واسعة وقوية ومنظمة- قادرة حقا على المطالبة بها ومراقبة تنفيذها.

وإذا كان الدستور المصري ينص في مادته التاسعة والعشرين على أن «تخضع الملكية لرقابة الشعب».

وإذا كانت ماфия غذاء الشعب وجنون الخصخصة يهدرون اقتصادنا وحياتنا، فانا لوطنا وحياتنا ولستقبل أجيالنا، لواعون. ولبادئ دستورا، لحافظون.



## من دفتر أحوال المرأة العاملة



فاطمة فرج

ولكن أولاً -يجب علينا أن نوضح أصل هذه «المكتسبات» القانونية وسنجد أنه في ظل سياسة التراكم الرأسمالي السريع في الستينيات من أجل مشروع «التنمية المستقلة» أصدر النظام الناصري سلسلة من القوانين لاستيعاب الطبقة العاملة في مشروعاتها من ضمنها تشريعات تساوى بين المرأة والرجل في حقوق العمل. ولكن لم تترجم هذه القوانين على أرض الواقع.

حيث لم يستوعب القطاع العام حتى الآن غير ٤,٣٪ من عماله النساء وظل تركيز عماله النساء في هذا القطاع في الأعمال التي لا تحتاج إلى مهارات عالية-أي الأعمال ذات الأجور المنخفضة.

و لكن سريعاً ما باتت التنمية المستقلة بالفشل حيث لم يرتفع مستوى الانتاجية إلى درجة ارتفاع الأجور وتسبب ذلك في انخفاض ربحية القطاع الصناعي واشتعلت الأزمة بعد ٦٧ مما أدى إلى التراجع عن «العقد الاجتماعي»، بين الدولة والطبقة العاملة في ظل محاولة النظام إدماج الاقتصاد المصري في النظام الرأسمالي العالمي.

ولقد أدت هذه التطورات إلى زيادة إفقار الطبقة العاملة وزيادة معدلات البطالة مما يؤدي بدوره إلى ضغط الأجور وتخفيضها. ومن الملاحظ أن هذه الظروف الاقتصادية القاسية والتراجع المستمر في مستويات الدخل والعيشة دفع بأعداد هائلة من النساء إلى

أنا شغالة كل يوم على ماكينة من ٧٣٠٠ الصباح لـ ٧ أو ٨ بالليل، ولو أتأخرت عن المكثة دقيقة أخذ نص يوم خصم.. والأجارات عليا.. باشتغل بالحفة ويعمل ٧٠٠ لـ ٨٠٠ تى شرت في اليوم باتعب قوى.. وكثير ضهري يوجعنى بس الواحد خد على كده.. المشكلة انهم بييجوا آخر الشهر ويغالطونا في الحساب.

داليا - ١٧ سنة

شركة مصر تايران للملابس المجاهرة- شبرا

بهذه الكلمات تقدم داليا نموذجاً لما تعانيه أعداد كبيرة ومتزايدة من عاملات مصر اللاتي يقعن فريسة سهلة لرأس المال الذي يبحث دائماً عن عمالة رخيصة وطبيعة ومنتجة.

وإتساقاً مع هذا الواقع يلغى مشروع قانون العمل الموحد المواد القانونية التي تعطي للمرأة العاملة بعض الحقوق وإن كانت حقوقاً نظرية قليلاً ما تتمتع بها في الواقع.

ومن المحير أن نجد أوساط اليسار والمهتمين بقضايا المرأة عموماً مشغولين بهذه التغيرات المقترحة على مستوى القانون ويشنون حرباً شعواء من الكلام حول «الهيجوم على مكتسبات المرأة» دون الالتفات أن هذه «المكتسبات» لا مكانة لها في حياة معظم النساء العاملات في قطاع الانتاج وهذا ما سنحاول توضيحه في هذا المقال.

## في القطاع الخاص:

## إمضاء على

## ورقة استقالة

## مقدما..

سوق العمل لمساعدة الأسرة على تحمل الأعباء المتزايدة.

وطبقا للمتاح من الاحصائيات فان هناك ٥٤٥٪ من العاملات يعملن في قطاع الزراعة والصناعات الصغيرة والقطاع غير الرسمي، وتقتل المرأة العاملة ٢٩٪ من قوة العمل و ١٢٪ من العمالة الصناعية ويستوعب القطاع الخاص ٣/٢ النساء العاملات بينما لا تضم وحدات القطاع العام سوى ٤٢٪ فقط والقطاع الحكومي ٢٨٪.. وأيضا تشير دراسة عن اتجاهات عمالة النساء في مصر بين عامي ٦٠ و ٧١ .. فصانع القطاع الخدمي هي الأكثر استيعابا للنساء.

يقول أحد المستثمرين الكنديين: «بدأت مشروعا للملابس الجاهزة في مصر حيث استورد النسيج وأصدر الملابس الجاهزة وبيعها بأنى أساسا من مزاي اليد العاملة الرخيصة، ولا يعمل في مصنعي سوى النساء من سن ١٧ إلى ٢٥ قبل الزواج تخجينا للمشاكل كما أن صغر سن النساء يعنى أن لديهن طاقة كبيرة والنساء أسرع في الإنتاج من الرجال ويسهل التعامل معهن.. ويعملن في مصنعي تتوفر لهن فرصة العمل، ويدونى ما يتيح لهنهذه الفرصة».

وإذا كانت هذه وجهة نظر صاحب رأس المال فالعاملات وجهة نظر أخرى تحكيها العاملات في عدد من مصانع الملابس الجاهزة، تلقى الضوء على القصة المروعة لهذه الخدمة الجلبلة التي يقدمها القطاع الخدمي لعاملات مصر..

تقول إحدى العاملات بشركة لمماريت بشيرا : (المواعيد الرسمية من ٨: ٥ ويشغلونها وردية مسائي من ٥: ٨ ، أى

نعمل لمدة ١٢ ساعة وحسب الاجر اللى يتاخذ ٨٠٠ جنيه في الشهر تاخذ على الساعة ٤٠ قرشاً وأكثر العاملات خيرة لا تتعدى أجورهن ١٧٠٠ جنيهًا. وفى نفس الوقت يأخذ المشرف ٣٠٠ إلى ٥٠٠ جنيه و ٥ جنيه على الساعة الإضافي). وتحكى عاملة أخرى عن مشكلة الجزاءات فى هذه الشركة فتقول: «لما رن الجرس بتاع الاستعداد وطبت اعدل الطرحة لقيت المشرف بيقولى ٢/١ يوم جزاء. ورفضت أمضى وبدل ما يحققوا معاء رفعاوا الجزاء إلى يوم» وتقول عاملة أخرى وهى تركز على داخل مصنع -مصر تايوان- بعد الساعة الراحة «لازم أكون على الماكينة الساعة» بالضبط لأخذ نصف يوم جزاء مع أنهم يمكن يأخرونا وقت المراح». وفى مصر -تايوان ٢٠٠٠ عاملة تقريبا

تعمل العاملات في معظم خطوط الانتاج بالقطعة ويختلف الأجر من «مرحلة سهلة» بقرش «لمرحلة صعبة» بقرشين. وتقول العاملات انهن لا يستطعن إثبات حقوقهن في نهاية الشهر وتقول إحداهن : «أنا باقى حاسبة أنى حاذق ٢٠٠ جنيه مثلا والاقهيم بيدونى ١٦٠ جنيه.. جعل ايه؟ وتقول أخرى في «لمماريت» قالولنا: «مرة ممكن تظلموا مديونين للشركة كمان».

وفى الشركة الأخيرة الأجر ثابت وهناك اجازة سنوية ولكن فى الشركات لا توجد اجازات عارضة أو مرضى.. «حتى لو الست تحوله تأخذ الاجازة السنوية أو اجازة بأذن يعنى خصم اليوم بيوم». أما الثانية بدون إذن فيكون جزاؤها خصم يومين ولو احتاجت لاي سبب ان تعتذر العاملة قبل ميعاد العمل ٢٠٠ جنيه على نصف يوم. ويمكن للمشرف خصم ال ٦ على شهرها المخصصين للانتظام وتقول عاملة «خصم الانتظام يحرق قوى لالتك ممكن كل يوم تروحى مثلا ٨ بالديقة ويوم واحد تروحى متأخرة دقيقة واحدة فينسب الخصم».

أما العقود والتأمينات فتلك قصة أخرى . فمن يتم توقيع عقد معه لابد أن يوقع أيضا استمارة ٦ أى الاستقالة. تقول إحداهن: «قالولى أمضى.. مضيت على طول ما أنا عابرة اشتغل». وعن التأمينات تقول عاملة فى لمماريت: «لما بيجي بتاع التأمينات بيطلموا البنات غير المؤمن عليهن على السطوح وأنا بادفع ١٠ جنيه في الشهر للتأمين لكنى لو سبت الشغل-ماقدرش أقدمهم لو مش متجوزة... طب لو متجوزتش يحصل إيه؟». وتقول أخرى غير مؤمن عليها فى -مصر تايوان- «تأمينات ايه هما لسة

هيخصوا حاجة ثانية من المية؟ بلاش .. هذا بالإضافة إلى ورقة الاستقانة التى يمكن أن يعطيها أى مشرف عاملة تنفصل.

## أمراض المهنة

والظروف الصحية داخل المصانع سببة للغاية حيث تعاني العاملات في مصر تايوان من الصداع وضعف السمع بسبب صوت المكن بالإضافة إلى آلام الظهر والعيون بسبب الورير والتركيز لفترات طويلة . ووصل الأمر فى شركة لمماريت إلى أن صاحب العمل جمع من العاملات جميعا ٢ جنيه لشراء مراوح لتخفيف الحر فى العنابر؛ وعموما تشير العاملات فى الملابس الجاهزة أن مصانع البلاستيك- التى تستخدم النساء بكثافة أيضا- تكون نسبة الإصابة فيها أعلى بكثير بسبب طبيعة العمل والمكن. «واحدة صحتنى كانت شغالة على «كسارة»- ماكينة تقطن قطع البلاستيك إلى بودرة- فى مصنع الماكينة أخذت إيديها وصاحب المصنع دفع العلاج بس مفيش موضعي طيبا».

## البعض يفضلونها عاملة

لماذا يفضل أصحاب العمل النساء؟. ترد عاملة فى لمماريت فتقول: «لأن الستات تعرف تقعد على المكن فترات طويلة.. الست صبورة زهر الرجل يرقق بسرعة وهيا متعوده على النوع ده من الشغل». وبشكل غير مباشر تضع عاملة فى مصر تايوان يدها على سبب آخر : «الرجاله بتأخذ على الشغل بالضبط أكثر من الستات ب ١٠٠ جنيه وده علشان الرجل مسئول عن بيت والست بتساعد بس» وتوافق كل النساء اللاتى تكلمنا معهن على حق الرجال فى أجر عملهم وتقول واحدة «هذا متواضع.. ممكن يقبلوا أبة حاجة» وهذا يتوافق مع بل يكسر حلمهن أن يجدن أزواجهن يستطيعن إعفان عن من عب العمل والمكوث فى المنزل وتقول داليا «نفسى التجوز واحد قادر يقعدنى فى البيت».

إذن صاحب العمل يحصل على عمالة صورة وقوة ونصف الثمن.. بلاش!.. وعند نزولنا للشركات كان من الملاحظ أن معظم العاملات صغيرات فى السن أى ليست لديهن خبرة طويلة فى العمل داخل المصانع ومن تعمل من الصبا كانت تعمل فى ورش أى فى ظروف مختلفة لا تنمى الوعى الجماعى.

وتشير بعض التجارب الاحتجاجية لهؤلاء العاملات إلى قلة وعيهن. «المشرف عندنا

# تهريب العاملات إلى السطوح عند حضور مندوب التأمينات

## تمثيل المرأة العاملة

## في اللجان النقابية

## غائب!!

يلتفتون إلى هذا القانون. أصلاً وعندما سألتهم عن هذا «الكتسب» بالذات ضحكوا منى وقالت واحدة: «يا حلاوة يعنى يشغل الست وكمان يعمل حضانة.. هو احنا لاقين حته تنف فيها فى المصنع لما هيعملوا حضانة» وإضافت أخرى: «ده إذا كان مفش نقابة ولا صندوق زعامة حيكون فيه حضانة.. وإتضح من الحوار أن معظم الأمهات العاملات يودعن أطفالهن فى حضانات منزلية بـ ٣ لـ ٥ جنيه فى الشهر.

ولخصت عاملة ملامر تيات الكلام حول قضية القانون بقولها: «عندنا فى حجرة الأمن ورقة كبيرة مشروطة مكتوب فيها قانون تشغيل النساء وفيها حاجات كثيرة ويشترطها وتضحك لان مفش حاجة فيها بتطبق خالص».

ويرى بعض المحللين أن القوانين المجففة لحقوق المرأة والى لا تراعى إيجابياتها فى الوضع والحضانة هي محاولة من قبل الدولة المازومة اقتصادياً لتهميش دور المرأة فى الانتاج. وبنى المذكرة التفسيرية لمشروع القانون الموحد- تلاحظ صفا، زكى أنه تم إضافة النص التالى لتفسير المادة ١٣٢ «يجوز للعاملات أن تنتهى عقد العمل سواء كان محدد المدة أو غير محدد المدة بسبب زواجهن أو حملهن أو إجهادهن» وتقول المذكرة «وذلك لتشجيع العاملات عند انتهاء علاقة العمل... لرعاية الأسرة فى المجتمع المصرى».

ولكن الواقع يقول غير ذلك. فالظروف الاقتصادية الطاحنة تجتم على المرأة أن تخرج للعمل مهما كانت الظروف صعبة ومؤسسة الأسرة تدعمها الأسبالية فى الأيديولوجيا السائدة ولكن فى حالة مصر فى الأعرام التالية يمكن أن نقول أن ذلك ليس هدفه إبقاء المرأة بالمنزل ولكن لضمان خروجها للعمل بشكل موسمى وأن تقبل شروط أكثر إجحافاً عن الرجل بحجة أنها «تساعد فقط» وأن دورها الأساسى بالمنزل.

فالواقع والقانون يقولان للمرأة أعملى ولكن فى أكثر الظروف اضطهاداً واستنزافاً وإبضا كوتنى المستولة عن إعادة انتاج الطبقة العاملة.

إذا أردنا أن ننسب ونطور قضايا المرأة العاملة علينا أن نبدأ فى المصنع... فى مكان عملها ونواجه المشاكل الفعلية التى تعانى منها ويحث إمكانية تطوير أشكال التضامن فى العمل فى مواجهة رأس المال وليس التركيز على القوانين.

«تغيب أعمال النساء» غير المدفوعة الأجر من كل الإحصائيات مثل: الأعمال المنزلية ورتبية الأطفال وجزء كبير من عملها فى القطاع غير الرسمى.

ضرب واحدة صغيرة (١٣ سنة) وكان عايز بطورها قلنا نعمل استقالة جماعية وننزل بيها للإدارة.. بس فيه بنات رفضوا.. الى حجتوز وعندها أقساط جمعية.. نسوا أن ده ممكن يحصل لنا كلنا». وتؤكد العاملة أن المشرفين يقومون بارهاب العاملات: «يقولوا لهم دائماً اتنوا شغلتم مئ صعبة ويمكن نجيب أى حد ثانى». وتضيف عاملات مصر تاويان: «يعنى حتمعل إيه ما احنا الى جايين وطالين شغل بتكلم مع المدير ويس».

لم تسمع أى من العاملات عن النقابة حتى كمجرد فكرة. وتشير دراسة لعائشة عبد الهادي سكرتيرة المرأة العاملة بالاتحاد العام لنقابات عمال مصر إلى ضالة نسبة مشاركة المرأة فى التنظيم النقابى حيث لا تقل إلا ٣.٠٦٪ من اللجان النقابية و ٠.٠٨٪ من النقابات العامة وصفر٪ من المجلس التنفيذى. ولكن نحن نسأل: كيف يكون هناك تمثيل للنساء فى نقابة تعيق بكل السبل مشاركة أى عمال بها وتكفيها هنا الاشارة إلى قرار السيد راشد الأخير برفع الحد الأدنى لانشاء لجنة نقابية من ٥٠ إلى ٢٥٠ والذي يغلق فرص انشاء لجان نقابية فى المصانع الصغيرة فى الوقت الذى يزداد فيه هجوم رأس المال على العمال. ثم ما هى مصلحة هؤلاء العاملات فى نقابة تدعم سياسة الدولة ورأس المال الذين هما أصلاً سبب بلاءتهن.

ولكن هناك اشكال جنيته بين هؤلاء العاملات للتضامن، مثل جمع الفلوس لعاملة مريضة، أو فى حالة طلب الاجازة للعاملات لكى يتنصق للإدارة أن العاملات الاخريات مستعدات لتحمل عبء العمل فترة غياب زميلتهن.

هل هناك أى أمل فى تجاوز هذه الأوضاع فى قانون العمل الجديد؟

تقول صفا، زكى الحامية: قانون العمل الموحد تعبير عن اعتماد الدولة لسياسة إعادة التكييف الهيكلى والمخصصة، جاء ليؤكد على أن هذه السياسة تتسم فى إطار استبعاد الجمهور الواسع صاحب المصلحة فى صياغة السياسة التى ستحدد مصيره لسنوات كثيرة قادمة.. ويأتى متراجعا عن مكاسب الفئات

العاملة ومن ضمنها النساء العاملات». وهذه حقيقة مؤسفة. ولكن هناك حقائق أخرى قائمة حتى قبل صدور قانون العمل الموحد. فالمقارنة بين القانون الخاص بالقطاع العام رقم ٤٨ لسنة ١٩٧٨ والقانون ١٣٣ لسنة ١٩٨١ الخاص بالقطاع الخاص، يكشف أن العاملات فى القطاع العام يتعنن بمميزات لا

على هاتين الصفتين نعرف القارئ بأحد ما تصدره المطابع العربية من عناوين .. لنختار منها ما يضيف إلى مكتبته، أو يحاول قراءتها في المكتبة خانة العمومية.. وتلفت نظر الناشرين العرب الذين يرسلون إلينا باصداقهم ،إلى أهمية ذكر أثمان بيع الكتب ، ليكون القارئ على نور قبل الشراء..

صلاح عيسى

- ☐ الكتاب: السرد السينمائي.
- ☐ المؤلف : فاضل الأسود.
- ☐ الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب/ ١٩٩٦.
- ☐ ٣٩٦ صفحة / قطع كبير.

تقدم هذه الدراسة دعوة ملحة للبدء في تأسيس مشروع نقدي سينمائي جديد، لقصور أدوات النقد التقليدي وعجزها عن معالجة النص الأدبى السينمائي، وفي رأى المؤلف أن هذه الأدوات تعتمد على مرجعيات تجاوزها الزمن، وخاصة بعد الكشف العلمية الحديثة، في مجال البصريات والضوء.

وعلى العكس من النقد التقليدي، فإن النقد السينمائي الحديث كما يقول المؤلف ينفي الادعاء بان نظرية السينما تنبع من داخلها ويدعو للاستعانة بأدوات ادبىة ومعرفية اضافية، منها - فضلا عن البصريات والضوء - علم النفس والفلسفة والنقد الادبى واللغويات. وهو ينظر إلى النص السينمائي بوصفه وحدة عضوية واحدة ومتراصة. وعلى العكس منه، فهو يتجاوز جانب سببية الاداءات -وتسلطها لتركز على آليات السرد وتطبيقات المعالجة الزمانية وتجليات المكان، باعتباره عنصرا فاعلا في مسار العمل، وليس مجرد خلفية للاحداث.

وناقش المؤلف اطروحاته النظرية في النصف الأول، بينما يخصص النصف الثانى لتطبيقاتها على أربعة أفلام روائية بينها فيلمان طويلان هما «تاجى العلى» و«عاطف الطيب» والمواطن كين «له أوسون ويلز» وفيلمان قصيران ، هما «حكاية الأميل والصوره» لـ «مذكور ثابت» و«الفلح الصريح» لـ شادى عبد السلام، يرى المؤلف أنها تتميز بأسلوب غير مألوف فى السرد السينمائي.

- ☐ الكتاب: : الصينيون المعاصرون/ جزآن.
- ☐ المؤلف : ووين. ترجمة : د. عبد العزيز حمدي.
- ☐ الناشر: سلسلة عالم المعرفة/ الكويت/ ١٩٩٦.
- ☐ ٣٢٦ صفحة / قطع متوسط. ثلاثة

جنيهاً للجزء .  
تخرج مؤلف هذا الكتاب فى قسم الفلسفة بجامعة نانكين عام ١٩٨٢، وهو يعمل باحثاً بمركز للابحاث الفلسفية، يهتم اهتماماً خاصاً بالابحاث المتعلقة بالشخصيات القومية للشعوب. وفى هذا الكتاب، الذى صدر فى جزئين عن سلسلة عالم المعرفة، التى يصدرها المجلس الوطنى للثقافة فى الكويت، يركز المؤلف على الأصول الفكرية والاجتماعية، التى تشكل شخصية الشعب الصينى، وينقل لنا تجربته فى التعرف والتنمية، باعتبارها محصلة تفاعل بين الثقافة الكونفوشوسية التى تقل أصوله، والثقافة الغربية التى تمثل صفة المعاصرة فيه، ويكشف عن أهم العوامل التى أدت إلى نجاح تجربته التنموية.

ويستعرض الكتاب فترة الانتقال فى الصين من القديم إلى الجديد، وما ترتب عليها من مشاعر قلق وهواجس، وما أدى إليه خروج الشعب الصينى من مرحلة عبادة الأبطال إلى عبادة الشخصيات التجريبية، من إعادة تصوير للشخصيات المثالية للأمة الصينية، ثم ينتقل إلى الرؤية المركبة عند الصينيين المعاصرين، وكيف تطورت الشخصية الصينية عبر حركة التحديث.. والكتاب إطلالة هامة على شعب ذى حضارة عريقة، لعب فى التاريخ الإنسانى، بما فى ذلك التاريخ المعاصر أدواراً بالغة التأثير.

- ☐ الكتاب: لطيفة الزيات ،
- ☐ الأدب والوطن.
- ☐ تحرير: د. سيد البحراوى.
- ☐ الناشر : نور (دار المرأة العربية للنشر) ومركز البحوث العربية/ القاهرة ١٩٩٦.
- ☐ ٢٤٠ صفحة قطع كبير جدا
- ☐ ٥٢٢سم x ٣٠سم. عشرون جنيها مصريا.

اشترك فى تأليف هذا الكتاب ٣٥ كاتباً وأديباً عربياً من مصر ولبنان والعراق وفلسطين والمغرب وسوريا والأردن، وهو يضم أعمال ندوة بعنوان «الأدب الوطنى- نحو صياغة جديدة للعلاقة بين الكتابة والسياسة»، عقدها مركز البحوث العربية بالقاهرة، فى أكتوبر ١٩٩٥ وأعداها إلى د. لطيفة الزيات، منسابة بلوغها السبعين، واختصها بالمحورين التطبيقيين فى أعمال الندوة، التى درست وناقشت أعمالها الادبىة والنقدية، كنموذج للعلاقة بين الكتابة والسياسة وبين الأدب والوطن. كما شملت كذلك شهادة ثمانية من المبدعين، عن تأثيرها الخاص والعام.

وفى المحور النظرى، تناولت الندوة العلاقة بين الكتابة والسياسة عبر ستة أبحاث، استعرضت تطور علم الجمال فى النظرية الماركسية، كما عكس المحور الأخير- الوطن فى الأدب المعاصر- احساساً بالتشاؤم لأن الابداع المعاصر فى معظمه قد قل اهتمامه بالوطن والسياسة وانحصر فى هموم الذات. أخراج انيق وجليل للفنان عدلى رزق الله الذى صمم الغلاف ونسق الصفحات الداخلية.





- الكتاب: عزيز عيد/ طائر الفن المحترق.  
□ الكاتب: صفاء الطوخي.  
□ الناشر: مطبوعات المسرح الكوميدي (٧).  
□ ١٥٥ صفحة / قطع متوسط.

هذا هو الكتاب السابع من سلسلة «مطبوعات المسرح الكوميدي» التي بدأ المخرج عصام السيد إصدارها- بشكل غير دوري- منذ توليه إدارة المسرح. وهي سلسلة من الكتب المتنازعة تهتم بنشر مختارات من تراث المسرح الكوميدي في مصر. وينش دراسات تاريخية ونقدية عن أعلامه وقضاياها.  
وفي هذا السياق نشرت السلسلة نصين للمؤلف «أمين صدقي» ونصاً ليبريم التونسي، وآخر عن منيرة المهدي، قدمت لها مقدمات تحليلية تصنيف الكثير من المعلومات عن النصوص وأصحابها...

وينظر هذا الكتاب إلى عزيز باعتباره أول مخرج مسرحي معناه الحقيقي في مصر. خلق تياراً مسرحياً، وظل يكاغف لكي يصبح فن المسرح في مصر فناً حقيقياً. ويستعرض عشقه للمسرح الذي بدأ في عام ١٩٠٤ مع فرقة القرداجي، ثم محاولته لتقديم فن مسرحي مع نجيب الريحاني وجورج أبيب، في مواجهته موجة الفنون الهابطة التي سادت في الحرب العالمية الأولى. إلى أن بدأت فرقة رمسيس التي بدأ معها مجده الحقيقي، قبل أن يستقل مع زوجته فاطمة رشدي مسرح مستقل، يستكمل على خشبته تأكيد تقاليد المسرح، والتجديد في أسلوب الإخراج المسرحي... إلى أن مات وحيداً.. مهملًا.. منسياً حتى اليوم.

- الكتاب: المقاومة وارهاب المكر الصهيوني.  
□ المؤلف: صافيناز كاظم.  
□ الناشر: مركز بانا للدراسات والابحاث/ القاهرة ١٩٩٦.  
□ ٨٠ صفحة / قطع كبير/ أربعة جنيهاً.

الكتاب الأول الذي تصدره اللجنة العربية لمساندة المقاومة الاسلامية في لبنان، وهو يضم مجموعة من المقالات والدراسات التي نشرتها الصحف والدوريات العربية، للكتابة الكبيرة صافيناز كاظم. يدور القسم الأكبر منها عن الصراع العربي/ الاسرائيلي، باعتباره- كما ترى الكاتبة- صراعاً ضد الاسلاميين والمسلمين من خلال صور قلمية لاثنتين من شهداء المقاومة الاسلامية ضد الارهاب الصهيوني هما فتحي الشقافي و«راغب حرب»، واثنتين من أبطال المقاومة الاسلامية التاريخيين هما «صلاح الدين الأيوبي»، وأم الشهداء «زينب بنت علي». وهو قسم، ربما لا يشير لدى القارئ، أي خلاف مع المؤلف.

أما القسم الآخر من الكتاب، فهو يتضمن غاذج من اشكال المقاومة، التي تقارنها صافيناز كاظم ضد من تسميهم بالعلمانيين والتغريبين والتنويريين مهزومي الروح، وهو قسم سوف يشير معارضة كثيرين، أشك في أن يجسر أحد منهم على إعلانها.

- الكتاب: تكوين مصر عبر العصور.  
□ المؤلف: محمد شفيق غربال.  
□ الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب/ مكتبة الاسرة ١٩٩٦.  
□ ١١٢ صفحة/ قطع متوسط/ جنيه واحد.

بعكس «هيرودوت» الذي كان يرى أن «مصر هبة النيل»، فقد كان «محمد شفيق غربال» يرى أن «مصر هبة المصريين»، وهذا الكتاب الصغير، واحد من المحاولات القليلة التي قام بها مصريون لتتظير التاريخ المصري، واكتشاف الفلسفة النوعية لتطوره، ومؤلفه هو مؤسس مدرسة التاريخ المصري في الجامعة، وهو يحاول في هذا الكتاب تطبيق نظرية التحدي والاستجابة، التي يفسر بها «توينبي» التاريخ، على تاريخ مصر في مختلف العصور، باعتباره أنه نتاج لتحدي المصريين للعوامل الجغرافية والتاريخية، التي كانت تحيط بهم..

صدرت الطبعة الأولى منه عام ١٩٥٧، وظل مختفياً لمدة تقرب من أربعين عاماً، إلى أن صدرت له مؤخرًا طبعتان الأولى عن سلسلة تاريخ المصريين والثانية عن مكتبة الاسرة.



# احمد صالح الدين

كنت- كفيري- نتوقع هذه اللحظة ونكرهها.. لحظة رحيل «أحمد بهاء الدين» عن عالمنا، بعد أن غيَّبه عنا هذا المرض اللعين منذ ست سنوات. علمت بخبر الوفاة من الصديق «طارق البشري»- وكنا معا على شاطئ العريش- فدخلت في حالة من الصمت، توالى خلالها عديد من الذكريات بدءاً من الخمسينات والستينات، عندما تعرفت على «الأستاذ بهاء» كقارئ وأنا ما زلت طالبا في الجامعة، ثم كصحفي يبدأ حياته العملية تحت رئاسته في أخبار اليوم في يناير ١٩٩١.

حسين عبد الرازق

< ٣٨ > اليسار / العدد الثمانون / أكتوبر ١٩٩٦

إلى عالم الصحافة. ويفضله بدأت «كاتب عمود»، أي من النهاية التي يسعى إليها كل صحفي.

## العروبة .. العروبة

توثقت علاقتنا بسرعة. واستمتعت بمناقشاته التي كانت تدور حول كل قضايا الوطن وحكاياته وأحاديثه التي فتحت أمامي عالما واسعا في «الساسة والثقافة والفن والبشر». ورغم تخصصي في أفريقيا، فقد كان حديث الوطن العربي يحتل مكانا بارزا دائما في أي لقاء معه، في العمل أو خارجه. وقدسني في ذلك الوقت لكثير من الشخصيات العربية.

في سبتمبر ١٩٦١، وقع الانفصال في سوريا وعلى غير العادة لم يترك بها مكتبه في الثانية ظهرا وواصل العمل. اقتحت عليه المكتب لا نقل إليه خيرا استمعت إليه لخطبها. فوجئت بأحمد بهاء الدين يبكى هزتي المفاجأة وعقدت لسائتي. فكثفت دموعه بسرعة وسألني عن الأخبار. كان في يده بيان تأييد للانفصال من ضمن الموقعين عليه «صلاح البطار» صديق بهاء وواحد من قادة حزب البعث ودعاة الوحدة العربية !.

## لا .. يا شيخ

كان العمل مع «بهاء» والتعامل معه فرصة لدروس عديدة مهنية وأخلاقية. أذكر أننا انعقاد المؤتمر الوطني للقرى الشعبية عام ١٩٦٢ تمهيدا لإصدار ميثاق العمل الوطني، أن نقاشا حادا دار بين الأستاذ أحمد بهاء الدين وأحد الشيوخ الأجلاء الذين شاركوا في هذا المؤتمر وشنا هجوما على حقوق المرأة وتجرحها. ورد بهاء بمقال جميل عنوانه «لا .. يا شيخ» عبرت عن إعجابي بالمقال والأفكار التي وردت فيه. ودار نقاش على موقف هذا «الشيخ» وأفكاره ورد بهاء. وقال لي أن مراسل أخبار اليوم في لندن بعث له برسالة تعرضت لابنة «الشيخ» التي تدرس في لندن وأسلوب حياتها التحرر، مرفقا بصورة لها مع بعض زميلاتها وزميلاتها من العرب والأجانب في مرجهم وسهراتهم. ليستخدمنها في رده على «الشيخ». ورفض «أحمد بهاء الدين» بالطبع استخدام الرسالة أو الصور. فالخصومة مع «الشيخ» خصومة فكرية وسياسية- إذا جاز التعبير - لا يجوز أن تستخدم فيها مثل هذه

اصطحني استاذي وصديقي «محمد عوده» إلى مكتبه وقدمني له ورشحني للعمل معه في الصحافة.

رحب بي بأدبه وهذونه المعتاد ترحيبا حذرا. وسرعان ما تلاشي هذا الحذر بعد أن تكررت اللقاءات بيننا في مكتبه أسبوعيا. خبرني بين العمل في الشئون العربية أو الأفريقية وشرح لي مميزات وعيوب العمل- مهنيًا- في كلا المجالين واخترت الشئون الأفريقية.

وفي كل أسبوع اقترح عليه موضوعا وبعد الاتفاق على الموضوع وكتابته، أعرضه عليه ليقرأه ويبدى بعض الملاحظات ويكلفني إعادة الكتابة. وفي الأسبوع التالي أكتب موضوعا جديدا. وهكذا لعدة أسابيع متتالية دون أن يفسر لي أي شيء.

في الأسبوع الأخير من أبريل أبلغني أن مقالتي عن كينيا سينشر في العدد القادم من أخبار اليوم. فوجئت بعمود صغير (٤٠ كلمة) منشور في الصفحة الثانية من أخبار اليوم تحت عنوان «في أفريقيا» وعليه توقيع. كان المقال الذي قدمته يتجاوز ١٢٠٠ كلمة. قرأت العمود فاذ به كل الأفكار الأساسية للمقال، وينسج الالفاظ والعبارات.. وذهبت للقائه في المكتب. ما وإن دخلت حتى سألتني «معك سجاير» وأجبت «ما بدخشن» ضحك قائلا «دخن في أقل من سنة» ثم سألتني «معك ربع جنبه» وأجبت «بالإيجاب». كان «بهاء» قد نسى السجائر والمحفظه والقلوس. المهم أشتري عليه سجائر كليوباترا، وأغلق علينا الباب، وأمضى معي ساعة ونصف يشرح لي بأساذية حقيقية الأخطاء التي وقعت فيها صحفيا، والفرق بين المقال والعمود، وكيفي بناء الموضوع، وفي نهاية «الدروس» أبلغني أنه ابتداء من هذا العدد سأكتب عمودا أسبوعيا في حدود ٤٠٠ كلمة تحت عنوان «في أفريقيا». وضحك قائلا: إنت كاتب عن كينيا- المقال الذي تحول إلى عمود- وكأنك ستكتب عنها لآخر مرة، حشدت كل ما لديك من معلومات عنها. ونسيت أنك ستكتب عنها خلال هذا العام ٢٦ مرة على الأقل. وهذا ما حدث فعلا.

بالطبع لم تكرر هذه الجلسة التعليمية الطويلة بعد ذلك ولكن الدروس التي كان يقدمها لي في كل لقاء أو حديث، ومن خلال كلمات قليلة معبرة، كانت هي بداية طريقي



محمد عوده



فيليب جلاب



د. ابراهيم سعد الدين

كان هناك دائما في العلاقة مع أحمد بهاء الدين تداخل شديد بين الخاص والعام. في بداية حياتي الصحفية كنت لعدة سنوات تلميذا لبهاء- وما أزال- ورموسا له. وفي نفس الوقت كان بالنسبة لي صديقا وأخا أكبر. ويستحيل الفصل بين الخاص والعام بالنسبة لبهاء، فهما وجهان لعمله واحدة، فالتكامل في شخصيته حقيقي تماما.

## كل ما عتده للشباب

بدأ تعارفي المباشر معه عندما

## مواقف حاسمة

### لنقيب الصحفيين

#### أحمد بهاء الدين

#### من مظاهرات

#### الجامعة وفصل

#### الصحفيين

(لم يكن عدد الموقوفين على هذا الطلب قد تجاوز العشرات حتى هذه اللحظة). وأن هذه الجمعية العمومية لتقابة الصحفيين- إذا عُدّت- ستكون في مواجهة السلطة، خاصة في مناخ الهزيمة... ودفع على صيرى إلى إتخاذ قرار بتجميد قرار الفصل من العمل والاعتكاف. بقرار سابق بالنوع من الكتابة.

#### العدوان

وتوالي التجارب والمواقف، وفي كل يوم يضيف بهاء قيمة جديدة .

وكما كان لبهاء- نقيب الصحفيين- موقف حاسم إلى جانب حرية الرأي، وفهم واعى لأحداث الجامعة ولظواهر الطلاب بعد صدور أحكام الطرمان عام ١٩٦٨، وأصدر مجلس نقابة برئاسته بياناً هاماً حول هذه الأحداث أغضب السلطة الناصرية (وهي القصة التي حكاهها الصديق صلاح الدين حافظ سكرتير نقابة حينئذ ونشرها في الأهرام)، كان له موقف حاسم أيضاً، عقب الصدام بين السادات والصحفيين والكتاب والمثقفين، وإصداره لقرارات لجنة النظام في ٤ فبراير ١٩٧٣ بفصل عدد من أبرز الصحفيين من الاتحاد الاشتراكي، ومحاولة فصلهم من العمل. كانت القائمة تضم ٦ من أعضاء مجلس نقابة الصحفيين(يوسف ادريس- مصطفى نبيل- مكرم محمد أحمد- محمود المراغي- أمينة شفيق- كمال سعد)وعدد من أبرز الكتاب منهم أحمد عبد المعطي حجازي، فليب جلاب، محمد عوده، حسين عبد الرازق، فريدة النقاش، عبد العال الباقوري، محمد العزبي، لويس عوض».

كتب بهاء عموده في الأهرام تحت عنوان «بدا من العنف المتبادل» حول هذه القرارات . ووقعت المفاجأة المذهلة من الرقيب بناء على تعليمات السادات نشر المقال، وأصدر السادات- عبر لجنة النظام ١٠ من كيار وشباب الصحفيين إلى مصلحة الاستعلامات، وتصدر اسم «أحمد بهاء الدين» هذه الأسماء. كان الحكم قد فقد العقل تماماً. فالنظام الذي يتخذ اجراء مثل هذا ضد أحمد بهاء الدين، نظام فاقد للشرعية.

ورردنا - نحن المصولين- على هذا

السلطة الفاسدة، وأن يتم التشهير بقاعة تعيش بعثتها بطريقة طبيعية انسانية لا تشين، تقتحم حياتها الخاصة لمجرد اظهار التناقض بين القول والفعل في موقف والدها الشيخ، وتقدم للرأى العام وكأنها ترتكب خطيئة.

كانت الموضوعية والاستقامة ورفض التجريح الشخصي في الخلافات الفكرية والسياسية، جزءاً من شخصية وموقف أحمد بهاء الدين.

#### حكمة بهاء

في عام ١٩٦٣ انتقلت من العمل في اختيار اليوم للعمل في الجمهورية، وانقطعت صلة العمل بأحمد بهاء الدين، أقصد العمل المباشر معه، فقد استمرت العلاقة الشخصية- كان بهاء أحد شاهدين على عقد زواجي عام ١٩٦٤ من فريدة النقاش- والنقابية والسياسية، وأيضاً علاقة العمل بصورة غير مباشرة.

مثلاً في عام ١٩٦٤ وعقب الصدام العسكري بين الجزائر والمغرب في «كولب بيشار» سافرت مبعوثاً من الجمهورية إلى الجزائر لتابعية الموقف. ما كدت أصل إلى الجزائر حتى انتهت الصدام السلح. وركزت على قراءة وفهم الأوضاع الداخلية في الجزائر، وكانت الأحداث في الدخول تتطور بسرعة مذهلة. تصادف وجود لطفى الخولي وأحمد بهاء الدين في الجزائر في نفس الوقت، والثقتنا أكثر من مرة، وساعداني في فهم الموقف الجزائري، والصراعات والخلافات بين قادة جبهة التحرير وطرح بهاء أمامي جوانب عديدة للوضع في الجزائر وجهتني لأجرا. اتصالات بذاتنا. في النهاية كتبت مقالاً في الجمهورية حول خلافات العام الأول بين القوار والمعارضة حمل نوعاً من التوبة حول ما جرى بعد ذلك عام ١٩٦٥ من استيلاء بومدين على السلطة، وطرحته على القارئ في مصر لأول مرة حقائق ما يجري داخل الجزائر.

عقب هزيمة يونيو ١٩٦٧ القيت عدة محاضرات في الاتحاد الاشتراكي (الذي- السيدة السوس..) حول الاستثمار الجديد والعدوان على مصر. كنت وقتها أعمل في نشرة الاشتراكي التي تصدرها أمانة الدعوة والفكر وأمينها كمال الدين رفعت، واحاضر حول تجارب التحول الاشتراكي في العالم الثالث في المعهد الاشتراكي وأمينه الصديق د. ابراهيم سعد الدين.

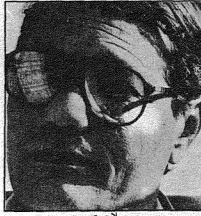
بعد أسابيع استعدت للتحقيق في الاتحاد

الاشتراكي بتهمة «هجومى» على القيادات السياسية والعسكرية وتحميلها مسؤولية الهزيمة في يوبنه. وتصادف الأمر لاستدعائي مرة أخرى ليحقق معى الأمين العام للاتحاد الاشتراكي وقتئذ «عبد المحسن أبو النور» ثم يصدر قرار من اللجنة التنفيذية العليا بفصل من الاتحاد الاشتراكي والتنظيم الطبيعي «طليعة الاشتراكيين» بتهمة تخريض العمال والفلاحين على الثورة. ثم أرسل الأمين العام للاتحاد الاشتراكي إلى رئيس مجلس ادارة دار التحرير (الجمهورية) يطلب فصل من العمل، على أساس أنني فقدت عضوية الاتحاد الاشتراكي، وهى شرط لممارسة العمل.

أثار هذا القرار غضب وعقل عديد من الصحفيين، واتفق بين أحمد بهاء الدين والصديق فليب جلاب (رحمهما الله) أعد فليب طلباً بعقد جمعية عمومية طارئة لنقابة الصحفيين وقعه وعدد من الصحفيين وسلمه لأحمد بهاء الدين. وطلب بهاء مقابلة عاجلة من الأمين العام للاتحاد الاشتراكي «على صبرى» الذى عين قبل أيام بدلا من محسن أبو النور. وفي هذه المقابلة أبلغه أن هناك ثورة في صفوف الصحفيين ضد فصل صحفى من عمله لمجرد فقدته لعضوية الاتحاد الاشتراكي.

وأن معه طلباً من ٤٠٠ صحفى يطلب عقد جمعية عمومية طارئة لمناقشة هذا الأمر





صلاح عيسى



فريدة النقاش

## اختلف مع «الأهالي» بتقدير واحترام

واقسحت له صفحاتها لنشر مقاله الذى رفضه الاهرام

### اللقاء الآخر

واقضى الأيام ، وبها ، هو هو نموذج للعدائية والاستقامة والمصادقة مع النفس والحماس للجديد .

ولم يكن ممكناً أن نفكر فى إصدار مجلة "اليسار" دون أن أرى أحمد بهاء الدين وأعرض عليه الفكرة وتخطيطها والخارج اعتذرت وحاولت القيام ولكنه العداء الأول . واستقبلنى فى مكتبه بالأهرام .

وكان مقبلاً على الحديث معى بصورة غير عادية . تنقل من موضوع إلى آخر . من الخاص إلى العام . وعندما تعطل زواره فى الخارج اعتذرت وحاولت القيام ولكنه العداء

يستيقظنى فى كل مرة . وفاجأنى حماسه الشديد لفكرة مجلة "اليسار" وللاسم الذى اخترناه لها . وشجعتنى ذلك على أن أطلب منه أن يكتب لنا فى العدد الأول الذى يصدر

بعد أسابيع فى مارس ( ١٩٩٠ ) ، ووافق على الفور . وحدد لى موعداً لاستلام المقال طالباً منى الاتصال به قبلها بيومين لتذكيره بالموعد .

واتصلت به فى المنزل وأكد لى أن المقال سيكون جاهزاً خلال ٤٨ ساعة . ولم أتمل هذا المقال أبداً . ولم أر "أحمد بهاء الدين" بعد ذلك ، فقد داهمه هذا المرض فى اليوم

التالى ، وغاب عنا طوال هذه السنوات الست ، تمشيتنا جالفاً - نحن تلائمنا الذى يصدر - بأمل فى معجزة الشفاء ، إلى أن رحل عن دنيانا الفاتية ، تاركاً وراءه رداً لا يقضى من الكتابات والمعانى والقيم والدروس .

مقالاً تحت عنوان " حوار مع أحمد بهاء الدين وصلاح حافظ .. عفوا لقد ظلمتما المعارضة وظلمتما الحقيقة " وكان رد فعل بهاء ايجابيا للغاية ، وبدا ذلك واضحا فيما كتب بعد ذلك عن الانتخابات وعن خالد محبى الدين .

ثم وقع خلاف بين الأهالي وأحمد بهاء الدين ، عندما سافر الزميلان فريدة النقاش وصلاح عيسى إلى ليبيا ، وأجريا حديثاً طويلاً مع "القذافي" نشر فى الأهالي . وكان من أهم الضربات الصحفية والسياسية فى ذلك الحين . وإن آثار مشكلة داخل حزب التجمع ، وتعرضت الأهالي بسببه لمجلة تشهير فى الصحف القومية شارك فيها كل كتابها تقريباً .

بعيدا عن هذه الحملة ، كتب أحمد بهاء الدين فى الأهرام معرباً عن أسفه لأجراء هذا الحديث مع القذافي ونشره . واختار صلاح وفريدة أن يرداً على أستاذنا أحمد بهاء الدين برسالة بعثا بها إليه . وفى احترام وتقدير نشر بهاء معظم الرسالة فى عموده " يوميات " وعلق عليها بود واحترام رغم استمرار الخلاف .

وعندما منع عمود لبهاء من النشر فى الأهرام وأحس أن ضميره يرفض عليه أن يرفض هذا المنع ، وأن يعمل على نشر كلمته فى أى مكان ، اتصل بى فى الأهالي

الجنون بتوجيه ضربة إعلامية للسادات. نجح أحد الزملاء فى الحصول على جمع عمود بهاء (سلخة الجمع) مؤشراً عليه من الرقيب "لا ينشر" وأرسلت هذه السلخة إلى الصديق «عسان شراوة» رئيس تحرير مجلة «البلاغ» اللبنانية، لينشر صورة «السلخة» بتوقيع الرقيب على الغلاف ، ونص المقال المنوع فى الداخل وجن جنون السادات ووطناته . فلم يكن أحد يعرف لماذا نقل بهاء إلى الاستعلامات .

### خلاف .. وحوار

وخلال رئاستى لتحرير صحيفة «الأهالي» ( مايو ١٩٨٢ - يونيو ١٩٨٨ ) كان هناك أكثر من تجربة مع " أحمد بهاء الدين " .

عشية الانتخابات البرلمانية الأولى فى عهد مبارك ( ١٩٨٤ ) ، والتى تمت بالقائمة النسبية الحزبية المشروطة ، كتب بهاء فى عموده " يوميات " يقول إن البرامج التأسيسية لكافة الأحزاب متشابهة ، وطالب بأن تقدم كل منها برنامجاً انتخابياً للسنوات الخمس القادمة يحدد مواقفها من القضايا المطروحة فعلاً .

وكتب " صلاح حافظ " فى الجمهورية وكلاماً مشابهاً مدنياً أحزاب المعارضة . وأحسننا فى الأهالي والحزب بالظلم . وقررت الرد على بهاء وصلاح حافظ وكتبت

أحمد بهاء الدين

# الاشتراكي الديمقراطي العقلاني



الكاتب الكبير مع حفيده بهاء

## فريدة النقاش

خطيرا يحكم حياتنا الآن بصورة قاسية: «مصر بلد يحكمها ويربط بينها جهاز حكومة منذ آلاف السنين، وانهيار مقاومة هذا الجهاز كارثة يصعب حسابها بالملايين والبلاتين...» (١).

وهو يعتذر عن اضطراره بسبب ضرورات النشر الصحفى- إلى تجزئ المشكلات والقضايا.

«فيبدو أن النشر بهذا الشكل الجزأ عن كل فرع من الفروع الصغيرة لا يوضح لبعض القراء أنها فروع من مشكلة كبرى متفارقة ومتضخمة» (٢).

ويقول فى مجال آخر:

«فخطة لإصلاح التعليم لن تنجح إلا كجزء من خطة عامة أشمل» (٣).

وتتسم هذه الرؤية الشاملة المستفاد دائما من التفاصيل الواقعية لا التجريدات النظرية بعيد نظر نفسى، وعمق فى التحليل يحرص على عدم استبعاد أى عنصر حتى لو كان صغيراً أو قليل الأهمية من العناصر المكونة

فكرية شاملة سياسية اقتصادية ثقافية.

يتحدث عن «أعص الأخبار» وهو سرقة ثلاثة آلاف فيلم، كلها أفلام تسجيلية وتاريخية نادرة تسرق من المركز القومى للسينما فيقول: «ليس لأن سرقة هذه الأفلام هى سرقة لتاريخ وذاكرة شعب ووطن، وليس لأنها تجعل حياتنا القريبة مجهولة، وكأنها حدثت من العصر الحجري مثل ظهور التسجيل السينمائي».. ثم يقول: «هل صارت مكونات المجتمع والدولة مستباحة إلى هذا الحد المأساوي؟ ألا توجد إرادة لوقف هذا الانهيار؟»

لقد ضرب المرض فى كل النفوس ، بصراحة ، صار المصريون فى حاجة إلى علاج. المأساة طرأها الدولة والمواطن معا . ويقول فى عمود آخر، مستخلصا معنى

«أحمد بهاء الدين» صحفى وكاتب من ذلك النوع النادر الذى يحظى بما يشبه الإجماع على امتداد الزمن ليصبح عموده الصباحى فى الأهرام لسنوات طويلة مرجعا ومعيارا يشابه التوجيه اليومي لمئات الآلاف من القراء الذين منحوه ثقتهم لأنه لم يستخف أبدا بعقولهم كما يفعل الكثيرون من كتاب الأعمدة الثابتة، بل إن بهاء حرص بصورة حازمة على أن يستفز العقل ليعمل، ويستدعى المنطق ليكون أداة فى يد هذا العقل الذى يؤمن الكاتب بقدراته وسلطانه، وينفى بحسم استعصاء أى قضية على قدرات هذا العقل إذا ما تخلص من الأوهام والخرافات.

ولعل أبرز ما يلفت النظر فى كتابته عموما وعموده القصير خصوصا هو هذا التجلي الباهر للوعى بالتفاصيل، والقدرة على التقاطها وإضافة المعلومات إليها وتحليلها تحليلًا عميقًا واستخلاص دلالاتها الأشمل فتخرج هذه التفاصيل من إطار الثرثرة لتندرج كأجزاء صغيرة من منظومة



في فكره الوطني:

ارتبط الاستقلال

بالسيادة القومية

«وبعد أربع سنوات من المحنة يتبدد الظلام، ويلتفت المصريون جميعاً باحثين عن نصيبهم من نور السلام، من المبادئ الرنانة التي تنادي بها أمريكا بلسان رئيسها ويلسون، والتي لم يتكشف زيفها بعد (٧)». ثم تحيي الأحداث بسرعة، لتعجل بالانقسام، فما أن يضع الوفد قدميه في باريس حتى تعلن أمريكا خيانتها لكل مبادئها التي تشددق بها، وتتعترف رسمياً بالحماية الانجليزية لمصر... (٨).

وهو يبني هذا الموقف من أمريكا الذي يتواصل في كل كتاباته على أساس القراءة العلمية لتاريخ الاستعمار القديم والجديد، وحين يغير بعض التفاصيل في موقفه بعد ذلك شأن تأييده لاتفاقيات كامب ديفيد - وإن يتحفظ - أو مطالبته للفلسطينيين بقبول مبادرة ريجان التي لم تتأسس على قرارات الأمم المتحدة الخاصة بالقضية الفلسطينية كان يفعل ذلك تأسيساً على تقديره لاختلال موازين القوة لغير صالح القضية العربية في ذلك الحين، أي انطلاقاً من نظرة واقعية عملية لا تضحي بالممكن المتاح من أجل

فهو يعطي نفسه وعواطفه لكل ما هو إنساني نبيل وتقدمي ومستنير، وتفيض هذه العواطف إذا ما اقترب الحديث من الشعب ومن الكادحين عامة تنصرف لغته الأدبية وترق حينئذ.

«وعدت قرية دنشواي لوحة قاسية تعبر عن حالة مصر كلها، أمة مسلوكة مسوقة إلى حتفها تلهب ظهرها العالي سباط الاحتلال، وتنشس لحمها المتمزق غربان المصالح الاقتصادية الأجنبية، وطارت أنباء دنشواي في القطر الهاجع تهز النائم وتوقظ الغافل، وتشير بأصبع من الدم إلى حاضر أسود ومستقبل مجهول» (٥).

ولعل منهجه في كتابته التاريخ أن يفتح لنا الباب واسعاً للتعرف على جذور التوجهات الاشتراكية الديمقراطية في فكره.

فالصراع السياسي يتأسس على الانقسام الاجتماعي الطبقي وموازن القوة تقوم لا فحسب بين الطبقات، ولكن وفي حالة البلدان المستعمرة بين مجموع القوى الوطنية والمحتل، وبمدي ما تتنازع الطبقات المالكة أو القصر إلى المحتل أو إلى الشعب بقواه الوطنية تبرز لديها توجهات وطنية ديمقراطية، وحين تتعد عن الشعب وتتحالف مع المحتل يكون الاستبداد عنوانها.

يتحدث عن الجيل الذي خرج منه مصطفى كامل بعد هزيمة الثورة العربية فيقول مشيراً إلى نقطة الضعف الرئيسية في توجه الزعيم الشاب: «لقد خرج هذا الجيل إلى الوجود والوعي ليجد أن إنجلترا هي الخصم الرئيسي، وهي التي تستغل مصر وتستبد بها، فظنوا أنها الخصم الوحيد، لم يشهدوا استبداد العرش والأتراك بالمصريين ليكرهوه كما كرهوا استبداد الانجليز، ولم يشهدوا قصة كفاح المصريين المرير ضد الخديوي حتى استعان الخديوي بالانجليز، كي يدركوا أن الاستبداد المحلي صديق صدوق لاستبداد الأجنبي» (٦). وفي هذا السياق يسجل قول محمد فريد: «إنني خارج إلى سجن آخر... وهو سجن الأمة المصرية، الذي تحدده سلطة الفرد ويحرسه الاحتلال».

وهو يتحدث عن انقشاع الأوهام حول الموقف الأمريكي منذ بداية القرن ومبادئ ويلسون الأربعة الشهيرة عن حق تقرير المصير للشعوب بعد الحرب الأولى، وعن مفاوضات الوفد المصري في لندن من أجل الاستقلال.

للموقف أو للصراع أو الشخصية التي يدرسها. وهو قد سبق في ذلك بعض المؤرخين الواقعيين أصحاب المدرسة الجديدة العلمية المتروعة الذين استبعدوا من علمهم وأدواتهم كل ما هو ذاتي وخصي في بعض الصراعات التاريخية الكبرى، ثم عادوا إلى تحليلها بعد أن تبين لهم أن هذه العناصر التي تنهض في الأساس على الموقع الطبقي والحيار الاجتماعي والثقافي للشخصية المعنية، تلعب دوراً قد يكون حاسماً في بعض الأحوال رغم صغرهما.

وفي مقاله الأدبي السياسي التاريخي المتع عن «الأمة بين سعد وعدلي» يكتب أحمد بهاء الدين.

«هذان العظيمان... كل منهما جاء من نبي، وسارا في واد وكل منهما كان يمثل تياراً معيناً، فاتفقهما تحالف بين التيارين، وخالفاهما صراع بين القوتين يكتب فيه النصر لتيار والهزيمة لآخر، ومن النصر والهزيمة يولد التطور».

عدلي، سليل الأسرة التركية العريقة، وربيب الطبقة الحاكمة فعلاً، وابن الذات الذي ولد ليجد كل شيء، مهياً لاستقباله... التعليم الرفيع، الآفاق الأوروبية الحديثة، الصداقات الكبيرة التي تهد سبل الوصول السريع، فان حدث وذبح إلى الريف، فهو يذهب إلى أملاكه كل إلى بلدته.

وسعد الفلاح بين الفلاحين، الذي نجد إخوته من يحملون أسماء شلى وستهم وفرحانه، وإن كان من طبقة متوسطة مسيرة الحال.

عدلي الرقيق الأنيق المرفه، عيونته الحالمه وشاربته المخفف، وطربوشه المائل إلى كبرياء، عليه سيماء رجل مترف، في غنى عن المطالبة بأي شيء، لأن كل شيء لديه فعلاً.

وسعد الحشن العنيف، عيونته المقتحمة وشاربته المنقوش بطربوشه الذي يلبسه ملقى إلى الوراء، كما تلبس البلدة أو «الطائفة» تصرخ هيئته بأنه رجل جاهد واقتحم وطالب بعاد (٤).

إضافة لهذا الوعي العميق بأثر التكوين الشخصي والطبقي على النفس الإنسانية بل وعلى الشكل الخارجي للشخصية تتضح لنا عناصر الطائفة الأدبية من أسلوب الكاتب، تلك اللغة المعجمة بالمشاعر التي يمزج فيها الوصف بالتحليل وتختلط الصحافة بالأدب،



أحمد بها.

## لم يعارض الانفتاح

لكنه وصفه بأنه

انفتاح انفصاحي

يؤدي إلى التبعية

تعرف إلا الانفتاح المباشر على أقطاب الاستهلاك، الطعام بكثرة، الملابس، أغلى السيارات، واللهم التسع من اقتناء التلفزيون الملون والفيديو، إلى السهر، وإنفاق مئات الجنيهات على مائدة واحدة، وهي التي تقلأ مثلاً مساح القطاع الخاص، بأسعار لا يقوى عليها زبائن المسرح الأصليون الذين انسحبوا من السوق، وكباريات شارع الهرم للعلم صار يلجأها المصريون بعد أن كانت مقصورة على السياح العرب... (١٣)».

ويتساءل: «هل يكسب المال من يحترم القوانين الموضوعية، أم يكسبه من يخترق القوانين؟».

هل يكسب الفرد قيمة عمله- من العالم إلى الكنايس- أم يكسب الفرد قيمة علاقته ومصالحاته وبلطجته وإغفاء عين السلطة عنه؟.

هل يكسب المال من يستطيع أن يقدم كشفاً بمصدر كل مليم، أم يكسبه من لا يستطيع أن يفسر إحراره لعشرة ملايين؟. تلك هي الأسئلة الأساسية؟.

وما السياسة إلا صراع وخلاف حول الأسلوب الذي يوضح أكثر من سواه الفارق بين الجهد والتطفل، بين العدل والظلم بين الحلال والحرام... (١٤)».

والسياسة هي مرآة التاريخ اليومية، فإذا كان التاريخ هو ابن الصراع بأطرافه المختلفة وعادة ما يرتبط تدهور السياسة بتسلط الحاكم الفرد واستئثاره الفساد.

وتبين لنا القراءة الجديدة للتاريخ أن هذا التاريخ ينتج في تطوره الموضوعي من علاقات القوة والسيطرة وكدح البشر لتطوير حياتهم، أما الزعامة فلا تولد بالزواج أو المصادقة أو الاختيار الشخصي، بل أنها تتخلق في التاريخ أي في الواقع الإنساني أو في الثورة التي يصنعها الشعب صانع التاريخ.

«الزعيم لا يصنع الثورة أبداً، ولا يخلقها من العدم، ولكن عوامل الانفجار تتراكم في قراة الشعب تدريجياً حتى يصبح الشعب كالبندقيّة المعايّة، المسددة ضغطة واحدة على الزناد وينطلق البارود، فكل مهمة الزعيم أن يضغط على الزناد (١٥)»... .

وفي تحليله البارز للملايسات التي أدت لتصبح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ والذي أعلنت إنجلترا بمقتضاه انتهاء الحماية على مصر والاعتراف بمصر دولة مستقلة ذات

المستحيل غير المضمون، إذا كان العقل من وجهة نظره لا يتحدّد حدوده، فإن السياسية هي فن الممكن، وهو لا ينتقد الوديين الأوائل حين رسماً خفتهم على أساس هذا- الأمر- الواقع والذي يفرضه المنتصرون على العالم.

وعندما يتبدد غبار أي معركة كبيرة سرعان ما تكشف مجدداً حقيقة الانقسام الطبقي والخيارات السياسية التي تركزت عليه باعتبارها خيارات مصالح. يقول عن ثورة ١٩١٩ «عبارة الوطنية الواسعة التي شملت الجميع أيام الثورة تتكشف عن فريقين لكل منهما طريق، القوة القديمة، من الأعيان وأصحاب المصالح التي اعتادت أن تكون لها الغلبة والقوة الجديدة (١٩)»... .

ولذلك ترتبط الوطنية في كل كتاباته سواء تلك التي تتناول التاريخ الذي انتفضى أو ذلك التاريخ الذي يجري صنعه في الحاضر بمسألتيْن رئيسيتيْن: الاستقلال من الأجنبي وتحقّق السيادة من جهة، وسيطرة الشعب على ثروات البلاد من جهة أخرى.

«فلابد إذن أن يتحرر الشعب من كل سيطرة أجنبية ولابد أن يصبح أبنائه جميعاً شركاء في الحكم، متساوين في الحقوق والواجبات، متساوين في القوة والحرية... (١٠)».

وإذا كان أحمد بها، الدين يصف بهذه الكلمات أفكار الزعيم الوطني «محمد قويد» فانه في حقيقة الأمر، إنفاً يقدم أفكاره هو نفسه التي تنتظم في كل كتاباته سواء كانت تاريخية أو صحفية يومية. وعن الصراع الذي دار حول الناصرية يكتب.

«إن السياسات والممارسات محل الصراع والمتخلفة من المراحل السابقة ما زال الكثير منها قائماً، وبالتالي فهو صراع سياسي، وليس صراعاً بين مدارس تاريخية. وبالتالي أيضاً، فإن أقوى محركات الصراع هي المصالح والآراء

والعقائد، والغرائز... (١١)» ولا تدور مثل هذه الصراعات في الفراغ وإنما في الإطار المحدد بطبيعة الدولة أو النظام القائم. ولكل زمان دولة ورجال هناك دولة العمال ودولة رجال المال، ودولة الماويلين... (١٢)».

ورغم أنه يحرص على التنويه- من حين لآخر- لحقيقة أنه لم يعارض سياسة الانفتاح الاقتصادي من حيث المبدأ إلا أنه يصف



سيادة، والذي كان نصرا محدودا في ذلك الحين يتسائل، وكان سعد زغلول منفيًا في جزيرة سيشل التي سبق أن نفى الانجليز فيها أحمد عرابي «لأن كان الفضل في هذه الخطوة للساسة الذين قاموا بالاتصالات مع الانجليز حتى صدر تصريح ٢٨ فبراير ؟ أم للزعيم الذي يتسكن سيشل؟»

يرد بها:

«إنه قبطا الذي يسكن سيشل، ولا أقصد بذلك أن الفضل يعود له شخصيا، ولكن يعود للجماهير التي يمثلها.. (١٦)».

ويرتبط فهمه للتاريخ الذي تصنعه الجماهير بحس شعبي عميق، وهو يصف حياة عبد الله النديم باعتبارها «الحياة الحقيقية التي كانت الكتب حتى ذلك الحين تترفع عن دراستها والتعرض لها.. هذه الحياة المصرية الصميمة.. التي يعيش فيها ابن البلد، الحقيقي، ابن البلد بذكائه الفطري الذي عصرته الآلام، فلم تبق منه غير لكنة حاضرة، بكسله الذي أورتته إياه قرون عاشها في بلده غريبا، تفرج على الغريب الذين يحكمون.. (١٧)».

وبها، مثله مثل عبد الله النديم الذي يصفه بأنه الثوري الحقيقي. لم يكن ينظر إلى مصير أبناء هذا الشعب نظرة استسلام ولم يكن يضحك منهم ضحكة بالها، ولكنه كان ينظر إليهم نظرة عامرة بالأمل، ويضحك منهم ضحكة مترفة بالنقد.. (١٨)».

والشعب كما رآه «النديم» من زاويته الحقيقية : عماله وفلاحوه وشبابه المثقف. لا كما كان يراه الناس بأشوات وأتركا وشراكسه.. (١٩)».

وعن التاريخ للثورة ١٩١٩ يقول:

وتاريخ هذه الثورة لم يكتب بعد حتى الآن، ولم يحاول أحد المؤرخين أن ينقب وراء سر هؤلاء الفلاحين الذين حاربوا في دير مواس، وحاولوا الاستيلاء على السفينة المسلحة في ديروط.. (٢٠)».

إن هذا الحس الشعبي العميق يدفعه لأن يؤكد مرارا وتكرارا أن ثورة مصر الأساسية ثورة بشرية وفي قاموسه يتكرر تعبير ينابيع الشعب الحقيقية كنقطة رئيسية.

وانطلاقا من هذا الحس الشعبي أخذ «بها» على عاتقه مهمة المزج بين الصحافة والثقافة، بين فن إعطاء المعلومات للجوهر برشاقة وقدرة على المتاع، وبث الأفكار

التي تتسلل إلى القلب مباشرة، فقد كان بها يكتب بدم القلب لا بريشة باردة محايدة. يفعل ذلك وهو يقدم أبسط القضايا وأعدها على السواء.. والفن في الصحافة والثقافة والاذاعة والتلفزيون جميعا، وعنصر الاتقان فيه، هو أن تجعل المفيد جذابا وأن تجعل المسلي راقيا.. (٢١)».

وهو يذكر أننا في بلد تنتشر فيه الأمية وتهين الثقافة المحافظة والتقاليد البالية فإن تغيير العقليات هو أصعب المهام. وفي هذا السياق لم يكن يخشى في سبيل التغيير، المعرفة أنه يخالف المزاج السائد، وكثيرا ما فعل رغم أن هذا كان يهدده كما قال محبوبه بفقد الإجماع، وغضب بعض جمهوره منه.

وليست الصحافة هي وحدها الرسالة التي تمزج بالثقافة وإنما الأدب أيضا، فقد دافع «بها» بحرارة عن رسالة الأدب ودوره في التغيير.

يكتب عن مقدمة الزعيم «محمد فريد» لدبوان «وطنيتي» للشاعر «على العايباني»



أحمد بها.

## انطلاقا من حسه

## الشعبي أخذ على عاتقه

### مهمة

## المزج بين الصحافة

## والثقافة.. وجعل

## «المفيد» جذاباً

## و«المسلي» راقيا

الذي تسبب الديوان في سجنه، وسجن كاتب المقدمة.

«ماذا قال فريد في هذه المقدمة؟ أي جرعة ارتكبها وهو يتحدث عن الفن الجميل؟ لم يقل أكثر من أن الشعر يجب أن لا يكون مجرد كلام فارغ عن جمال الطبيعة.. أو نفاق رخيص في مدح الملوك والوزراء.. بل يجب أن تكون له- كأي فن جميل- غاية اجتماعية تنفع الناس.. وتدفع المجتمع إلى الأمام.. (٢٢)».

ويواصل مناقشته للقضية على النحو التالي:

هذا الرأي لم يعجب النباة العامة، ولا وكيل النباة توفيق نسيم- وهو في الحقيقة- لا يعجب الكثيرين من الناس حتى الآن ومنه الفنانين الكبار.. فأنت تسمع عن مدرستين في الفن والأدب، مدرسة تقول الفن للفن، ومدرسة تقول أن الفنان كاتب أو شاعرا أو رساما، ليس له أن يهتم بمشاكل الناس السخيفة، همومهم الثقيلة، إنما مهمته أن ينتج لنا شيئا جميلا فحسب، شيئا نجد فيه المتعة والتسلية، وتزجية الفراغ، شيئا للترتة والنظارة قاما كالمجوهرات للنساء المترفات. أما أصحاب الرأي الثاني فيقولون. إن الفن يجب أن تكون له رسالة أسمى من مجرد الإمتاع، وأن الفنان يجب أن يقدم إلى جمهوره شيئا ينفعه ويفيده شيئا يعنى إحساسه بالحياة، يدفعه إلى التقدم والارتقاء.. (٢٣)».

ويقف بها، بكل قوة إلى جانب المدرسة الأخيرة لأنه ما من عمل إنساني من وجهة نظره ينبغي أن يتجرد من الرسالة.

وتحدد هذه الاختيارات العقلانية الموضوعية الهادفة أساس نظرتة الديمقراطية العملاقة للعالم ورؤيته الإنسانية العالمية الطابع والعروبية في نفس الوقت، ودعوته للحرية التي ينبغي «أن تظل كل التحاورين وليس البعض دون البعض».

ودرم تعاطفه العميق على سبيل المثال مع الشيخ «على يوسف» في معركته ضد التقاليد التي وصلت إلى حد أن أصدر القاضي «أبو خبطة» حكما بتطبيق الشيخ من زوجته بسبب أصل على يوسف الوضيع ومهنته غير المحترمة «أي الصحافة».. فمع ذلك فإن الشيخ على يوسف من وجهة نظر «بها» كان في حقيقته رجوعيا، وإن قلت



أحمد بها

## دافع بحرارة عن رسالة الأدب ودوره في التغيير الاجتماعي

رجعته عن الآخرين، وكان في قرارة نفسه يؤمن بكل ما ساقه خصومه ضده من حجج الحسب والنسب والحرفة، وهي رجعية ألقت بظلمها على الكثير جدا من نواحي تفكيره السياسي، فكان إذا ثار شعب ليبيا على الغزو الإيطالي كتب المقالات مدافعا عن شعب ليبيا، داعيا إلى التطوع ضد إيطاليا، فاتحا أبواب الإكتتاب لإرسال المعونة الطبية إلى المجاهدين.. فإذا ثار شعب اليونان.. على الاستعمار التركي هاجم شعب اليونان (٢٤)». وفجوى هذا النص أن «بها» يرى أن الحرية لا تتجزأ فهي حق لكل الشعوب حتى ولو كان المستعمر هو ابن الديانة الإسلامية -شأن تركيا، والظلم مفروض حتى لو كان الظالم ابن أمي وأبي.

وهو ما يقودنا مباشرة إلى موقفه العلماني. والعلمانية هي التفسير العلمي الموضوعي للنصوص الذي يؤدي إلى الفصل الكامل بين الدين والسياسة. وفي مناقشته لكتاب الإسلام وأصول الحكم للشيخ على عبد الرازق يقول إنه بعد سقوط الخلافة

الإسلامية في تركيا «التقط الإنجليز فكرة الخلافة الواقعة على الأرض.. نعم لماذا لا ينشئون هم خلافة إسلامية جديدة تنمو في رعايتهم؟ وأن الخلافة لحظة قديمة للتغيير بالمسلمين، وخلقت عيانتها الواسعة تنكرت أنواع من الظالم والمضطوب، وهي قد خرجت من مكة وانتقلت بين دمشق وبغداد والقاهرة وإستانبول، منطبقها الحاكم الذي يستبد بالمسلمين، أمويا في دمشق، عباسيا في بغداد، فاطميا في القاهرة، عثمانيا على ضفاف البوسفور. واليوم بعد الحرب العالمية الأولى أصبح المستبد بهذه البلاد هم الإنجليز، فلماذا لا يعززون استعمارهم أيضا بالخلافة الإسلامية؟ وإذا كان من المستحيل- هذه المرة- أن يكون الخليفة إنجليزيا، فالعلاء بين المسلمين ما أكثرهم، لماذا لا يجعلون واحدا منهم خليفة للمسلمين وما هو أكبر عرش في الشرق الأدنى، وأقدم عرش يحمل بركة الإنجليز ويعترف لهم بالجمليل إنه عرش مصر الذي لولاهم لانتلعت زريعة عرابي، والجالس على العرش فؤاد الذي عينوه سلطانا فملكا منذ سنوات لا تبلغ العشر. وسرع الملك فؤاد هذه القصة، فبدأ يحلم بها، وإن لم يطلق لحيته كما صنع «فاروق» من بعدا.

وأدرك القصة أيضا الأذنان. ونجار الدين فبدأوا يوشون الدعوة للخلافة الجديدة... التي علقوا بقيامها شرف الإسلام.. (٢٥)».

وحين كشف الشيخ على عبد الرازق في كتابه أنه ليس هناك أي سند في القرآن والسنة للخلافة وإن هي إلا جناية الملوك واستبدادهم بالمسلمين «فماذا حدث؟ يسجل بها:

«واضح في مسطوره أنه لا يهاجم الخلافة فقط ولا الحكومة الدينية وحدها، بل والنظام الملكي أيضا.. (٢٦)».

وفي الستينات خاض معركة بالسة ضد عدد من الشيوخ المحافظين مدافعا عن حرية المرأة.

وقبل أن يدخل الكاتب في مرضه الطويل الأخير- رحمه الله- خاض معركة عنيفة مع تيارات الإسلام السياسي مدافعا عن علمانية الدولة بمعنى عدم إدخال الدين في السياسة. وما تزال هذه المعركة الفكرية تشعل جذوتها من حين لآخر ورغم الغياب القسري لأحد أشجع فرسانها، وقد أثار

المحافظون «ونجار الدين» زبوعة مشابهة لتلك التي ثارت في الثلث الأول للقرن لدى صدور كتاب الشيخ على عبد الرازق وذلك حين صدر كتاب المستشار سعيد العشماوي عن الخلافة الإسلامية.

على هذا الأساس العقلائي حيث لا شيء يستعصى على التفسير، والديمقراطي حيث الحرية حق للجميع، والعلماني حيث لا بد من فصل الدين عن السياسة من الدولة الحديثة لما وازدهر فكر «أحمد بها» الدين «الاشتراكي الديمقراطي مشبعا بحسه الشعبي الذي تعاطف مع الكادحين باعتباره من منتجي الثروة وصانع الحياة. ويستحيل أن يتحول مفكر حقيقي إلى الاشتراكية دون هذا الأساس العقلائي الديمقراطي العلماني الشعبي.

فما الذي يميز فكره الاشتراكي الديمقراطي عن الاشتراكية العلمية؟ إنه ما يميز الاشتراكية الديمقراطية عموما عنها مع الأخذ في الاعتبار أنها أي الاشتراكية الديمقراطية تجلت في البلدان الاستعمارية التي أصبحت مراكز الرأسمالية المتقدمة في العالم بعد ذلك بصورة مختلفة تماما عنها في بلدان حركة التحرر الوطني أو بلدان الجنوب كما تسمى الآن..

تؤمن الاشتراكية الديمقراطية عامة بالتطور التدريجي وترفض مفهوم الطفرة الذي صاغته الماركسية قائلة إن التراكم الكمي يؤدي إلى التغير الكيفي على شكل طفرات. كذلك لا ترفض الاشتراكية الديمقراطية النظام الرأسمالي من حيث المبدأ بل تسعى دائما لتحسينه والارتقاء به وإصلاحه بصفة مستمرة بهدف الوصول إلى الاشتراكية عن هذا الطريق أي طريق الإصلاح لا طريق الثورة.

وتقدم الاشتراكية الديمقراطية عامة على الطبقة الوسطى أو البرجوازية الصغيرة باعتبارها الطبقة الأساس، بينما ترى الاشتراكية العلمية في الطبقة العاملة الواحدة المنظمة عنصر القوة الرئيسي في عملية التغيير الثوري سواء تم هذا التغيير سلميا أو بالعنف، ولكنه سوف يتم في كل الحالات عبر صراع طبقي مرير تحسم فيه الطبقة الوسطى أمرها سواء إلى جانب الاشتراكية فيما إذا كان ميزان القوة يميل لصالح الطبقة العاملة وتحالفها مع الفلاحين، أو إلى جانب

وكتب كثيرا عن الأخطاء والخطايا التي وقعت فيها وأدت للإنتقال عليها ولكنه أبى على ولائه للاشتراكية الديمقراطية معتقدا أنه يمكن في المستقبل إنجاز مشروع جديد لها يتجاوز القديم، وتتجلى علامات هذا الولاء في تفاصيل كتاباته السياسية وفى تأييده لاتفاقيات كامب ديفيد، وعدم جزئيته في نقد النظام الرأسمالي من الأساس، وقد ظل وفيًا شأنه شأن جمال عبد الناصر لفكرة الرأسمالية غير المستغلة التي تجلّت في كتاباته في شكل الرأسمالية المنتجة الرشيدة والعقلانية دون انتقاد لها أو استشراف لحدودها التاريخية.

وبغيب أحمد بهاء الدين في المرض ثم رحله فقدنا قلما شجاعا مدافعا عن العلم والعدل والحريّة قادرا على إثارة «الشغب» والإجماع في آن واحد، بسيطًا وثاقبا وهو ما لا يتوفّر إلا لنفر محدود من الكتاب الذين نظروا لعملهم باعتباره مهمة حملوها محل الجد ومنحوه القلب والأعصاب والضمير.

الأوصاف له، والتي حققت في ظل الناصرية مقولة سيادة الشعب العامل وتذويب الفوارق بين الطبقات وشهدت التوسع في الخدمات الاجتماعية المجانية.

وفي هذا السياق فإن «أحمد بهاء الدين» هو الكاتب الناصري الأرقى بامتياز، وإذا كانت ظروفه الصحية الطارئة قد حالت بينه وبين رؤية انهيار التجارب الاشتراكية التي قامت كتحذير ضخم للرأسمالية وكان هذا التحذير هو أحد عناصر قيام دولة الرفاهية وتقدمها في الغرب الرأسمالي، وحالت بينه أيضا وبين رؤية انهيار دولة الرفاهية وهجوم الرأسمالية الوحشية في المراكز الرأسمالية وفي جنوب العالم على السواء.

إذا كان ذلك كله قد حدث فإن «بهاء» عاصر وعاش انهيار الاشتراكية الديمقراطية وحركة التحرر الوطني في العالم الثالث وفي مصر، فقد شهد الانقلاب على الناصرية،



## العلمانية عند بهاء هي التفسير العلمي الموضوعي للنصوص الذي يؤدي إلى الفصل بين الدين والسياسة

الرأسمالية وإصلاحها إذا كان الميزان يميل لصالح الطبقات المالكة ويوسع بالتالي قاعدة ملكية الطبقة الوسطى نفسها لتتحول شرائح منها إلى رأسمالية كبيرة بعد ذلك. واتخذت الاشتراكية الديمقراطية في المراكز الرأسمالية الكبيرة شكل دولة الرفاهية والتي كانت في حقيقة الأمر نتاجا للكفاح المتواصل للطبقة العاملة والكادحين متراكبة مع فترة ازدهار اقتصادي حقق فيها النظام الاشتراكي العالمي آنذاك انتصارات ضخمة على كل المستويات ووصلت هذه الدولة إلى دولة الرفاهية إلى أوجها في الستينات.

بينما اتخذت الاشتراكية الديمقراطية في سياق حركة التحرر الوطني شكلا آخر جعل وصف رأسمالية الدولة أن يكون أقرب

### الهوامش

- (١) «يوميات هذا الزمان» أحمد بهاء الدين « مركز الأهرام للترجمة والنشر القاهرة ١٩٩١ ص ١٢-١٣.
- (٢) المصدر السابق ص ٤٦.
- (٣) المصدر السابق ص ٦٦.
- (٤) أيام لها تاريخ أحمد بهاء الدين، دار الهلال- القاهرة ١٩٩٠ ص ١٠٦-١٠٧.
- (٥) المصدر السابق ص ١١.
- (٦) المصدر السابق ص ١١٢.
- (٧) المصدر السابق ص ١٢٥.
- (٨) المصدر السابق ص ١٣٤.
- (٩) المصدر السابق ص ٤١.
- (١٠) المصدر السابق ص ٨٠.
- (١١) يوميات هذا الزمان ص ٣٢.
- (١٢) المصدر السابق ص ٢٠ ص ١٠٦.
- (١٣) المصدر السابق ص ١٧٥.
- (١٤) أيام لها تاريخ ص ١٣.
- (١٥) المصدر السابق ص ١٥٦.
- (١٦) أيام لها تاريخ ص ١٤.
- (١٧) أيام لها تاريخ ص ١٨.
- (١٨) أيام لها تاريخ ص ٢٨.
- (١٩) أيام لها تاريخ ص ٢٨.
- (٢٠) أيام لها تاريخ ص ٩٨.
- (٢١) يوميات هذا الزمان ص ٥٥.
- (٢٢) أيام لها تاريخ ص ٨٢.
- (٢٣) أيام لها تاريخ ص ٨٣.
- (٢٤) أيام لها تاريخ ص ٧٠-٧١.
- (٢٥) أيام لها تاريخ ص ١٦٦.
- (٢٦) أيام لها تاريخ ص ١٧٣.



كليتتون

## كلينتون يتقدم..

# بارادة الطبقة العاملة

### رسالة واشنطن

#### سمير كرم

ينفذه هذا «الانتصار العسكري» ولم ينفعه الإنجاز الكبير» الذي حققه في مجال السياسة الخارجية بتكوين تحالف دولي بقيادة أمريكا لحوض «حرب الخليج» .. لأن الاقتصاد كان يعاني من ركود كاد يصل إلى حدود كارثة على غرار كارثة عقد الثلاثينات. لهذا يفضل محللون آخرون تفسير تقدم كلينتون على منافسه الجمهوري «دول» بأنه يرجع إلى ضعف شخصية الأخير، وعدد من الاعتبارات الشخصية الأخرى، من بينها عمره الذي يناهز الثالثة والسبعين، ومن بينها عاقبة شلت يده اليمنى في إصابة جسيمة لحقت به عندما كان ضابطاً في الحرب العالمية الثانية. ويقول آخرون: إن المرشح الجمهوري يفتقر إلى برنامج تفصيلي مقنع للناخبين وعندما اختار اغراءهم بوعده بخفض ضرائب الدخل بنسبة ١٥ بالمئة، وهذه النسبة تعنى بالدولارات أن تخسر الحكومة الاتحادية من إيراداتها ٥٠٠ مليار دولار. لم تصدقه غالبية الناخبين، حتى الذين يميلون تقليدياً إلى التصويت للمرشح الجمهوري. وزادت قوة عدم التصديق هذه اتساقاً مع استمرار تجنب دول تقديم رد واضح ومحدد على السؤال: كيف سيتمكن تعويض الميزانية الاتحادية عن هذا

مرشح تتوفر له كل ضمانات الفوز إلا اذا تدخلت العناية الإلهية لمصلحة اليمين. وأقوى التفسيرات المقدمة كان التفسير الاقتصادي. وهو تفسير تقليدي في الحياة السياسية الأمريكية على الرغم من كل الرفض الذي يقابل به التفسير الاقتصادي للتاريخ (٠٠٠) فأموال الاقتصاد الأمريكي بمقاييس المنتجين والمؤسسات والشركات وقطاعات الأعمال أفضل مما كانت في أي وقت منذ عشر سنوات.

وقمة إلحاح قوى على العامل الاقتصادي في ارتفاع أسهم كلينتون في البورصة الانتخابية. أي لدى الرأي العام والناخبين على وجه الخصوص. على الرغم من أن القاعدة السائدة في «فن مراقبة انتخابات الرئاسة الأمريكية» تقول: أن الاقتصاد يمكن أن يطيح بفكرة انتخاب رئيس أمريكي لفترة ثانية.. ولكنه ليس بالضرورة العامل الأساسي في تعزيز هذه الفرصة. ومعنى هذه القاعدة أنه إذا ساءت الأحوال الاقتصادية خلال فترة الرئاسة الأولى لرئيس أمريكي فمن المؤكد أن يتجه الناخبون إلى التخلص منه في أقرب فرصة. وهي عادة انتخابات الرئاسة لفترة ثانية أما إذا سارت أحوال الاقتصاد الأمريكي سيرا حسناً بمعايير الأرباح وهبوط معدلات التضخم ومعدلات البطالة وضادت هوة عجز الميزانية الأمريكية فليس هذا ضماناً أكيداً بفوز الرئيس بفترة رئاسة ثانية. إذ عندئذ يتحول إهتمام الناخبين إلى قضايا أخرى غير الاقتصاد.

وقد أصبح سقوط جورج بوش المدى في انتخابات عام ١٩٩٢ -بعد «الانتصار» في الحرب الأمريكية ضد العراق- عام واحد دليلاً على شق الأول من تلك المعادلة. فلم

«لأول مرة في التاريخ الأمريكي الطبقة العاملة تخوض معركة انتخابات الرئاسة ككتلة انتخابية موحدة لتهمز خصومها.. ولكن بلا مرشح اشتراكي. «تحرك الاتحاد العام للعامل الأمريكيين للوقوف مع كلينتون باعتباره «مرشح الضرورة» يمثل «ميلاداً جديداً للحركة العمالية الأمريكية».

تدل كل المؤشرات على أن بيل كلينتون سيفوز بفترة رئاسة ثانية في الانتخابات التي ستجرى يوم ٥ نوفمبر المقبل.

لم يسبق أن كان المحللون السياسيون الأمريكيون- المتخصصون بشئون الانتخابات- يتجرأون -كما يتجرأون الآن- على التنبؤ الصريح وشبه القاطع بنجاح مرشح للرئاسة الأمريكية. واستطلاعات الرأي العام إلى ما قبل سبعة أسابيع فقط من موعد الانتخابات. وبعد أن انفض «السيرك القومي الأمريكي» بفرعيه وأعلن المؤثر بين القوميين للحزبين الجمهوري والديمقراطي، مستمرة بالتأكيد على تقدم كلينتون على منافسه الجمهوري السناتور السابق «روبرت دول» بما لا يقل عن نسبة ٢٣ بالمئة. وهي نسبة قال أحد أبرز مؤيدي دول في المعسكر اليميني الأمريكي الداعية الديني بات روبرتسون أنها تشكل «عقبة كبرى لا يمكن تخطيها» (من جانب المرشح الجمهوري) إلا بمجرد من الرب.. والمهم أنه قال هذا في لقاء احتشد له اليمين المسيحي الأمريكي، للاستماع إلى مرشحه دول (...).

وقد تعددت التفسيرات المقدمة لهذا التحول في مركز كلينتون من رئيس كان إلى ما قبل عام أو أكثر قليلاً يبدو في أكثر المواقع بأساً بشأن فرص إعادة انتخابه. إلى



المبلغ الهائل إذا خففت الضرائب بهذه النسبة. خاصة أنك تزعم أنك ستخفف الضرائب وتحقق التوازن بين الإيرادات والمصروفات في الميزانية الاتحادية في الوقت نفسه؟

ويذهب تفسير ثالث إلى أن هيمنة اليمين المتطرف على الحزب الجمهوري كما اتضحت في سياسات الكونجرس بعد أن أصبحت الأغلبية في مجلسي الجمهوريين هي السبب في نفور الناخبين الأمريكيين من المرشح الجمهوري. فهم يلمسون أنه واقع تحت سيطرة هذا التيار المتطرف ولم يستطع طوال الفترة الماضية أن يحمي الأمة الانتخابية أن يقع الرأي العام بأنه له استقلاليتة عن قيادات هذا التيار أو أن باستطاعته مقاومة سياساتهم المتطرفة.

والتفسيرات المختلفة التي تعتمد على القول بأن كلينتون قوى لأن دول ضعيف هي بمثابة عودة إلى مارك أخرى «تقليدية» سادت كل الدراسات التي تتناول انتخابات الرئاسة الأمريكية منذ نحو نصف قرن. وتقول هذه القاعدة أن الأمريكيين أصبحوا يدركون أنه يتعين عليهم «أن يختاروا أهون الشرين». ذلك أن انتخابات الرئاسة الأمريكية أصبحت تكشف لهم مرة بعد أخرى أن أمريكا لم تعد تنجب زعماء من طراز بيعت على الثقة، يتمتع بغنائل قيادة واضحة وقيم إيجابية ويعرف نبض القواعد الجماهيرية ومشكلاتها. إن النظام السياسي الأمريكي أصبح يدفع بشخصيات «سياسية» «تجديد المناورات السياسية والانتخابية وتعرف من أين تأتي بالمال اللازم للاتفاق على الحملات الانتخابية وتعرف كيف تكون التحالفات مع القوى السياسية المؤثرة ومع أصحاب المصالح الخاصة» (وهو تعبير مذهب عن قوى «اللوبى» وجاعات الضغط الداخلية والهاجربة التي تحكم قبضتها على من يحكمون أمريكا قبل أن يصعدوا إلى السلطة).

وفي رأى القائلين بأن الأمريكيين يتجهون إلى صناديق الانتخاب يحدوهم دافع انتخاب «المرشح الأقل سوءا» أن كلينتون يبدو الآن المرشح الأقل سوءا على الرغم من كل التحفظات عليه من كافة الاتجاهات. وهي تحفظات أخلاقية وسياسية وشخصية وحتى «أيدولوجية».

أما لماذا يبدو كلينتون أقل سوءا أو «أهون الشرين» بالمقارنة مع منافسه السناتور

السابق دول. فانه أمر يحتاج بحث ذاته إلى اللجوء إلى واحد من التفسيرات السابقة. فاما لأنه لا يملك برنامجا اقتصاديا واضحا. وإما لأنه واقع تحت هيمنة التيار الجمهوري المتطرف نحو اليمين.. إلخ.

وهكذا تبين أن التفسيرات المقدمة والشائعة في الكتابات الصحفية، وحتى في كتابات «الأكاديميين» متضاربة وتناقضة ولا يقوم أى منها في حد ذاته كمؤشر مقنع بدرجة كافية إلى الأسباب الحقيقية لترجيح فوز كلينتون بفترة رئاسة ثانية.. وهو الأمر الذي سيجعله أول رئيس ديمقراطي يفوز بفترتي رئاسة منذ فرانكلين روزفلت أى منذ أكثر من ستين عاما.

والأرجح أن سبب تهاقت هذه التفسيرات إلى حد يجعل من الضروري الأخذ بها جميعا كعوامل في صعود فرض كلينتون الانتخابية أنها تنجب- سواء عن قصد أو بغير قصد- إدراك «العامل الطبقي»-وهي تتعامل مع الوضع الراهن الذي جعل من كلينتون أشبه ما يكون بمرشح «مضمون الفوز» على الرغم من كل التحفظات، ابتداء من المعادلة التي تقول إن الاقتصاد يسقط مرشحا للرئاسة لكنه لا يساعد مرشحا على الفوز.. وانتهى. بأن كلينتون نفسه ليس أكثر من «المرشح الأقل سوءا».

إن المشتغلين بعملية «التنظير» الظواهر السياسية والأحداث في المجتمع الأمريكي ليسوا بطبيعة الحال ممن يؤمنون بفلسفة ماركسية محددة المعالم والمناهج (وهؤلاء). تضع أصواتهم في صلب العملية السياسية الانتخابية التي اكتسبت في المجتمع الأمريكي منذ زمن بعيد أبعاد الدعاية التجارية وأصبحت حملات «إعلانية» بكل الأبعاد خاصة بعد اتساع نفوذ التلفزيون على العقل الأمريكي.. وليس الوجدان الأمريكي فحسب...، وبالتالي فليس التفسير الطبقي لاتجاهات الناخبين واحدا من اهتماماتهم. بل وهذا أهم- أنهم في غالبيتهم الساحقة ممن لقنوا في جميع مراحل التربية وعمليات التنشيط المباشرة وغير المباشرة تأكيداً قطعياً بأن المجتمع الأمريكي «بطبيعته» ولاعتبارات تاريخية معينة «مجتمع غير طبقي».. فالفلسفة العامة السائدة في الحياة السياسية والثقافية الأمريكية تعتبر.. لاطبقية «المجتمع الأمريكي» أحد أهم مكونات «الاستثنائية» الأمريكية.. أو «التفرد»

الأمريكي. التي تجعله مختلفا تاريخيا واجتماعيا وبالتالي سياسيا عن المجتمعات الأوروبية. فضلا عن المجتمعات الأخرى التي مرت بأطوار التطور الاقتصادي والاجتماعي المختلفة من العبودية إلى الانقطاع إلى الرأسمالية (هذه قضية جدية بحاجة معالجة مستقلة مستفيضة). ولهذا الاعتقاد السائد لدى هؤلاء المنظرين والذي يبنون عليه تحليلاتهم للعمليات «الديمقراطية» في هذا المجتمع هو «أن كل نفوذ يمارس فيه إنما يتم من خلال اقناع الآخرين بالحق والبرهان والمجادلة. وبالتالي فإن الوعي الاجتماعي (والسياسي) يتشكل في منافسة حرة للذكاء» (..)

وعلى الرغم من تغفل خرافة المجتمع الأمريكي كمجتمع لا طبقي في ثقافة الأمريكيين بشكل عام والمثقفين بشكل خاص (باستثناء المثقفين الماركسيين منهم) فإن تعبير «الطبقة المتوسطة» شائع الاستخدام للغاية. وهو محط اهتمام كل الساسة والاقتصاديين والدعائين.. الكل يطلب رضاها وتأيدها. دون أن يكون لدى أى منهم تعريف محدد لها. أما «الطبقات» الأخرى فلا تسميات لها. لكي لا يكون أى وجود لها. ويندر للغة أن تقرأ تعبير «الطبقة العاملة» في غير الأدبيات الماركسية الأمريكية. وقد نجح مثقفو الرأسمالية الأمريكية في خلق عداء عميق لفكرة تميز الطبقة العاملة بأي صورة.. حتى شمل ذلك الاتحادات والنقابات العمالية. وهو وضع على العكس تماما مما كان عليه في أوائل القرن الحالي وحتى الثلاثينات حينما كان الحلم الاشتراكي مشروعا قويا يدافع به خيال قطاعات عريضة من الشعب الأمريكي لا قبل ثورة أكتوبر الاشتراكية في روسيا عام ١٩١٧ (وبعدها مباشرة).

ويسبب هذه الخرافة فائلا لا تجد من المحللين السياسيين التقليديين من ي طرح -مثلا- السؤال: أي الطبقات تؤيد هذا المرشح للرئاسة ولماذا. وأى الطبقات تعارضه ولماذا؟ في تحليلات خبراء انتخابات الرئاسة الأمريكية الآن ليس هناك تساؤل عن «الاتجاهات الطبقة».. لا أحد يحاول أن يعرف حتى إذا كان لمثل هذه الاتجاهات وجود.

والأمر الذي يجعل اغفال مثل هذا الجانب في حملة الانتخابات بالذات تحليلات تجنبا على الموضوعية ودفنا لآلوس الخبراء.. ومن يستمعون إلى تحليلاتهم في الرمال، أن كل



دورث دول مع زوجته البيايث

من له عين ترى ورأس يفكر يستطيع أن يرى وبوضوح أن الطبقة العاملة الأمريكية تخوض معركة انتخابات الرئاسة الأمريكية لأول مرة باعتبارها معركة تخصصها وتعلق بأوضاعها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وإن لم نقل بمصيرها ومستقبلها.

وفي مرحلة حرجة لم يتبها فيها للطبقة العاملة الأمريكية حزب يدافع عن مصالحها فانها تخوض هذه المعركة الانتخابية المهمة باعتبارها معركة دفاعية .. فالهدف فيها منع وصول اليمين الجمهوري إلى الرئاسة. وإذا أمكن (وهو ليس مستحيلا) حرمان اليمين الجمهوري من الأغلبية التي سيطر بها على مجلس النواب والشيوخ اللذين يلعبان أدوارا مؤثرة في حياة الأمريكيين تفوق في كثير من جوانبها دور السلطة التنفيذية.

وفي غياب حزب للعمال قادر على التصدي لمعركة مثل معركة الرئاسة في المجتمع الأمريكي في الظروف الراهنة فإن الطبقة العاملة تؤدي دورها السياسي من خلال الاتحاد العام للعمال الأمريكيين بعد أن استعاد قوته ودوره السياسي- لا النقابي فحسب- بعد سنوات من الركود والخضوع لهيمنة المصالح الخاصة واليمين السياسي.

لقد اتخذ الاتحاد العام للعمال الأمريكيين قرارا بالوقوف إيجابيا إلى جانب الرئيس الديمقراطي كلينتون كمرشح ضمن الحد الأدنى من الدفاع عن حقوق الطبقة العاملة وحلفائها من الأقليات والفقراء ومحدودي الدخل والمهاجرين.. وذلك باعتبار أن ترك الفرصة لليمين الجمهوري لاحتلال البيت الأبيض تفتح الأبواب على مضارعتها لازالة مكاسب العمال «والطبقات التحتية» من أجل مزيد من الأرباح ولرأسمالية أصبحت شرعتها إلى الكسب لا تعرف حدودا اجتماعية أو سياسية أو أخلاقية.

الوضع هذه المرة غير مسبوق منذ وقت طويل. فقد كان الاتحاد العام للعمال الأمريكيين تقليديا يعلن تأييده لمرشح الحزب الديمقراطي للرئاسة. لكنه لم يكن يعتبر فوزه معركة تخص الطبقة العاملة ومصالحها ومستقبل أبنائها. وهذا ما يؤديه في هذه الانتخابات، على الرغم من أن له تحفظات كثيرة على العديد من قرارات كلينتون وسياساته ومواقفه. ولا تختلف هذه

التحفظات كثيرا. وربما نقل أنها لا تختلف أصلا- مع تحفظات يسار الحزب الديمقراطي على تراجع كلينتون أمام هجمات اليمين الجمهوري من مواقفه القوية في الكونغرس.

ولا يقتصر الأمر على قرار الاتحاد العام للعمال الأمريكيين بانفاق ٣٧ مليون دولار على حملة الانتخابات لتأييد كلينتون ولتأييد المرشحين الديمقراطيون للكونغرس. ان الاتحاد يخوض المعركة بكل ثقله الجماهيري مما أكسبها طابعا أكثر تقدمية وقد أثر بوجوده تأثيرا واضحا على نصوص البرنامج الذي وافق عليه الحزب الديمقراطي (وكلينتون) في المؤتمر القومي للحزب في شيكاغو. ويكتسب الاتحاد العام للعمال في الوقت نفسه قوة جديدة وطاقة على العمل والتأثير السياسي من خلال مشاركته في هذه المعركة الانتخابية. فالتأثير هنا مزدوج . الاتحاد يقوى بالحملة الانتخابية، والحملة، تقوى وتكتسب طابعا أكثر تقدمية بدور الاتحاد فيها.

ولا مبالغة اذا قلنا أن تحرك الاتحاد العام للعمال الأمريكيين بهذا الاتجاه سيشكل نقطة تحول تاريخية. ولعل الأقدم ما وصفته به بيانات الحزب الشيوعي الأمريكي من أنه بمثابة احتفال الطبقة

العاملة الأمريكية بميلاد جديد لحركتها .

لم يسبق أن جاب رئيس الاتحاد العام للعمال أنحاء الولايات المتحدة طولا وعرضا كما يفعل المرشحون للرئاسة على النحو الذي يفعله في هذه الحملة الرئيس الحالي للاتحاد «جون سوني» .. الذي خاطب الطبقة العاملة الأمريكية في يوم «عيد العمل» الأمريكي (الذي يحتفل به- خلافا للعالم كله- في يوم الاثنين الأول من شهر سبتمبر من كل عام) فيما وصف بأنه «عملية تعينة لقواتنا من أجل الهجمة الأخيرة لالحاق الهزيمة باليمين يوم ٥ نوفمبر».

في خطاب احتشد له أكثر من ٢٥ ألف عامل في «مهرجان العمال» في مدينة ميلووكي الصناعية بولاية «ميسوري» قال سوني أن اتحاد العمال يقود النضال في انتخابات ٩٦ لاتقاع جذور القبح الذي يحكم قبضته على عائلتنا وعلى مستقبلنا. فهذه هي السنة التي إما أن نستعيد فيها السيطرة على بلدنا أو نسمح لليمين المتطرف، لليمين الجديد، واليمين الذي لا يكشف عن مدى تطرفه، بأن يشدد إحكام قبضته على روح أمتنا. ثم راح يسأل جماهير العمال: «هل نريد أن نعود إلى الزمن الذي كانت فيه الشركات تقرر من يحصل على الوظائف ومن

## أول مرة في التاريخ

### الأمريكي : الطبقة

### العامة

### تخوض معركة

### انتخابات الرئاسة

### ككتلة انتخابية

### موحدة لتتقدم

### خصومها

### ولكن بلا مرشح

### اشتراكي

يبقى في وظيفته ومن يفقداه؟ هل نريد أن نعود إلى الوقت الذي كانت القاعدة الوحيدة التي تحكم أصحاب رؤوس الأموال هي أن لا قاعدة تقدمهم على الإطلاق؟»

... وراء كل سؤال كان العمال يجيبون بأعلى أصواتهم : لا.

والزمن الذي يشير إليه سويتس في خطابه ليس من الماضي البعيد أنه زمن ما قبل أكتوبر ٩٥ الذي شهد تغيير قيادات وبرامج وأهداف الاتحاد العام للعمال الأمريكي بقيادةات «برامج وأهداف تقدمية حقاً. لكن حتى هذه القيادات الجديدة التي تتحدث بلغة تذكر كثيرين بأكثر عهود ازدهار حركة اليسار العمالي والفكر اليساري عامة في أمريكا تدرك أن الوضع الراهن ليس مفتوحاً لخيارات انتخابية «اشتراكية» أو «يسارية». الوضع الراهن لا يسمح بأكثر من هدف محدود ومحدود : إما الوقوف مع كلينتون أو التخلي عنه، والتخلي عنه يعني تكرار ما حدث في انتخابات الكونجرس عام ٩٤.

المسألة إذن مرحلية. وبالإضافة إلى كونها مرحلية فإن الدور الذي تلعبه الطبقة العاملة في انتخابات الرئاسة يبرسجها لتأثير كبير على سياسات كلينتون وأدارته في فترة الرئاسة الثانية. وهي الفترة التي يستطيع

فيها أن يتخلى عن الاعتبارات الانتخابية لصالح اعتبارات أكثر مبدئية تعيد إلى الحزب الديمقراطي وجهة أكثر تقدمية وتسمح له بالتخلص من قيود «الوسطية».

وبطبيعة الحال فإن تضال الطبقة العاملة الأمريكية، الذي يقوده الآن الاتحاد العام للعمال - لا يتوقف عند حدود معركة انتخابات الرئاسة. هذه معركة تنتهي باعلان نتيجهتها في ساعة مبكرة من صباح ٦ نوفمبر القادم..

ولا هي معركة تتوقف عند حدود تأييد كلينتون. إنها معركة داخل إطار حرب أوسع نطاقاً وأرفع مستوى.. فالطبقة العاملة الأمريكية تتطلع إلى الوقت الذي يصبح لها فيه مرشح للرئاسة.. لا أن تكون مجبرة على قبول مرشح الضرورة الذي تفرضه الأوضاع والظروف التي يصنعها نظام سياسي يتجاهل وجودها ويتألى دورها ومصالحها.

في مدينة بيتسبورغ الصناعية في ولاية بنسلفانيا في الأسبوع الأول من شهر سبتمبر الماضي نظمت مسيرة شارك فيها أكثر من ستين ألفاً من العمال وأفراد عائلاتهم. كانت شعاراتهم ولافتاتهم من أجل «أربع سنوات أخرى لكلينتون»، وضد الخصخصة وضد إطلاق قطاع الأعمال من قيود الالتزام بمقوّم العمال الاقتصادية الاجتماعية.. ولأول مرة استمع المشاركون في المسيرة إلى كلمات من قادة عمالين من دول أخرى، من اليابان ومن أوروبا، فيما اعتبر مظهراً تضامناً مع الحركة العمالية الأمريكية لم تعرفها الأجيال الحالية من عمال أمريكا.

وفي «ديترويت» عاصمة صناعة السيارات الأمريكية -التي لا تزال عصب الصناعة الأمريكية والاقتصاد الأمريكي على الرغم من غياب القاعدة الشهيرة التي كانت في العقود السابقة تقول: أن ما هو خير لجنرال موتورز (أكبر شركات صناعة السيارات الأمريكية) خير لأمريكا جرت مظاهرات تأييد عالمية مماثلة في ضخامتها وحماستها ودلالاتها.. من أجل فترة رئاسة ثانية لكلينتون.. وبالتالي في سان فرانسيسكو وشيكاغو ودالاس وفيلادلفيا وسانت لويس وكليفلاند. وجيناً كان للعمال الصناعيين وجود كثيف.

لكن المحللين الباحثين عن أسباب تقدم كلينتون على منافسه الجمهوري في استطلاعات الرأي لا يزالون يولون بفرهم لوقوف الطبقة العاملة الأمريكية لأول مرة ككتلة انتخابية واحدة وراء كلينتون بشأن من أسباب من نوع آخر لأن التفسير الطبقي أشبه

ما يكون بالمحرمات النظرية. وإذا استمر «الحرب» في مجال الحقوق المادية لتضال الطبقة العاملة على هذا النحو -بعد معركة انتخابات الرئاسة - وبصرف النظر عن نتيجتها- وهذا هو الأرجح -فإنهم سيكونون أول من يقاوم بالتحويلات التي ستدخل على الحياة السياسية الأمريكية خلال السنوات والعقد القليلة القادمة بفعل الحركة الجديدة العمالية.. عندما يصبح للعمال الأمريكيين مرشح عمالي أو اشتراكي يتجاوزون به حاجتهم الراهنة إلى الائتلاف والائتلاف حول مرشح الحزب الديمقراطي بهدف وقف هيمنة البين المتطرف الذي تسبب في سنوات غياب الدور العمالي في حوض الصالح الخاصة في تحويل حياة الطبقة العاملة إلى سلسلة متواصلة للحلقات من المعاناة والبطالة والدين وفقدان الرعاية الصحية والاجتماعية وفقدان الشعور بالأمان الوظيفي.. بل وأجبرت خلالها الطبقة العاملة على قبول شروط أقسى للعمل : ساعات عمل أكثر وأجور أقل وحقوق نقابية أقل.. حتى أن حصول العمال الأمريكيين على زيادة للحد الأدنى للأجور كان واحدة من أشد المعارك صراوة في مواجهة البين الجمهوري في الكونجرس. ولعلها كانت إشارة الضوء الأوضح لاتحاد العمال الأمريكيين للوقوف وراء كلينتون لتحمي الهيمنة الجمهورية على سلطة الائتلاف التي يملكها الكونجرس. ولو تراجع كلينتون عن مشروع رفع الحد الأدنى للأجور لما حصل على هذا التأييد من الطبقة العاملة الأمريكية التي بدأت تأخذ مكانها كأقوى كتلة انتخابية قادرة بوحدة موقفها على ضمان الفوز للمرشح الذي تؤيده. ذلك أن التأييد الصريح والنشط من جانب الاتحاد العام للعمال لكلينتون ليس موقفاً يتبناه الأعضاء المتمثلين للقطاعات التنموية للاتحاد.. إنما هو موقف تتبناه الطبقة العاملة الأمريكية كلها في ظروف عودة الثقة إلى النقابات وعلى الاتحاد العام. وهي ظروف إقبال جديد على الفعولة لم تعرفه الحركة النقابية منذ نصف قرن.

وبحسب قواعد اللعبة الانتخابية في النظام الأمريكي لا يعود بإمكان المحللين السياسيين والإعلاميين والأكاديميين أن يتجاهلوا الطبقة العاملة الأمريكية عندما يصبح لها مرشح رسمي يحمل شعاراتها وبرنامجه ومصالحها إلى كافة طبقات وشرائح وفئات المجتمع الأمريكي.

وعندما يحدث هذا فإنه لن يكون حدثاً غير مسبق في التاريخ الأمريكي وهذا موضوع آخر.

يتخيل البسطاء، أنها كفيّة بحل كل المشكلات، عبارة على احتشاد قوى إصلاحية تتناصر السوق الحرة خلفه، تخطط له وترسم حركته وتصريحاته.

وفي الواقع العملي فإن لبيد هو «رئيس ظل» أوكلت له أعقد المهام : حرب الشيشان، والفرار إلى مينسك عاصمة بيلاروسيا لحل مشكلة الأسلحة النووية التي ما زالت هناك ثم اكتسب لبيد أهمية أكبر حين تلقى دعوة من رئاسة الدورة البرلمانية الأوروبية لحضور اجتماعها في سالفربورج بفرنسا، ثم حين فوضه يلتسين في حضور دورة حلف الناتو في بروكسل التي ستعقد في ٨/٧ نوفمبر ٩٦، وما بين كل أولئك لم يفت لبيد أن يوجه رسالة مفتوحة منشورة للرئيس يلتسين ينتقد فيها السياسة الاقتصادية في إشارة إلى أن دوره يمتد من مجلس الأمن القومي إلى الشؤون الاقتصادية والعسكرية والسياسية والدولية.

وبطبيعة الحال فإن وقف الحرب في الشيشان أو الوصول لحل سلمى هناك فكيف بأن يصبح أقوى أوراق لبيد في المعركة التي يخوضها من أجل كرسي الكرملين. ومن هذه الزاوية أصبحت الحرب إلى حد ما وريثاً إلى حد كبير مصنعا لتعبئة الرئيس المقل في شكل البطل الوطني الذي سينقذ روسيا من ويلات الحرب ووضع حد للاستهتار بمصر الشعب لكن هذه اللوحة الجميلة تخفي وراءها صورة لمقدمات انهيار الدولة الروسية بالفعل. ولم تكن الإشارة إلى المعاهدة الاتحادية التي عقدت بين تارستان وموسكو صدقة، فقد تعرضت العلاقة بين الطرفين لمشكلات عويصة، ثم وجدت حلا لها في معاهدة قمتح تارستان صلاحيات واسعة ولكن مع بقائها داخل الاتحاد الروسي، وتم الجمع بشكل ما بين مصالح الاتحاد الروسي ومصالح الجمهوريات الصغيرة بداخله حتى قال البعض عن تلك المعاهدة إنها «تشبه المعاهدات التي تعقدها روسيا مع إيطاليا أو فرنسا». ولكن صيغة كالصيغة التارستانية لم تستطع أن تعجز دخان حرائق القتال الشيشانية الروسي لتصل سائلة لطرف من الطرفين. وجرى دوما طرح خيارين اثنين لا ثالث لهما: إما

مع نشوب الأزمة في العلاقة بين تارستان - إحدى الوحدات السياسية التسع والشماتين التي تشكل روسيا - وبين موسكو باعتبارها مركز الاتحاد الروسي، صرح رافائيل حكيموف مستشار الرئيس التارستاني أوائل أغسطس ٩٣ بقوله: «لقد بدأ تاريخ الدولة الروسية مع غزو إيفان الرهيب لقازان عاصمة التتار عام ١٥٥٢، والآن قد تكون قازان نفسها النقطة التي سيبدأ منها انهيار روسيا». لكن نبوءة حكيموف لم تصدق، وعقدت موسكو معاهدة اتحادية لفصل الصلاحيات بين المركز وجمهورية تارستان في أواسط فبراير ١٩٩٤ أسدلت ستارا كثيفا على مخاوف انهيار الدولة الروسية من عند نهر الفولجا. وكان من الصعوبة بمكان أن تغدو تارستان نقطة البداية في انهيار الدولة، لأنها تشبه جزيرة محاطة من كل ناحية بالأراضي الروسية.

لكن نبوءة حكيموف التي أخطأت المكان - لم تخطئ الاتجاه العام... وتخبر الانهيار لنفسه نقطة أخرى: الشيشان. ومنذ أن بدأت الحرب الروسية الشيشانية في أواخر عام ١٩٩٤ عكف الكثيرون على متابعتها وملاحقة أخبارها كما يتابع المرء حصانا يعدو هاربا - دون أن يدري في أي اتجاه قد ينعطف فجأة ليختفي من مجال البصر، أو يبدل درب المطاردة. لكن الحرب الشيشانية التي راغبت مراميتها في كل اتجاه، توقفت فجأة لاهته تصبب منها العرق عند منعطف تنفس أمامه الخطورة بلا نهاية. وقد بدأ ذلك منذ ٦ أغسطس ٩٦ عندما استجمع المقاتلون الشيشانيون قواهم وهاجموا عاصمة بلادهم جروزني وكبدوا الجيش الروسي خسائر فادحة. ولم يكن ذلك الهجوم إضافة كمية لتاريخ طويل من المعارك، فقد ارتبط بصمود أسهم الجنرال الكسندر لبيد كمرشح أساسي لبديل للرئيس بوريس يلتسين المريض وهو مرشح اجتمع له طلاء الوطنية والقومية الروسية، مع حزم وروح عسكرية



الجنرال لبيد

## دائرة التقسيم القوقازية



بوريس يلتسين

## رسالة موسكو

أحمد الخيسى



الحرب المدمرة، وإما الانفصال. وعلى مدى أكثر من عام ونصف العام لسبب ما لم يستطع سياسي روسي (أو لم ترد القيادة لأحد تلك الاستطاعة) أن يطرح صيغة تجمع بين توفير الحقوق القومية المشروعة للشعب الشيشاني وبين الحفاظ على الاتحاد الروسي، علما بأن مصير الشيشان-في حالة استقلالها- لن يكون «الاستقلال» بشعبها الذي لا يتجاوز مليون ونصف المليون نسمة. لأن استقلالها كهذا مستحيل. لأن استقلالها كهذا مستحيل في ظل التوازنات الدولية الراهنة وفي ظل القوى الدولية الكبرى. وعندما تستقل الشيشان فإنها عمليا ستراجع بقدميها وأزانيها القومية خطوة من البيت الروسي إلى البيت الأمريكي، ومع أنه لا فرق -من ناحية النظام الاجتماعي- بين البقاء داخل روسيا بظروفها الرأسمالية الراهنة أو الدخول إلى الهيمنة الأمريكية، إلا أن الفارق الوحيد يتضح عندما نعلم أن تلك الخطوة ستهدد وحدة الأراضي الروسية لصالح اتساع نفوذ الطرف الآخر. لكن ثمة عوامل معقدة تجعل الإنسان يفضل أحيانا هيمنة «ذلك السيد» عن هيمنة «السيد الآخر». وفي مقدمتها التاريخ الطويل من الاضطهاد الروسي الديني والقومي لشعوب القوقاز. وقد كادت بعض التيارات المصرية خلال الحرب العالمية الثانية أن تفضل الهيمنة الألمانية القومية على الهيمنة الانجليزية. لا لشيء إلا لارتباط الانجليز في الوعي الوطني بمذاهب دنشواي والاستغلال والاستعمار وغير ذلك مما لم تكن الفازية الألمانية قد سجلته بعد في دفتر التاريخ الصرى. وتذكر قوى كثيرة خارجية ذلك وتسعى للاستفادة منه. ويمكن هنا طرح سؤال: من أين للمقاتلين الشيشان مثلا بنفقات التسليح التي ساعدتهم على القتال لأكثر من عام ونصف العام؟ ومن أين يمددهم بثلث المبالغ الطائلة اللازمة لاستمرار الممارك؟ ثم كيف أصبح المقاتلين الشيشانيين على وشك الفوز باستقلال الشيشان بعد عام ونصف العام مع أن الشعب الفلسطيني قاتل لمدة ثلاثين عاما قتالا لا حده لشجاعته ولأدبه لبسالته فلم يحصل إلا على نقطة ارتكاز محاصرة من كل ناحية؟ وقد طرحت قضية الاستقلال أو الانفصال بجدية منذ السادس من أغسطس، بعد هجوم شيشاني واسع على جروزني. وفي ١١

أغسطس اتجه الكسندر لبيد إلى الشيشان لئلا عبر داغستان حيث التقى بأصلان مسخادوف ويعلمان توقيع اتفاقية أخرى وانسحاب القوات الروسية بدا. ٢٣ أغسطس، وفي ٢٧ أغسطس يجتمع الجنرال تيموخيموف -قائد عام القوات الروسية هناك مسخادوف ويوقعان اتفاقية تسمى: الإجراءات المشتركة الخاصة بتنفيذ المرحلة الأولى من اتفاقية وقف إطلاق النار، وتسحب القوات الروسية بالفعل من جروزني قبل نهاية أغسطس، وفي ٢١ أغسطس يوقع الكسندر لبيد والزعيم الشيشاني يانديريف اتفاقية بالمبادئ العامة التي تحدد العلاقة بين روسيا والشيشان.

ومنذ ١١ أغسطس حتى ١٧ سبتمبر سافر نفس لبيد إلى الشيشان سبع مرات، لزيارة مختلف العقبات التي ظهرت في وجه عملية السلام. وتعد الاتفاقية التي وقعها لبيد الخامسة في تاريخ الصراع. وخلال ذلك حرصت القيادة الروسية لسبب ما على إشراك أطراف دولية في مقدمتها منظمة الأمن والتعاون الأوروبية في كل خطوة من تلك الخطوات. بدا من الاتفاقية الثانية التي وقعها يانديريف وتشيرنوموردين بحضور يلتقى في الكرملين (حيثما حضر تيم جولدمان رئيس بعثة المنظمة في جروزني الاتفاق في الكرملين) انتهاء بالاتفاقية السياسية بين لبيد ويانديريف في خاساف-يورت. ولم يخف ولو للحظة وجه السيد تيم جولدمان وكأنه حجاب يمنع الحسد حضوره بركة لكل اتفاق. وحتى عندما عقدت القوى السياسية مؤتمرها في ١٠ سبتمبر في جروزني للتوصل إلى تصور للحكومة الانتلاقية القادمة أطل وجه تيم جولدمان في لقاء بعد من صميم الحياة السياسية الداخلية للشيشان. ولكن ما هو الوزن الحقيقي للسيد «جولدمان»؟ لا شيء. الأهم من ذلك أن الكرملين كان الطرف الحريص على دعوته دائما ومشاركته.

وقد صور لبيد أن الاتفاق العسكري الذي وقعه مع مسخادوف في ١١ أغسطس، ثم البيان السياسي الذي وقعه مع يانديريف في ٢١ أغسطس هما المخرج الوحيد من الأزمة. وقال الكاتب المعروف سوجيتستين أن لبيد لم يوقع صكا بهزيمة روسيا لكنه قام بالخطوة الوحيدة الممكنة في ظل الهيمنة الكاملة. وأطلقت بعض الصحف الروسية على الاتفاقين «صك الهيمنة» وصرح عمدة موسكو بوري لوجكوف بأن اتفاقية

السياسية «اتفاقية استسلام عسكري أمام مجموعة من قطاع الطرق» أما «يجوز سقرويف رئيس المجلس الاتحادى فأكد أن المجلس مع وقف الحرب: لكن عندما يسعى البعض لدفع وقف الحرب اتجه آخر يهدد وحدة الأراضي الروسية فالتا لن نقف مكتوفي الأيدي».

ويتخذ جنشادى سيلزنيف رئيس الدوما نفس الموقف المعارض للاتفاق. أما جنشادى زوجاتوف زعيم الشيوعيين فاعتبر البيان السياسي «مقدمة لتفكك روسيا وتحول جيوبوليتيكي خطير». بينما اعتبره جيروفسكى «جزءا من المؤامرة الأمريكية لتقسيم روسيا وتجزئتها». هذا على حين صور آخرون أن الاتفاق كان المخرج الوحيد للخروج الوحيد من الهزيمة.

والآن لننظر في وقائع الهزيمة التي تكبدها الجيش الروسى ما بين ٦ و ١٧ أغسطس في جروزني: - في ١٧ أغسطس يعلن دوكوزافجاياف رئيس الجمهورية الشيشانية الشكلى المعين من قبل الكرملين أن اقتحام المقاتلين جروزني تم «نتيجة الحيانة» لكنه لم يوضح قصده بالحيانة. وبعد يومين يعلن مثله في موسكو إعلانا أصلا حولي في مؤتمر صحفى أن حكومة زافجاياف قد أخبرت قيادات الداخلية والجيش جروزني إلى تسليح المقاتلين للمدينة وتمزقهم في أتحائها لكن القيادات العسكرية قالت لهم: «نحن على علم بكل شئ فاطمنوا»! وقبلا بعد يعلن زافجاياف-عندما يرى أن وضعه كريس مهدد- جروزني سلمت للمقاتلين بتعليمات مباشرة من الكسندر لبيد. وفي ٥ سبتمبر يصرح وحيد أبو باكيروف النائب العام الشيشاني في حكومة زافجاياف بأن «القوات الروسية لم تفقد سيطرتها ولو للحظة على جروزني، لكن المدينة سلمت للمقاتلين»!

هذه هي «الهزيمة»! ويئا عليها وقع لبيد البيان السياسى مع يانديريف الذى أشار لضرورة توقيع اتفاقية قبل ٣١ ديسمبر عام ٢٠٠١ تحدد طبيعة العلاقات بين الاتحاد الروسى والجمهورية الشيشانية «أى إن كانت الشيشان ستظل داخل روسيا أم أنها ستفصل عنها على أساس استفتاء عام يجرى يحدد فيه الشيشانيون موقعهم. ويستخدم البيان خلال ذلك مصطلحا مثل «النزاع العسكرى» الذى يستخدم عادة عند الحديث عن صراع بين دولتين ويشير إلى «حق تقرير المصير ودون الإشارة» إلى «وحدة وسلامة

# الدولة

## التي حذر منها أحمد بهاء الدين



أحمد بهاء الدين

فيه أحمد بهاء الدين - قبل غيره- إلى الدولة الروسية الجديدة التي قد تظهر في الشرق الأوسط من مجموع المهاجرين الروس. وكان ذلك سابقا بكثير لقول الكاتب اليهودي زاخاريجمان في «نموا القيسية جازيما» إن: «دولة جديدة ظهرت في الشرق الأوسط»، دولة أخرى داخل إسرائيل. عادها المهاجرون الروس ويعتبر عدد مواطنيها من المليون نسمة. وتشير الإحصائيات إلى أن عدد المهاجرين الروس قد وصل إلى ثمانمائة ألف نسمة إذا استمرت الأوضاع على ما هي عليه في الشرق الأوسط وروسيا فإن عددهم سيبلغ المليون خلال عامين على الأكثر. وبعد أن كانت جالية الغاربية اليهود تعد أكبر الجاليات تقدمت الجالية الروسية لتشغل المكان الأول دون منازع داخل إسرائيل.

الأراضي الروسية». ثم ينص على أن الاتفاقية التي ستوقع بعد خمس سنوات ستكون «وفقا للأعراف والمبادئ الدولية المتعارف عليها».

وزاد العامل الدولي من حضوره وتأثيره بعد أن وجهت دعوة البرلمانية الأوروبية دعوة لالكنسندر لبيد وأصلان مساحادوف لحضور اجتماع الدورة في سالزبورج في نهاية سبتمبر ٩٦. ويعتبر القوميون والشيوعيون أن ذلك تدخلا واضحا في شئون روسيا الداخلية، فلم يسبق للمجلس الأوروبي أو لدورته البرلمانية أن دعت -مثلا- ممثلين للجيش الجمهوري الإيرلندي، أو قادة الحركة الكردية في تركيا، أو الانفصاليين في كورسكا، وعرب ورجانوف عن دهشته من أن المجلس الأوروبي سيتناقش بيان خاساف بور- السياسي على حين لم يناقشه بعد المجلس الاتحادى (أحد مجلسي البرلمان الروس) معتبرا أن ما يجرى هو سعى حيث لتفكيك روسيا وأن المستول الأول عن ذلك هو الرئيس يلتشين. ويرسل جيشاى سيلزنييف رئيس الدوما خطابا إلى ليني فيشر- رئيسة الدورة البرلمانية للمجلس الأوروبي- يعلن فيها أن الوفد الروسى لن يشارك في الدورة إذا تسكت بدعوة أصلان مساحادوف والوفد الشيشانى. بل ويعلن سيرجى ياسترجيم يسكى الناطق الصغرى باسم يلتشين أن تلك الدعوة «تدخل في الشئون الروسية الداخلية لن يسع موسكو على الأرجح أن تقبل به» (ولاحظ هنا على الأرجح)، ويعلن جيشاى تاراسوف مثل المهاجرة الروسية أن دعوة مساحادوف أمر «لا يمكن القبول به» ويردد ذلك ليس بكون تدويل القضية مفروض من أساسه بل لأن «الدعوة توجه أيضا لدكوا قيايف».

المشكلة أن ليني فيشر ترد على كل هذا معرفة عن دهشته من الضوضاء الروسية بقولها إن دعوة الوفد الروسى والشيشانى أمر تم الاتفاق عليه مع موسكو بالتفصيل خلال شهر أغسطس.

وعندما تفصل الشيشان عن روسيا فانها ستصبح مقفلا أماميا لنفوة الناتو، وحاجزا يفصل نهايتها بين روسيا وبين دول ما وراء القوقاز الثلاث: جورجيا وأرمينيا وأذربيجان. وقد يكتسب انفصالها أهمية أخرى مضاعفة إذا أضيفت القضية إلى بوابة الصراع الإسلامى- المسيحى وهى من المخططات الرائدة لدى الناتو، وتحتل فيها روسيا دور الفصيل الأمامى لتلك المواجهة في طاجيكستان والشيشان وآسيا الوسطى.

المهاجرين هو حزب «الطائفة الإسرائيلية»، وبفضله أصبح تاتانشارنسكى وزيرا للصناعة والتجارة الإسرائيلية. وكان قد طرد من الاتحاد السوفيتى فى ١١ فبراير ١٩٨٦ بعد أن قضى تسعة أعوام معتقلا بتهمة الجاسوسية التى ينفيها شارانسكى مدعيا أنه كان يدافع عن «حقوق الإنسان» اليهودى بالبطيخ. وقد جدد احتمال زيارة يقوم بها شارانسكى لروسيا وزيرا- بعد أن طرد منها جاسوسا- مشكلات العلاقة بين تل أبيب وموسكو. ومع أن شارانسكى نفى أنه سيقوم بزيارته قريبا إلا أنه أكد أن تطوير العلاقات التجارية والاقتصادية مع روسيا تعد إحدى أولويات سياسة وزارته. وأضاف أن

وتتميز يهود روسيا- خلافا لليهود الذين عاشوا في إسرائيل بعدوانية بالغة نظرا لخداشهم ولوصولهم إلى إسرائيل في لحظة الانتصارات العسكرية والانهايار العربى العام. إن اللحظة وحدانية والعلاقة مع الفلسطينيين أغريا اليهود الروس يمزج من العدوانية والتطرف. وقد صوّت غالبية المهاجرين الروس لصالح تشيهاو الأشد تطرفا في مواجهة شمعون بيريز الأقل تطرفا في الانتخابات الإسرائيلية الأخيرة في ٢٩ مايو ١٩٩٦، وكانوا أحد العوامل الهامة في دفع التطرف الاسرائيلى إلى المقدمة مؤخرا.

ويادر مواطن سوفيتى سابق هوناتاشارانسكى بتأسيس حزب لأولئك

لنعود عمليا نفس النشاط تحت باظنة أخرى. ووصل إلى موسكو المواطن الإسرائيلي «أرييه سادي» الذي يتقن اللغة الروسية في انتظار إن يترأس الوكالة الجديدة ما أن تمحه وزارة العدل تصريحها بالعمل. ويرتبط ذلك الاصرار بمخطط توسيع الدولة الجديدة التي أشار إليها أحمد بهاء الدين ميكرا وحذر مصر والعرب من خطورتها. وبشكل أفراد هذه الدولة جسرا بشريا يضع قدما في تل أبيب، وقديما أخرى في موسكو ليغدو إحدى أهم حلقات تطوير العلاقة مع روسيا والسيطرة على التوجهات السياسية الروسية.

والرغم من الأحداث والأناسير عن أرض الميعاد والوطن اليهودي إلا أن الروس في إسرائيل يعيشون حياتهم الخاصة فيقرون الصحف الروسية التي تعاد طباعتها في تل أبيب، مثل «موسكوفسكي نوفاستي»، و«سيمفودنيا» و«أرجومنتي إي فاكشي»، وغيرها، ويلتقطون محطات الإذاعة الروسية وقناتين تلفزيونيتين، ويترددون مع أطفالهم على مساح خاصة بهم، ويلحقون أبناءهم بمدارس روسية، ويقتصرون على العلاقات الأسرية التي تنشأ فيما بينهم. وأيا كانت الأساطير المقدمة فانهم يستشعرون الغربة التي عبرت عنها شاعرة إسرائيلية من أصل روسي حين كتبت تقول في إحدى قصائدها:

- وحده الطير المعلق بين السماء والأرض.  
هو الذي يخير الأسي لفرق الوطنيين».

وبالها صورة شاعرية لطائر علقه الحزن على فراخ وطنيه بين السماء والأرض طائر من الكواكب لا يحرك شجنه سوى عجزه عن التهام قطعة من ساء روسيا وحفنة من تراب فلسطين في نفس الوقت، لأنه إن تشب مخالفه في السماء هوت من بينها ذرات الأرض الأخرى. وفي الشعر الإسرائيلي يقدر العجز عن العدوان مادة لاجزان القلب وأسفاه.

وكان أحمد بهاء الدين أول من أشار إلى ذلك الطائر الكتيب في السماء قبل أن تراء عين قبله!

**أحمد الحميسي**

روسيا، بل وأنشأت الوكالة خمسين فرعا لها في مختلف الأقاليم الروسية خلافا لتصريح وزارة العمل. وفي ٢ أبريل ٩٦ قامت الوزارة بإلغاء التصريح الممنوح للوكالة، ثم أعلنت عن ذلك فقط في مايو ٩٦. وبرت الوزارة ذلك بتصريح رسمي متحفظ قائلة أن الوكالة خالفت القوانين الروسية. لكن مصدرا مطلعا في المخابرات الروسية أدلى بحوار جاء فيه أن سحتوت كانت تجمع المعلومات على نطاق واسع بشأن الطاقة المحتملة للهجرة اليهودية من روسيا ودول الرابطة، وسعت لأغراء المواطنين بالهجرة بتقديم المنح الدراسية والعلاجية لهم، وكانت تشترط على الراغبين في تلك المنح أولا الحصول على الجنسية الإسرائيلية، ملاحظة أن القانون الروسى يسمح بازدواج الجنسية. وأضاف مسئولون آخرون أن سحتوت تسترت بالمؤتمرات العلمية لتدعو بشكل منتظم علماء روسيا من أصحاب المخترعات العلمية والاكتشافات الهامة ثم ترتب لهم سفريات إلى تل أبيب كأنها مناقشة كيفية تنفيذ تلك المخترعات. وأضاف المسئولون أن الجهات الروسية المختصة تعتقد أن اللجوء لاستغلال الطاقات العلمية الروسية دوافع رغبة أمر بمس الشئون الداخلية لروسيا.

وفي تعليق على إغلاق الوكالة قال فيكتور بوسفاليوك النائب الأول لوزير الخارجية لا ينبغي اتهامنا بالتحيز أو عدم الموضوعية، كل ما في الأمر أن فترة الأمل والنشوة التي أعقبت استئناف علاقاتنا بإسرائيل قد انتهت.. ولا ينبغي أن يثير حزنا كل ذلك القدر من الحساسية المفرطة. و قيل القرار بإغلاق فرع الوكالة كانت المخابرات الروسية قد الفت القبض على ضابط روسى يعمل في المخابرات العسكرية وهو يسلم إلى أحد متدوبي الموساد صورا سرية لعدد من المواقع الدفاعية في بلدان من الشرق الأوسط. ولكن رئيس الوكالة أقرام بوجج لم يستسلم لقرار الإغلاق، فشد رحاله لموسكو مرة أخرى بعد شهرين في زيارة خاصة بأمل أن يثنى الجهات الروسية عن قرارها، وحين فشل، تقدم نفس العاملون في فرع سحتوت بطلب آخر لتأسيس وكالة جديدة هي «الوكالة اليهودية في روسيا»

ثمة طابورا من رجال الأعمال الاسرائيليين ينتظر عقد اتفاق بين موسكو وتل أبيب يوفر الضمانات اللازمة لرأس المال الأجنبي عن مخاطرته بالعمل في الأسواق الروسية.

ومع استئناف العلاقات الدبلوماسية بين تل أبيب وموسكو عام ١٩٩١ لم يكن حجم التبادل التجاري بين البلدين يزيد عن أربعين مليون دولار، لكنه وصل اليوم إلى نصف مليار سنويا. ولكن مشكلات سياسية تلوح من وقت لآخر فتعطل تطوير العلاقات بين البلدين، كانت في مقدمتها مسألة إغلاق فرع وكالة سحتوت اليهودية في موسكو وهي نفس الوكالة الشهيرة التي أنشئت قبل قيام دولة إسرائيل غصبا وعدوانا لتجسيع اليهود وحثهم على الهجرة إلى فلسطين لاغتصاب الأراضي وطرد أصحابها منها بالقوة. ويعد إعلان قيام إسرائيل واصلت الوكالة دورها في تجسيم الشئان اليهودى من دول أوروبا وسوقه إلى فلسطين. ثم برز نشاطها على صعيد آخر: رد الاعتبار لليهود الذين لاقوا اضطهادا والعمل على توفير المساكن لهم في المستوطنات، ورعاية الشباب، ثم نشطت في مجال جديد أسسته «التطور والتجديد» استهدف التخطيط والعمل على المدى البعيد لحماية الكيان الاستيطاني. ولكن الوكالة ظلت وفية لأهداف التجسس وتجنيد العملاء لصالحها. ملاحظة أن حق تنظيم السفر والهجرة إلى إسرائيل من صلاحياتها وحدها. وفي ١٩٩٢ وافقت وزارة العدل الروسية على تسجيل فرع للوكالة في موسكو بشرط أن يقتصر نشاطه على العاصمة الروسية وحدها، لكن القائمين على سحتوت تحركوا بحرية في كل أنحاء



الكتاب



## في حفل الحزب الشيوعي السنوي النقد والتغيير

### المجتمع الفرنسي يتجه إلى أن يصبح أكثر عنف وأقل عدالة.. وتراجع فيه الحضارة

#### رسالة باريس

##### نجلاء العمري

شهر سبتمبر في باريس يعني شيئين : دخول المدارس وحفل صحيفة "لومانيته"؛ من الصعب أن تكون بباريس في هذا الشهر ، ولاتراودك فكرة الذهاب إلى حفل "الشيوعيين" كما يطلق الناس في الشارع هنا على هذا الحفل الذي يمتد ثلاثة أيام - من الجمعة إلى الأحد ، من الصباح وحتى الساعات الأولى من الفجر .

الأنشطة تعلن عن الحفل ، تغزو محطات المترو بدءاً من شهر يوليو مذكرة الباريسيين بهذا اللقاء السنوي . وما إن يقرب الموعد ، إلا و ينتشر أعضاء الحزب في أركان الشوارع ، يجدهم على كل ناصية يعرضون المجلة "لومانيته" للبيع وتذاكر الدخول والبرنامج . وتستعد هيئة النقل العام هي الأخرى ، فتخرج أتوبيسات خاصة لنقل الآلاف من محطات المترو إلى مكان الحفل المعتاد... حديقة "الكورنيش" إحدى ضواحي باريس الشمالية . الضاحية التي تحمل رقم ٩٣ حيث مقر الجريدة التي يحمل الحفل اسمها ، وحيث أغلبية السكان من الطبقات الشعبية والمهاجرين .

هذا العام ، فات الحفل كل التوقعات . فمن الجمعة الثالث عشر إلى الأحد الخامس عشر من سبتمبر ، توجه ٦٠٠ ألف باريسى إلى ضاحية "الكورنيش" ليمضوا عطلة نهاية

الأسبوع في حفل " الشيوعيين " والرقم ، لايبنى على الاطلاق ، أن كل هؤلاء من الأعضاء في الحزب . أو حتى من المتعاطفين معه . فاهمية الحفل أنه استطاع أن يجمع قطاعات كبيرة من الباريسيين ، من كل الاتجاهات ، من يهتم بالسياسة ومن لايهتم بها ، من يصوت للحزب الشيوعي أو لليسار ومن يصوت لغيرهم . فلكل من هؤلاء . استطاع هذا الاحتفال السنوي أن يجد مايعجب اليه .

في تلك اللحظات بأطرافها ، ترى في الحفل فرصة لقضاء نهاية ممثلة للأسبوع حيث الألعاب والملاهي ، وحيث يمكنك أن تتناول الغداء في كوبا والعشاء في فينتنا مروراً بأكواب التيكبالي في أمريكا اللاتينية .. والعرقوس أو الشائ الأخضر في المنطقة

العربية وحتى عصير الأرز في الصين فكل مقاطعة فرنسية جاءت بترائها من الأزياء والمأكولات والمشروبات ، وكل دولة أو حزب جاء هو الآخر بما يميز بلده .

ثم هناك الشباب الذي تجذبه الموسيقى ، موسيقى الشعوب ، ولكن أيضاً موسيقى الروك والجاز وأصوات المغنيين المشهورين الذين ينجح الحفل في استقطابهم كل عام ، فيتيح بذلك لهذا الجمهور من الشباب أن يروى ويستمتع إلى أصوات مشهورة على مدى أيام ثلاثة ببلوغ لا يصل إلى ربع ثمن تذكرة حفل أى منهم في مكان آخر .

وهناك أيضاً المثقفون والمسيون تجذبهم أروقة النقاشات بلغ عددها هذا العام مائة وخمسين ندوة ما بين الأدب والإعلام والحقوق والسياسة .

حتى الأطفال ، لهم قريتهم الخاصة ، حيث عروض البهلوان والمكياج وأيضاً منظمة العفو الدولية تعرض لهم " وثيقة حقوق الطفل" .

النجاح الجماهيري إذا كان هذا لعام مشار حديث وسائل الإعلام التي تناقلت رقم الستاتئة ألف وائر وراوت في هذا الرقم مع الشعار الذي عقد حوله الاحتفال بداية جديدة للحزب الشيوعي الفرنسي فالشعار كان "شبيوعية : التغيير " وهو ذاته عنوان آخر كتب سكرتير عام الحزب روبرت هيو .

في أروقة الندوات ، وأهمها كانت ندوة السكرتير العام بالقطع ، تأكدت السياسة الجديدة للحزب ، التي تشكل من ناحية قطيعة واضحة مع تراث " جورج مارشيه " ومن ناحية أخرى ، الأساس الذي سيعقد حوله المؤتمر التاسع والعشرين للحزب في ديسمبر القادم استعداداً لخوض الانتخابات التشريعية في ١٩٩٨ . واتضح من الوثيقة التي طرحت للنقاش وصاغتها اللجنة الوطنية ، وفي مجمل النقاشات في المرحلة الجديدة تحت شعار " التغيير " تقدم على مبدئين: الأول ، الافتتاح ، الافتتاح على مجمل قوى اليسار . والثاني التوجه إلى الفرد والإعلاء من قيمة التجربة الذاتية الفردية ، وفي المبادرة الفردية في صيغة تطرح المجموع على أنه حاصل جمع لهذه التجارب لاتنافي لها.هذان البدأن ظهرا بوضوح في وثيقة اللجنة الوطنية المطروحة من الآن وحتى ديسمبر للنقاش ونحوال من تعرض هنا للنقاط الخمس الأساسية التي قدمتها . أولاً : خيار الإنسانية والديمقراطية



تبدأ الوثيقة بالتساؤل حول الجدوى من وجود الحزب الشيوعي في ظل حقيقة يجب الاعتراف بها ألا وهي تقدم "اليمين" وجودي الخيار الذي حدد نفسه ، خيار الانسانية والديمقراطية ومدى فاعليته في مواجهة الرأسمالية؟ وفي نطاق النقد الذاتي الذي مهن على الوثيقة ، طرح التساؤل حول الفارق الكبير مابين الأصوات التي يحصل عليها الحزب ومابين نوايا التصويت له أو حتى اتجاهات التعاطف معه؟

فمنذ سنوات ثلاثة ، وفي المؤتمر السابق للحزب ، قرر الحزب التحول إلى "حزب شيوعي من نوع جديد ، يتوحد مع القدرة الثابتة لكل فرد ومع الديمقراطية". ودعا إلى هيكلة سياسية جديدة ، يجمع داخل البرلمان وداخل الحكومة كل قوى اليسار والتقدم على أن تقوم هذه القوى - بالمشراكة مع الشعب - على تنفيذ سياسة التغيير.

وترى الوثيقة أن مواجهة حقيقة تقدم اليمين لا تتم إلا بتحقيق شرطين : الشرط الأول أن لا يأس الشعب أبداً وأن لا يتخلل عن قدرته على التدخل بكل الوسائل التي تمكنه من التأثير على سلوك القوى السياسية المختلفة وبخاصة من خلال التصويت. ومبدأ "التعددية" هو الأساس لليسار مع الاعتراف أن العدد الضئيل جداً المؤيد للتحالف الشيوعي داخل اليمين اليسار هو عائق ضده وتزييف لطبيعته.

وأثارت هذه النقطة الأخيرة - في مناقشات الحفل - اشتقاقاً وجداً كبيرين . فظهر اتجاهان ، الأول يرى أن صياغة الوثيقة قد ذهبت بعيداً في هذا الخصوص والأخر يرى أنه من الأهمية إحداث تغييرات من نوع مختلف دون أن يحدد مع ذلك وعلى وجه الدقة ماهية هذه التغييرات المختلفة . ولذا أكد أن الجدل حول هذه النقطة سيثار وسيدور خلال المؤتمر القادم ... وفي تعدد في حد ذاتها استمراراً للنقد الذاتي الذي مارسه الحزب منذ مؤتمره الثاني والعشرين عام ١٩٧٦ ، وفيه سجل قطيعة مع العديد من المسلمات والممارسات التقليدية.

والقطيعة أصبحت أكثر وضوحاً مع التعريف الجديد المطروح اليوم للحزب الثوري . فالوثيقة المطروحة للنقاش من قبل اللجنة الوطنية للحزب تقول أن "حزبنا هو حزب ثوري ، ليس بمعنى أننا نريد تحطيم كل شيء واقامة مجتمع جديد بغض النظر عن حقائق الواقع . ولكن بمعنى أننا نريد المساهمة في إيجاد حلول ملائمة لهذا الواقع ولتحدياته

على أن تكون هذه الحلول مواكبة لتغيير عميق في المجتمع ، ومن أجل نظام عالمي جديد. إن اختيار "الانسانية والديمقراطية" يستجيب لحاجة معظم الأفراد للتغيير ، ولإرادتهم في تحقيق الاستقلال ، وفي أن يكون كل فرد مسوعاً ومحترماً . ولكنه يصطدم بالمنطق الجاهل للرأسمالية التي تسعى أكثر فأكثر إلى تركيز السلطات والمعارف والثروات ، والتي تغذي المنافسة بين الأفراد والشعوب ، وتغذي مشاعر القلق ، وأحلام انتظار "الزعيم".

وتعترف الوثيقة بصعوبة خيار الديمقراطية ، فهناك أزمة حقيقية ترم بها السياسة بشكل عام ، وهي أزمة لا يتنج منها الحزب الشيوعي نفسه.

وفي إطار "الواقعية" ، تعترف الوثيقة أيضاً بأن أغلبية الشعب لا ترى في قوى اليسار اليوم بديلاً حقيقياً. ولابد وأن هذا "الوعي" يعبر عن حقيقة ما خاصة في ظل استمرار الخلافات مابين قوى اليسار حول الخيارات التي يجب اتخاذها لمواجهة هيمنة "اليمين" من أجل المال".

وحول هذه النقطة ، انقسمت الآراء. أيضاً . فهناك من رأى قصر التجمع على الحزب الشيوعي ، بينما رأى آخرون ضرورة البحث عن صيغة توافقية جديدة بين كل قوى اليسار خاصة من الانتخابات القادمة وحدد المناقشون هذه القوة في اليسار المتطرف واليساريين. وطرح التساؤل حول ضرورة الاجابة بصراحة حول ما إذا كانت هذه القوى هي بالفعل على استعداد لتولي الحكم معاً؟ وإذا كانت الاجابة بنعم ، فعلى أي أساس؟

## تراجع المجتمع الفرنسي

النقطة الثانية في النقاش المحسن تتعلق بالمجتمع الفرنسي ذاته والتغييرات التي تتمثل بداخله . واجابة اللجنة قاطعة فالمجتمع الفرنسي في طريقه إلى أن يكون أكثر عتفاً وأكثر حدة ، وأقل عدالة ، وتتراجع فيه الحضارة.

وفي العادة ، ماتساق تبريرات التقدم والتكنولوجيا والعولمة لئلا هذا التراجع . ولكن المناقشات والوثيقة أكدا على أن هناك سبباً آخر ، فهذا التراجع والتردي يعود إلى الاختيارات التطبيقية للأوساط المتحكمة في الدولة وفي الاقتصاد في ظل سياسة تخضع لاعتبارات الكسب المادي وتريد أن تخضع المجتمع كله لها. ومن الأجدى أن نقودنا

التقدم والتكنولوجيا الحديثة وتراجع الحضارة إلى التساؤل عن ماهية الهدف الذي يجب أن يخط به مجتمع متحضر؟ هل هو الكسب والمال من أجل المال ، أم الانسان وسعادته وحقوقه.

فلا شك أن فرنسا دولة متقدمة وهي إحدى القوى الرئيسية في هذا العالم . ومع ذلك ، فاليمين ، تضرب البطالة فيها عاتلة من كل أربع عائلات ، والعمل المؤقت ونصف الوقت كعلاج حتى أصبح العمل وضماناته في الدستور غير المدون وكأنها من مخلفات عصر سابق . وأصبحت كل المكتسبات الاجتماعية للفرنسيين ينظر إليها وكأنها ترف لم يدعوا يقيموا في أوقات الأزمة . وكان كل ما يصر على الانسان ومن أجله هو من قبيل الضرورات الزائدة الواجب ضغطها.

وتؤكد المناقشات على أن حالة التردى أصابت العالم كله ، فلقد أصبح أكثر خطورة وأكثر تهديداً. وتعددت ذلك إلى الفرد ذاته في علاقاته بالعمل ، وبالساسة وفي حياته الاجتماعية وفي حياته الخاصة .

وتطرح الوثيقة التساؤل الآتي: أليس من الأفضل بدلاً من الحديث عن التردى أن نتسكك بما تمخضت عنه هذه الأزمة من التساؤل حول الهدف في المجتمع ، وفي ظهور أشكال جديدة من التضامن الاجتماعي ؟

وتضرب مثلاً على ذلك بالأسرة . ففي الوقت الذي أصبحت فيه الأسرة مهددة بالانهيار أعيد لها اعتبارها كساحة من الحب والتضامن . والشئ نفسه يتعلق بالمرأة ، وتهديد مكتسباتها ، أعاد الحياة إلى الحركات النسائية . حتى العولمة، في شكلها الحالي ، فبدلاً من التعامل معها على أنها "السياسة الممكنة الوحيدة" كما يدعى اليمين أو تدعى "الواقعية السبانية" يسعى الأفضل النظر إليها بشكل إيجابي . فالقائم الهائل في إمكانيات التبادل والتعاون بإمكانه أن يساهم في فرض نمط جديد في التنمية على المستوى العالمي . فالعولمة الحالية يمكن مواجهتها بعولمة أخرى ، عولمة التعاون في خدمة التنمية المشتركة للشعب.

وتؤكد الوثيقة على ضرورة أن تلغي في ثقافة الحرب وممارساته قيم " الدولة ETATISME أى التدخل والاعفاء المبالغ فيه على الدولة . وأيضاً على قصر التغيير على الوصول إلى الحكم . فمع الاعتراف بأن مسألة الوصول إلى الحكم تظل جوهرية وأساسية إلا أنه يجب النظر إلى

## السكرتير العام للحزب يعلن

### القطيعة مع تراث «جورج مارشيه»

حول حركة الأموال . كما يجب إلغاء الانفاق غير المبرر الذي نتج عن النمو المالي وعن المنافسة المبالغ فيها في ظل الحرب الاقتصادية القائمة ، مع التأكيد على التعاون مابين القطاعين العام والخاص ورأس المال الوطني والدولي .

وتؤكد الوثيقة ، في هذا الجزء ، على ضرورة تحديث التعليم ، وتوفير الحماية الاجتماعية لأن الاستثمار في الوقاية هو السبيل الحقيقي لحفض النفقات .

وفيما يتعلق بالديمقراطية تندد الوثيقة بما أسمته "الانحراف الملكي للحكم" أي هيمنة المؤسسة الرأسمالية على قطاعات متعددة ومنها الإعلام . وتؤكد على ضرورة إعادة إحياء الديمقراطية الحقيقية بمسئولياتها المختلفة وخاصة في أماكن العمل " فلا يمكن أن توجد الجمهورية في المجتمع بينما توجد الملكية في أماكن العمل " .

#### الحزب

وتختتم الوثيقة نقاشاتها بالتساؤل عن دور الحزب ذاته ، وهل هو على الطريق السليم؟ وهل يسير بالسرعة المطلوبة؟ ثم كيف يرى الرأي العام الحزب الشيوعي وكيف يرى الصحافة الشيوعية ومضمونها وتوزيعها؟ وكيف يمكن لها أن تعكس التوجه الجديد أي التنوع والانفتاح .

وتؤكد هذا الجزء على ضرورة إعطاء مساحة أكبر لكل عضو كقدر . فلم يعد هناك قالب واحد لابد وأن تصب فيه كل الآراء ، والمركبة الديمقراطية " لابد من تخطيها داخل الحزب ذاته وفي قيادته مع التأكيد على الانتخاب كوسيلة وحيدة في كل مستويات إدارة الحزب . وإعطاء الفرصة للشباب والمرأة على أن تتم مواصلة أساليب العمل للأنماط حياة الأجيال الجديدة وليس العكس .

#### .. وينتهي الحفل

ويختار روبير هيو أن يعهد بخطاب الختام إلى جوي هيد ، إلى إمرأة مؤكداً بذلك توجهات الحزب الجديدة .

وكيل مغادرة الحفل ، تنجول في " الساحة الدولية " تقف عليها الثلاثة: الجناح الكوي ، والجناح الصيني ، والأجنحة الجزائرية التي تعددت . واستقلت المرأة الجزائرية بجناح خاص بها .

وتتصالح بعد ذلك الأجنحة العربية الأخرى ، فالجناح السوري خال إلا من لافتة وركن لبس سندويشات الشاورمة ، وجناح منظمة التحرير خال إلا من بعض مقاعد فارغة . ونبعث عن الجناح المصري .. ويبدو - وكما هو الحال منذ عدة سنوات - أنه قرر هذه المرة أيضا .. الاختفاء .

التعامل مع المقدرات الإنسانية على أنها سلع تشتري بأرخص الأسعار ثم يقذف بها بعد ذلك إلى البطالة . ومن المهم أيضا التخلص من "إنابة الدولة ETATISME dele-gation وحل محلها قيم الديمقراطية المباشرة ، التسوية . والتضامن المتبادلين ، وتقاسم الأدوار والمعارف .

وحول كيفية التخلص من هيمنة رأس المال في كل قطاعات الإنتاج والحياة الاجتماعية ، ترى اللجنة الوطنية ضرورة بحث مسألة الملكية الجماعية لوسائل الإنتاج ووسائل التبادل الكبرى . مع ضرورة التفكير في صيغة جديدة للعلاقات مابين القوى والادارة وأغاط الملكية حتى تتجنب الدولة والجماعية ( ألا يغالي في فرض الصيغة الجماعية ) Gilectivisme على أن يحدث نوع من الربط والمزج مابين تنوع أقطار الملكية الشخصية والاجتماعية .

#### تجمع اليسار الجديد

وتقرر النقطة الرابعة للوثيقة أن " وفاقا ما جمع مابين اليمين والحكومات الاشتراكية منذ الثمانينات داخل "صن" الليبرالية جعل هذه وتلك في النهاية تتخذ توجهات متشابهة ومن الضروري الآن تحطيم هذا "الصن" . وليس ذلك ابتعاداً عن الواقع فالواقعية الجديدة يجب أن ينظر إليها على أنها أردة فاعل في مختلف وسياسة مختلفة غير تلك التي قُشلت في حل مشكلات مجتمعات ومن المهم إقرار في ذلك الشأن حقوق جيلنا للعاملين ومن المهم أيضا التأكيد على أن التراث الفرنسي هو أن السياسة التي تحكم فرنسا هي تلك التي يختارها شعبها . ويصبح من المهم تحقيق التضامن مابين العاملين والقرى الثاقبة والتقدميين على مستوى أوروبا لمواجهة شروط معاهدة ماستر يخت . ففي الوقت الذي بدأت فيه شعوب أوروبا تتخبط على السياسات الليبرالية ، فإن فرنسا إذا ماقررت اتخاذ طريق مختلف لن تكون أبداً معزولة .

والمسألة تتعدى حدود البعد الاقتصادي وحده . ففضائح كفضيحة " البقرة المجنونة أو الأدوية التي يرفض انتاجها بدعوى أنها غير مريحة تجاريا ، كلها ممارسات يجب ادانتها . والحقوق الجديدة للعاملين يجب أن تتخذ حق المعرفة بأقرار مبدأ الشفافية وتوافر المعلومات

التغيير على أنه عملية تتم حيث توجد أي سلطة : داخل المؤسسة ، في الحياة الاجتماعية ، داخل حدود فرنسا أو على مستوى أوروبا . فمن المهم بناء علاقات جديدة توازن قواعد اللعبة الرأسمالية في كل مكان وفي كل المستويات .

#### الشيوعية الجديدة

أية حضارة تريد وأية شيوعية تعني؟ السؤال يصبح صعبا في اللحظة التي يواجه فيها المجتمع تراجع الحضارة ؛ ويبحث بالتالي عن أفكار وقيم جديدة . ومع الاعتراف بأن ماحدث في دول أوروبا الشرقية باسم الشيوعية أسباب هذه الشيوعية عندما صورها وكأنها عاجزة على أن تحمل المثالية التحررية ، فمن الضروري إعادة التفكير في الشيوعية مع قراءة جديدة لتاريخ تطبيقها قائمة على النقد .

هذه القراءة بدأت بالفعل مع المؤتمر السابق الذي دعا إلى تفكير أعقق حول المفاهيم التي شكلت على مدار العقود الماضية الرؤية للمجتمع وللثورة وللإشتراكية وللدور الثوري للحزب . وأشار المؤتمر آنذاك إلى أن الماركسية اللينينية قدمت ولعدة أجيال رؤية للثورة في شكل "كتالوج" جاهز من القوانين . ومن قبل منذ عام ١٩٧٦ ، أعلن الحزب الشيوعي الفرنسي تخليه عن مفهوم "ديكتاتورية البروليتاريا " كبدية محاولة لاراساء مشروع اشتراكي فرنسي قومي الديمقراطية .

وهذه المراجعة ، تؤكد عليها وثيقة اللجنة الوطنية متسيفة أن الطريق أصبح بالفعل ممهدا للتحرر من طغ المفاهيم التي أكدت عليها الدولة الثالثة: الماركسية - اللينينية ، الحزب - القائد ، الماركسية - الديمقراطية .

هذه المراجعة تستمد مشروعيتها من فشل المشروعات المقدمة سلفا على طريقة " تسليم مفتاح " فتحرير المجتمع من الهيمنة الرأسمالية يتطلب ليس تفضيلا لصالح طبقة معينة ، ولكن العمل من أجل جمع كل هؤلاء الذين يعانون من هذه الهيمنة . فعلى سبيل المثال ، من المهم طرح مفهوم جديد ومفهوم جديد لوقت الفراغ ، فلا يمكن أن يحدث التقدم في ظل حضارة قائمة على تكنولوجيا شديدة التعقيد لم يسبق لها مثيل في التاريخ وتستمر في

# نداء من عالمة اسلاميات المانية إلى الرئيس مبارك

## حكم النقض ضد نصر أبو زيد

### يضر بسمعة مصر والإسلام

العقائدي للإسلام.

وفي بيانها التأسيسي قالت اللجنة: «إن أعضاء لجنة التصارة يريدون أن يوضحوا للرأي العام الألماني أن الإسلام ليس المستول عن هذا التطور وإنما المتطرفون اليمينيون الذين يوظفون الدين لأغراضهم السياسية ويتكبرون للثقافات الإسلامية السمعة. وكانت اللجنة قد وجهت رسالة إلى الرئيس حسني مبارك تقول فيها أن الدولة المصرية مسئولة عن حماية مواطنيها من تعديلات المتعصبين الذين يخونوا أغراضهم السياسية خلف ستار الدين. وإن هذا الحكم يمكن أن يفتح الطريق لسلطة من أحكام مماثلة تحول مصر ثقافياً إلى صحراء قاحلة. وأن الحكم يضر بمكانة الإسلام.

ولكن تهازل اللجنة السابق أصيب بخيبة أمل شديدة بعد حكم محكمة النقض.

إن الصورة القديمة التي رسمها الفكر الاستعماري للعالم العربي الإسلامي كعالم مشر للخرق والرعب ولا يؤمن.. هذه الصورة التي بنت عليها وأضافت إليها الدعاية الإسرائيلية بزود رسوخها في ذهن الأوروبي للاستبد.

### دفاعاً عن سمعة مصر ونظامها القانوني.

وجهت السيدة أنيماري شيميل Annemarie Schimmel (٧٤) سنة المستشرق واستاذة وخبيرة اللغات الشرقية، التي اشتهرت عالمياً لتعمقها في علوم الإسلام وتبصرها في الطرق الصوفية، وجهت نداء للرئيس مبارك ليتدخل دفاعاً عن سمعة مصر ونظامها القانوني وعن د. نصر أبو زيد العالم الذي أخذ على عاتقه الدفاع عن الإسلام في الغرب.

وكانت بروفييسور انيماري شيميل قد

## رسالة ألمانيا

### نبيل يعقوب

مناصرة نصر أبو زيد وابتهاال يونس المعيرة عنهم بياناً متفانلاً قبل صدور حكم النقض. واللجنة تشكلت من عدد من أساتذة «السيناتور الشرقي» في جامعة بون، وتضم مجموعة من علماء الاستشراق الجدد والكتاب والفنانين الذين يبذلون جهداً هاماً للرد على الاتهامات المناهضة للإسلام، ومن أعضاء اللجنة الأستاذة آنيماري شيميل عالمة الاسلاميات الألمانية الشهيرة وعضوة أكاديمي العلوم في أمريكا وألمانيا وبروفيسور ستيغان فيلد بجامعة بون ورئيس تحرير مجلة «عالم الإسلام» والكاتبة الصحفية بيانه هيتريش والصحافي يوهانيس واخرو، وعالم الإسلاميات تاند كرماني والأستاذة جودرون كرمير، وعدد من أبرز علماء الاسلاميات الألمان وكانت اللجنة قد استنكرت في بيان لها الحكم بالتفريق بين أ. د. أبو زيد وزوجته د. ابتهاال يونس وحذرت من أن هذا الحكم يمثل - في مصر - «سابقة لمحكمة تفقيش إسلامية» ضد مثقف مصري يفكر بشكل نقدي» وفي الصراع بين الاسلاميين الذين يزدادون راديكالية والحكومة يعزز هذا الحكم السياسة الشمولية التي تزيد من تقييد حرية الرأي وتجرم الكلام على النقاد بناء على تفسيرها العقائدي للإسلام.

معركة د. نصر حامد أبو زيد وزوجته د. ابتهاال يونس محتدمة في الاعلام الأوروبي. واصدقاء مصر والعرب والمسلمين من الاوروبيين في مازق. مقالات وبرامج تلفزيونية واذاعية لا حصر لها تنظر الآن إلى العالم العربي والإسلامي من منظار حكم محكمة النقض للتفريق بين د. نصر أبو زيد وزوجته د. ابتهاال يونس. والادانة قاطعة ومطلقة من كل الاتهامات لكافة مراحل الحرب ضد أبو زيد والتي بدأت بمحاولة بعض أساتذة الجامعة حرمان العالم المصري من لقب الاستاذية بادعاء خروج استنتاجاته العلمية عن الدين، ثم محاولة اغتيال كرامته وحرية وحياته الزوجية بالمطالبة بالتفريق بينه وزوجته الدكتورة ابتهاال يونس حتى صدور حكم التفريق وتأييده من محكمة النقض. والمحاسبية في أوروبا عالية تجاه المساس بحقوق الانسان أو التعرض لكرامته بسبب التراث الطويل في الصراع ضد الاضطهاد الفكري والذي وصل تحت جور محاكم التفتيش في العصور الوسطى إلى ملاحقة افكار كوبرنيكوس حول علم الفلك فصنعت الكنيسة الكاثوليكية مؤلفاته عن حركة الكواكب، ونفذ الحكم بحرق العالم جورودانو برونو، واجبر غاليليو غاليلي على «اعلان التوبة» والتبرؤ من اكتشافاته.

والآن يكاد الحصار يطبق على الجهود الكبرى التي يبذلها مستشرقون معاصرون متعاطفون مع الشعوب العربية والإسلامية لدحض الاحكام المسبقة في علم الاستشراق التقليدي ولدى الاعلام الأوروبي. وكان صدور هذا الحكم ضد العالم المصري ذي السمعة العالمية المرموقة مفاجأة غير متوقعة لدى هؤلاء المستشرقين الذين أصدرت لجنة

الغربي الذي لا يقيم وزنا لحضارات وتقاليد ومقدسات الشعوب الأخرى.

من ضمن الذين وجهوا لها الانتقاد مودجر ليهكتيهاز في الملحق الأدبي لصحيفة «سيد دويتشه تسايتونج» التي تصدر في ميونيخ وهو يبدأ بالاعتراض بفضلها كاتباً أنها «عالة كبيرة ولها الفضل بسبب دورها كوسط بين الإسلام والغرب» ولكنه يلومها على عدم اتخاذها موقفاً أصولياً في الدفاع عن حرية الفكر ووصل الأمر لأن تفتتح صحيفة دي ستايتس الرقوة صفحاتها لهجوم على أنيماري شيميل وصل للمطالبة بإعادة النظر في الجائزة التي حصلت عليها، واصفاً منحها الجائزة بأنها «خطأ».

وتنشر البسار نداء الأستاذة شيميل إلى الرئيس محمد حسني مبارك حسب النص الذي وزعته لجنة مناصرة أبو زيد وابتهاج يونس في بون.

ولتعريف القارئ بالمعركة الفكرية الدائرة تنشر البسار مقال شيميل ردًا على الحملة الجائرة التي تعرضت لها.

لها بالعالم الثالث ولم تنطق إلا من معايير ليبرالية مطلقة.

وقد بدأت أنيماري شيميل دراسة اللغة العربية في الخامسة عشرة من عمرها، وما بعد تأكيدها لقرائنها الحارقة أنها حصلت على الدكتوراة وهي في التاسعة عشر من عمرها وهي تجيد العديد من اللغات الشرقية وترجم من ست لغات شرقية منها العربية والفارسية والتركية والأردو ولغات هندية أخرى..

وقد عاشت السيدة شيميل حياتها مترجمة ومدرسة ودراسة لأدب وفلسفات العرب وشعوب الشرق الإسلامية الأخرى. وقد ترجمت لجلال الدين الرومي وألفت مرجعاً لا مثيل له في اللغات الأوروبية عن الصوفية في الإسلام. وعملت أستاذة بجامعة هارفارد في أمريكا لعدد من السنين. وعادت أخيراً لألمانيا بعد أن تقاعدت.

والعالمة الألمانية بعيدة عن أن تكون مناصرة لأي لون من ألوان التعصب، وهي تؤيد حرية الرأي وترفض أحكام الأعدام على أي كاتب، ولكنها تطالب بأصرار باحترام الأديان والانباء كميدياً أصيل في العلاقة بين الحضارات المختلفة. وهي بكل عملها الفكري طوال عشرات من السنين توجه انتقاداً عملياً للفرور

تحتها ستوا دور النشر الألمانية ويقدمها رئيس الدولة للفائزين بها. وأبرز قرار منحها أرفع الجوائز الأدبية «معرفتها للإسلام ونهيمها له ولبهاته الداخلية، وبقائه المحي للثقافة في الغرب. كما نوه القرار بأن عملها الفكري يمثل علامة على اللقاء بين الثقافات وليس المواجهة بينها».

ولكن أنيماري شيميل التي اجتهدت ولا زالت لأقامة جسور تفاهم بين العالم الأوروبي والإسلامي تعرضت بعد حصولها على الجائزة لحملة في وسائل الإعلام الألمانية بسبب انتقادها لسلطان رشدي لأنه «جرح مشاعر المسلمين بشكل بالغ في شره» وكانت السيدة شيميل قد أثارت دهشة وسخط مفتني الأبراج العاجية لأنها لم تشارك في حملة التجميد لتسليمه نسرور بل أنها أبدت تفهمها لسلط الحافئين على الطبيعة الكاثية التي يكتتابها أدت الخلاف بين الهندوس والمسلمين برزت بزيد النار اشتعالاً حسب تقييم الأوساط الفكرية والسياسية الوطنية الحريصة على وحدة بنجلاديش وتقديماً، وجاء الاعتراض على منح العالمة الألمانية الجائزة من أوساط فكرية لا علاقة جدية

## رسالة أنيماري شيميل

حكم محكمة النقض يهدم جهود الساعية لاثبات تسامح الإسلام

السيد الرئيس حسني مبارك

رئيس جمهورية مصر العربية

بعد التحية والسلام

لقد كرمتموني بمنحى رسام الاستحقاق للفنون والعلوم، اذكركم كلمات سيادتكم التي وصفتم بها جهودي المتواضعة من أجل تفهم أفضل للثقافة الإسلامية والدين الإسلامي في الغرب. وهذا الهدف هو في الواقع الدافع لمواصلة عملي العلمي.

وأسمح لنفسي بأن أضيف لهذا الشكر بضعة سطور لاني قلقلة للغاية بسبب مصير زميلي الأستاذ الدكتور نصر حامد أبو زيد. وأنا على ثقة بأنكم مطلعون على حالته. فيسب اطروحات توصل إليها في أبحاثه العلمية اتهمه عدد من الزملاء بالكفر والارتداد. وعلى هذا الأساس أصدرت محكمة مصرية قراراً بالتفريق بينه وزوجته الدكتورة إينبال يونس. ومنذ وقت قصير أبدت محكمة النقض هذا الحكم.

وأنا أحترم استقلال القضاء المصري، ولست مخولة لتقييم ما إذا كان الحكم المذكور يتفق مع نص وروح الدستور المصري أم لا. ولكني أعرف أيضاً أن المنظمة المصرية لحقوق الإنسان، ونحيب محفوظ حائز جائزة نوبل، وعدد من الشخصيات والمؤسسات البارزة قد توجهوا لسيادتكم بندا، لكي تتدخلوا في هذه القضية. والواقع أن هذه القضية تزيد عن أن تكون مأساة شخصية. فعندما يحاضر الأستاذ أبو زيد في الغرب يدافع عن الإسلام ضد الاتهامات الظالمة الموجهة إليه ويسعى لاثبات أن هذا الدين مفتوح على العالم وأنه يسهم في صياغة مستقبل سلمي. وقد أصبحت حالة أبو زيد الآن موضوعاً لمناقشات واسعة مستخدمة في الصحافة الألمانية والبلدان الأوروبية الأخرى. وأخشى أن يهدم حكم محكمة النقض المصرية الكثير من الجهد الذي بذلته من أجل أن أبين أن الإسلام دين متسامح وأن الثقافة الإسلامية تقبل الحوار العلمي النقدي والأراء المختلفة، بل وأنها تدعم هذا الحوار لهذا فأنني أخشى أن يضر هذا الحكم بسعة مصر الحسنة وبالكثافة العالية لنظامها القانوني.

وأرجو أن تغفروا هذه الكلمات لإنسانة تحمل أعين المحبة لمصر وللإسلام. وقد وجد أن من واجبي أن أتوجه إلى سيادتكم بهذه الملاحظات.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: استفت قلبك وإن افتكك المفتون.

واتقدم إليكم مرة أخرى بالشكر لشكرهم العظيم الذي غفرتموني به واسمحوا لي بأن أفتني لكم ولهدمكم كل خير.

أشكركم من صميم قلبي وأرجو قبول خير تمنياتي وعاطر سلاماتي.

حفظ الله بلاد مصر وأهلها.

وأطال بقاكم ومنحكم البين والسعادة والسلامة.

الأستاذة الدكتورة وحاملة الدكتوراه الفخرية أنيماري شيميل.

Professor Dr. DRS. H.C  
Mult. Annem arie Schinell.



## العالمية الألمانية شيميل تدعو

### إلى الحوار وترد على الحملة الجائرة

# إنكم لم تفهموا الإسلام

#### تصل

الأخبار عن حصار سراجيفو

كل يوم تقريبا، تلك المدينة الواقعة في قلب أوروبا، والتي عاش فيها المسلمون والمسيحيون الروميون واليونانيون مئات السنين بسلام، والتي كانت مكتباتها التي دمرت الآن تحوى كنوزا غنية تخدم البحث العلمى في التاريخ الإسلامى. فى أوروبا، فى البوسنة، يقتل شعب وتقتل حضارته. هل يوجد من يشيره هذا؟ ومن يرمى ببصره أصلا الى هناك عندما يقتل ويشرد مئات الآلاف من البوسنيين مسيحيين ومسلمين؟ إن المسلمين المقتولين فى سراجيفو، مثلهم مثل المسيحيين من رفاقهم فى العذاب، ليسوا أصوليين، ومعهم يموت جزء من تاريخنا الأوروبي والذي أسهم الإسلام فيه أيضا من يتحرك ضد قوى الكراهية التى أصدرها سياسيون ينتمون لدائرة الحضارة المسيحية ضد البوسنة وضد شعبها، ضد آخر معقل للحضارة الإسلامية فى أوروبا؟.

سراجيفو كانت مثالا متاخرا لطليعة لانه فى أسبانيا العصور الوسطى كان من الممكن العثور على تلك الصلة المثلى بين الحضارات المسيحية واليهودية والإسلامية، والتى عن طريقها وصلت معارف العرب العلمية الطبيعية والفلسفية والصوفية الى أوروبا، لتشكل التربة الخصبة التى نمت فوقها بلاد الغرب الحديثة. أليس من المهم أن نتذكر هذه الحقائق اليوم أكثر من أى وقت مضى؟.

لقد تعودنا الآن للأف أن نوجه بصرنا إلى جانب واحد فى الإسلام، وبالتحديد إلى ذلك الجانب الذى يعد بالنسبة للغالبية العظمى من المسلمين بعيدا جدا عن الجذور الأصلية للإسلام. ليس بين أصدقائى من

اليسار تقدم ترجمة كاملة لقول انا ماري شيميل والذي لا نبأخ إن قلنا: إنه بمثابة وثيقة هامة من عصرنا تشهد على تضال علماء. خيرين للتفاهم بين الشعوب والحضارات في وجه ثقافة الهيمنة التي تغلب عليها نظرة أحادية البعد منبعا ومصبا في أوروبا التي قتل لأصحاب هذه النظرة «صورة العالم». ولا شك أن المعركة التي دارت على صفحات المجلات والصحف الألمانية تعكس جانبا من النقاش الصعب بين من يريدون نظاما عالميا قائما على المساواة بين الشعوب وحققا في تقرير مصانرها واختيار سبل تطورها الحضارية من ناحية، وبين من يريدون لاستمرار الهيمنة الاقتصادية والفكرية من ناحية أخرى... وهو نقاش يعكس آخر الأمر الصراع بين من يريدون تسيير مليارات البشر حسب وصفة واحدة يعرفونها، وما اقرب منطقهم الذي خلف واجهة الهداية يكرر ما ينتقدونه لدى الآخرين!.

مقال أنا ماري شيميل دعوة للحوار بين العالمين الغربي والإسلامي؛ دعوة حوار في ظل السلام والحرية. المقال يحمل عنوان: الإسلام الذي لم يفهم (بضم الباء وسكون الفاء) - رداً على نقادى وقد نشره المحقق الادبي لصحيفة فرانكفورتر الجيمانية تسابتونج (٢٤-٥-٩٥).

\*\*\*\*\*

## التسامح والصبر مع أصحاب

### الفكر الآخر

## هما من القيم الأساسية للإسلام

المغرب إلى ماليزيا من يتحدث مؤيدا صوفية قتالية ، سواء كانوا من البيراليين المستنيرين من أنصار الحداثة، أو من التقليديين التمسكين غالبا بجذورهم الصوفية المتوارثة، أو حتى المسلمين الذين تلقوا تربية غربية والذين ترتبط عندهم الحياة العادية للتخصص في أحد علوم الطبيعة ، أو الطبيب، أو عالم اللغة بعقق الإيمان. وبالمناحية : كل هؤلاء ، وكذلك علماء الغرب الباحثين في الإسلام ، يعتبرون «الاصولية» ظاهرة مقلقة لا يكاد يكون لها علاقة بعقيدتهم، والتي تجد تفسيرها في الظروف الاجتماعية للعديد من البلدان الإسلامية. إن الفقر المتفشى والنشأ جزئيا بسبب من مشاكل عصر ما بعد الاستعمار ، وانعدام الاستقرار السياسي، والبطالة المنتشرة بالدرجة الأولى بين اعداد من الشباب تتزايد باستمرار. مثل هذه التربة، كما نعرف من تاريخنا نحن، تصلح بشكل خاص لتنمو منها حركات راديكالية، وأن استخدام المشاعر الدينية هو وسيلة ناجعة لتعبئة الجماهير. انه لا مرم يدهي بالنسبة لي أن أكون رافضة كلياً لثل هذه الحركة «الاصولية» وأن أدب «الفتوى» الموجهة ضد سلمان رشدي ورفض مكافئة مالمية لقتله ولكن أليست على شهادة سيئة عن حالة مجتمعاته وقدرته على الحوار عندما يتعين على أن أكرر هذا القول المرة تلو المرة لأن البعض وبساطة لا يريدون أن يأخذوه بعين الاعتبار.

أثناء عملي السابق لمدة خمس سنوات في التدريس في كلية أصول الدين الإسلامي في أنقرة (كشابه غير مسلمة) وفي جولات لا حصر لها حضرت فيها في العالم الشرقي الاسلامي لمست منذ الخمسينيات بشكل مستمر كيف يمتنى المسلمون بشدة أن نبادر من ناحيتنا للوصول إلى فهم أعمق لقيمهم الخاصة، ولست كذلك رغبتهم في فهم قيم الحضارة الغربية من أجل الوفاء بمتطلبات الحياة الحديثة على أفضل وجه، وذلك دون القطيعة مع الماضي. هنا كان ماضى ألمانيا ذا جاذبية خاصة لأنها لم تكن قوة استعمارية كبيرة وبالتالي لا تصبها سهام الهجوم الذي شنه ادوارد سعيد ضد «الاستشراق».

انهم متشغلون بكيفية التخلي عن التفسيرات المتحجرة للاحكام القانونية والتي تراكمت عبر القرون حول النواة الحية للإسلام، إذ أن الكثير من التفسيرات التي تقدم إليها على أنها «إسلامية» لا أساس لها في

القرآن، بل أنها نتاج مئات السنين من التطورات الاجتماعية، والتي تتوحى في الموقف المتعنت تجاه التجديد، وبعضها ، مما كان مقبولا تماما في القرنين الثالث والرابع عشر، أصبح مرفوضا بحزم اليوم. مثل هذا الموقف ينبع من خوف معين من خطر مجهول هو غول «الحداثة» ولكن الحوار هو أفضل وسيلة لعلاج الخوف، لأن الإنسان يكره ما لا يفهمه. وأن دعاة الحداثة الإسلامية مثل الشاعر والفيلسوف الهندي الإسلامي محمد إقبال «الأب الروحي لباكستان» (١٨٧٧-١٩٣٨) قد أشاروا دائما إلى أن الاسلام قوة إيجابية ديناميكية وأن «عالم القرآن» كما يسميه يفتح دائما جوانب جديدة من الضروري فهمها وتفسيرها تفسيراً صحيحاً.

ولا يجوز أن ننسى أن الاسلام ليس محصوراً في العالم العربي أو الإيراني وإنما يمتد من غرب افريقيا إلى اندونيسيا عبر أقاليم يملك كل منها لغته وتقاليد الخاصة مع أن الأساس واحد: وهو الشهادة بأن لا إله إلا الله ، وحقيقة أن محمداً رسول الله ، وخاتم قافلة الانبياء التي بدأت مع الحليفة ، وآخر من كان قبله هو عيسى ابن مريم العذراء . إن أشكال ظهور هذه العقيدة في الزمان والمكان متنوعة مثل تنوع أشكال المسيحية «والتي لا يجوز أن يختزل ثراء حياتها الروحية كما يحدث الآن مع الاسلام من خلال الميل لأحداث مطابقة وحيدة الجانب بينه وبين الاصولية والتي فوق ذلك تقتل جانبا غير غربي» . هذا يؤدي بدوره إلى هجوم ضد العالم الغربي من جانب الاصوليين لان الضغط يؤدي دائما إلى ضغط مضاد وتنمو بذلك دوافع سوء الفهم، ولكن وضع حد فاصل تجاه الاصولية المرفوضة بحزم ضروري ومؤشروع ويمكن أن يفتح الطريق نحو فهم أفضل للقيم الحقيقية للإسلام. ان مسلمين معاصرين كثيرين يبدون ميلا معينا نحو الاسلام الصوفي لانهم يجدون في تقاليدهم تلك الحرية الروحية التي يبحثون عنها. وشهد لهذا التيار عدد من الاعمال لمؤلفين حديثين من مختلف البلدان . ولكن الحرس واجب فلا يجوز التسوية بين الصوفية والشغف، فالقصد هو إيمان داخلي عميق بالإسلام بعقيدة لا يكتفى المؤمنون بها مثلما قال علامة العصور الوسطى الكبير الغزالي (مات عام ١١١١) بمعركة أدق تشبعت حقوق الميراث وما أشبه وإنما يسعون إلى لقاء الله والاستعانة به لاكتساب القوة لعملهم.

مرة أخرى تلج على ذهني صورة

سراجيفو المدينة العتيقة، التي عاش فيها المسلمون والمسيحيون جنباً إلى جنب، وتحملوا مع بعضهم البعض. ان يدولي أنا في زمننا الراهن بالتحديد اوجح ما نكون الي حوار حقيقي. ولكن هذا الحوار يجب ان يدور بشكل حضاري ، يجب ان يذكرنا بما ندين به للمسلمين من شكر وبالعديد من اوجه عالمهم التي ادماجها بشكل غير واع في حضارتنا . ان مثل هذا الحوار الحضاري ينبغي ان يدور بحيث لا يفهم المسلمون كضرب جديد من ضروب الاستعمار . بل ينبغي ان يكون حوارا حقيقيا عن عدد لا حصر له من المسلمين الذين يبحثون في الغزارة المحيرة للعالم الحديث عن موقع يستطيعون فيه تحقيق افضل التقاليد في تاريخهم.

ونفكر مرة أخرى في الاندلس وكذلك في الامبراطورية العثمانية حيث وجد اليهود الذين طردتهم أسبانيا سنة ١٤٩٢ وطنا جديدا ، ونفكر في شيراز مدينة الصوفيين والشعراء، وفي سمرقند وبخارى حيث وجدت حضارة جارية بشرا من أصول مختلفة ، وفي هذه القارة الهندية بتعددتها الحضارية الاخاذة . ونفكر في النظرة التاريخية للشمال افريقي العظيم ابن خلدون الذي توفي عام ١٤٠٦ ، وهو اول من قام بمحاولة انشاء علم تاريخ اجتماعي ، المحاولة التي تكلل حتى اليوم دلالة عظيمة.

مثل هذا الحوار يتطلب من كافة الاطراف ان تحترم الكلمة . ان التسامح والصبر مع اصحاب الفكر الاخر هما من القيم الاساسية للإسلام . الاسلام السائر نحو الحداثة يستند الي هذه التقاليد ، وهو يرفض التعصب الذي يؤدي الي متاهات الضلال ، وسراويل الاسهام بطريقتي في ان يستطيع المسلمون السير على طريق الحوار بوقرة اكبر وفي ان تقل فرص المصطنع البشريين.

ان يبدأ هذا الاسبوع بخير توقف الحكومة الإيرانية عن تهديد سلمان رشدي بالموت كان بمثابة النور الذي أضاء يوم الأحد وهذا يدعنا نأمل ان الحوار مع العالم الاسلامي «والذي ان الطريق مسدود في وجهه لمدة طويلة ، يمكن ان يستأنف من جديد لصالح الجانبين» ونأمل أيضا أن تتمكن تسليمه تسريين وكتاب آخرون من العمل في اوطانهم. الحوار في سلام وحرية بين العالمين الغربي والاسلامي سيكون أكثر ما أتوق إليه بعد انشغالي بالحضارة الاسلامية ولغاتها وفنونها وآدابها طوال عشرات السنين.

# أرشيف اليسار



حلمى ياسين وزوجته رفيدة الغرب.. ثريا أدهم

حلمى ياسين

ابن

الأكابر

«سابقا»

يعود ومعه لفاقه من الكتب ذات العناوين الغريبة: عن عصر النهضة ، وعن الثورة الفرنسية. والأم بنت الأكابر هي أيضا كانت- في هذه الأيام- طالبة في المدرسة السنية. أخرجوها من المدرسة عام ١٩١٨ لتتزوج وتتجنب محمد حلمى فى العام التالى مباشرة.

الأب المتحور الفكر، الوفدى الانتماء كان مشهوراً فى القرية بأنه نصير للمرأة- لا تأتبه امرأة شاكبة إلا ويعيدها منتصرة على زوجها.

ومع اشتعال ثورة ١٩١٩ تشتعل مصر كلها.. وتشتعل بنى سوف تحت زعامة الاسرة الوفدية التى أنجبت واحداً عن أشهر الرقديين حماساً واندفاعاً فى محبة النحاس باشا .. حسن يسن.

ومع انشقاقه أحزاب الأقلية، ومحاولاتها للتسلل إلى البرلمان ، كان الأب هو قائد المعارك المسلحة التى تنتهى دوماً .. إما بفوز المرشح الوفدى، أو القبض على الأب وعلى العديد من شباب الأسرة.

والطفل «حلمى» يولد وفدياً وما إن تأتى الأجازة الصيفية ويعود للقرية ، حتى ينطلق كل صباح إلى أطراف القرية ليقابل

كان كبار الأعيان يتألون شرف التوجه إلى قصر عابدين مرتين كل عام.. فى عيد الميلاد الملكى وعيد المجلس الملكى. ويصطف الأعيان فيما كان يسمى التشريفية الملكية ليصافحوا يداً بيد مولانا الملك المعظم فؤاد الأول.

واصطف كبار أعيان بنى سوف تحت رئاسة كبيرهم ولاحظ كبير الياورن وجود طفل بين المصطفين فحاول إخراجهم من الصف ، لكن كبير الأعيان احتج وهدد بانسحاب وفد بنى سوف .. وكان له ما أراد.. وبقي الطفل ضمن التشريفية.

## د. رفعت السعيد

كان فى قرية أبو صير الملقق أسرة قابضة على عنقها.. وزمامها وكل النفوذ فيها. الانبناء التسعة لجذ شديد الثراء، وورثوا أرضاً واسعة ونفوذاً أوسع. وبيت الأسرة ذو الحجرات العديدة والعبيد وأولاد العبيد خمساً وثلاثين فرداً فى مظاهرة دائمة ومستندية. الاب الدليل لأسرة تعرف كيف تدلل أبنائها بهوى القراءة وكلما سافر للقاهرة

الأب هو والد حلمى يسن.. والطفل هو واحد من الأبناء المدللين لأسرة باغة الثراء، واسعة النفوذ .. أسرة «يسن».

الاسم: محمد حلمى يسن.  
تاريخ الميلاد: ٥ أبريل ١٩١٩.  
محل الميلاد: قرية أبو صير الملقق. بنى سريف.

المهنة : مساعد معمل كيماوى- محترف ثورى- موظف بشركة مصر للأنابيب- المدير المالى والادارى لمؤسسة الأهالى.  
الاسم الحركى: إسماعيل.

باتجاه مستقبل جديد.. ومصير أبدي.

إنها «جماعة الدراسات» هناك استمع في انبهار إلى محاضرات وتقاشات من نوع جديد.. حزم قوة من الضوء تقتحم لتضيء العقل والنفس معا. وهناك التقى باسماء أثرت كثيرا في حياته.. كثير من الأجناب على رأسهم بول جاكودي كومب .. وقليل من المصريين يوسف درويش. صادق سعد . رمون دويك. عبد العزيز فهمي. محمد اسماعيل.. ويزداد عدد المصريين فتتكون منهم جماعة جديدة «جماعة الشباب للشقافة الشعبية» التي نظمت عددا من المحاضرات . حاضر فيها أمين الخولي . بنت الشاطئ عبد الحميد الحديدي. والتي حلمي يسمن محاضرة مترجمة عن كهرية خزان أسوان.

ثم خطوة أخرى نحو الهدف .. (الهدف هو الاقتراب الفعلي والعضوي من العمال والفلاحين).. مركز لتعليم الفلاحين وكان في شكل فصول لحو الأمية وسلسلة محاضرات تثقيفية واختيرت قرية ميت عقبة. ثم مركز آخر في قلب الحى العمالي بولاق في شارع سكة جلال الملك.

التي المشتمل حتماً ما إن ينتهي عمله في المعامل المركزية لوزارة الصحة حتى ينطلق . الترامواي يصل به إلى نهاية الخطأ عند مكان مسرح الباليون (الآن) . ثم يتخترق الحقل سيرا على الأقدام لعدة كيلو مترات حتى يصل إلى قرية ميت عقبة ليبدأ فصل محو الأمية.

وفي عام ١٩٤٤ عندما تصدر «مجلة الفجر الجديد» صدر له تكليف باستلام عدد من النسخ لبيعها.. وكتب عدة تعليقات نشرت أحيانا باسم حماده وأحيانا أخرى باسم محي.

وفي هذه الأثناء بدأ دراسات منظمة في الماركسية.

وبأى يوليو ١٩٤٦ . وتأتى معه عاصفة الطاغية صدقي. حيث ألقى القبض على مئات الشيوعيين والتقدميين والديمقراطيين.. هو كان في «القرية» ينتزع من هناك آخر ما تبقى لهم من بقايا أموال ضئيلة فأخته ستزوج ولاد من مال لثراء «الجهاز» . ما أن قرأ الأخبار في الصحف التي نشرت بتعازيل بارزة «أكبر حملة قبض على الشيوعيين» حتى أسرع إلى القاهرة. في الطريق كان قد اتخذ قرارا خطيرا . ما أحضره من مال قليل، ورغم ذلك قرر



حلمى ياسين

وطوال مرحلة التعليم الثانوي كان حلمى وقدبا نشطاً مشاركاً في كل المظاهرات الوفدية أليس ابن عم زعيم الطلاب الوفديين حسن يسمن؟

.. من فرط حماسه للوفد انضم لفرق القمصان الزرقاء . وخرج في استعراضها الأول المهيبة الذي هز شوارع القاهرة. شن واحد أزعجه فيما هو بحث الخطى مع الطواير ذات القمصان الزرقاء أن قائد الطابور د . محمد بلال . كان يهتف وهم يرددون «شبابنا للملك والوفد» .. في أعماقه قال: للوفد نعم أما الملك فلا. وانسحب من القمصان الزرقاء . وبقي وقدبا.

حصل عام ١٩٣٦ على شهادة البكالوريا قسم علمي. قرر أن يطوى ملف طموحه للالتحاق بكلية الحقوق. الأب أفلس تماماً.. وعليه أن يتغاضى عن أحلامه فهو بحاجة إلى وظيفة ليعول أسرة بأكملها

معامل وزارة الصحة المركزية (مساعدة معمل كسواي) بمرتب خمسة جنيهات. وإذا تشعلت الحرب العالمية الثانية. كان أغلب المحيطين به يمنحون تأييدهم ودعواتهم لهتلر عبد الإنجليز. أما هو ودون أن يدري لماذا فقد ساند الحلفاء . وخاض في سبيل ذلك معارك كلامية بغير حدود.. والتقطه واحد من أقاربه ليدعوه إلى ندوة يحضرها أناس يتخذون ذات الموقف.. وفي شارع عدلي رقم ٥ ، خطا الفتى أول خطوة له

البوسطجي الطواف الذي يحمل لولده لفافة بها جريدتان وفديتان كوكب الشرق والجهاد.. وقبل أن يعدو بهما إلى المنزل يكون قد توقف بقامته القصيرة وسط عدة حلقات من الفلاحين الواقفين في إنتظاره ليقرأ لهم بلهجة خطابية أهم ما فيها من مقالات. الجميع في الأسرة وفديون.. حتى النساء. وفي انتخابات صدقي باشا التي أجراها بعد الغاء دستور ١٩٢٣ .. أبلغت القرية بأن الباشا المدير (المحافظ الآن) سيحضر بنفسه لير مع مرشح حزب الشعب (حزب صدقي).. نساء القرية اجتمعن تحت زعامة والدته وآتين بطفل أسر وجرته من ملايسه وبللته بالماء والطين ومدته أمامهن بعرض الطريق الوحيد المؤدى للقرية، وما إن اقترب الكوكب حتى بدأ الصراخ والعيول.. على الغريق المزعوم..

ورغم الصراخ حاول الباشا المدير اقتحام صفوف النسوة بموكبه وهنا تصدى له الرجال وكانت معركة انتهت بالقبض على العديد من الرجال وعلى رأسهم الأب، وعديد من النساء وعلى رأسهن الأم.

\*\*\*

ولكن . وفيهم كان حلمي يجاهد محاولا إنجاز مرحلة التعليم الثانوي بالقاهرة. كانت الأسرة تنهائى . الرجال جميعا أدمنوا المخدرات. ويددوا ثروتهم. ومعها تبتدئ النفرة أوكاد.



# أرشيف اليسار

ويصبح عضواً في لجنته المركزية .. ثم يتنقسم ويبقى في ذات الموقع في الموقع الذي اختار البقاء فيه.

وبأى يناير ١٩٥٩ ويقتض عليه ليكون ضمن المجموعة الأولى التي قدمت للمحاكمة أمام المجلس العسكري العالي برئاسة الفريق هلال عبد الله هلال قائد سلاح المدفعية.

لعل عبد الناصر كان يتصور مجرد جلوس عسكريين بهذه الرتب العالية في مجلس القضاء قد يربط الشيوعيين، لكن «الفريق» ورئيسه فوجنا بعدد من المتهمين وهم يتحذرون القضاء ومن أرسلوا القضاء. يعلنون أنهم أعضاء في الحزب الشيوعي المصري ويعتزون بشرف عضويتهم فيه. تسعة رفاق توالى دفاعاتهم السياسية تدافع عن الديمقراطية والاشتراكية وتاريخ الشيوعيين ونضالهم. ويصيح «الفريق» ويبدأ في الاتهام يشكك في وطنيه الشيوعيين ..

لم يكن ضد حلمي يسمن من الناحية القانونية أي دليل يذكر. وكان بالإمكان أن يحكم عليها بالبراءة. لكن مرقفاً نضالياً كان قد تقرر اتخاذ كلفه حكماً بالسجن ثماني سنوات أشغال شاقة.

الآن بعد مضي سبع وثلاثين عاماً على هذا الموقف يكتب حلمي يسمن بخطبه يد مخاطباً إياي «برغم مرور هذا الزمن ما زلت أذكره بكل احترام وأعزاز وقدر واعتبر أنني اذكر بهذا العمل بعض ما على من دين للعقيدة التي جعلت مني إنساناً آخر ..»

ولكن التاريخ أحياناً حكمه بليغة. فبعد الناصر لم يغفر للمضاضين دفاعهم السياسي الشامخ، لكنه لم يمنح الذين تسلحوا بالصمت شيئاً. وظل الجميع في ذات السجن الذين حكم عليهم بالسجن. والذين حكم عليهم بالبراءة .. عليهما معاً. عدوياً معاً. ذات التفضيل الوحش التازي الطبيعية. ثم أفرج عنهم معاً. في أبريل ١٩٦٤.

\*\*\*\*  
يخرج عن الجميع. ويحل الحزب. ويجد حلمي يسمن وظيفة صغيرة في شركة مصر للألبان لكنه يفرض نفسه سريعاً ليحال إلى العاشي وهو مدير إدارة.  
يسهم في إصدار مجلة الطبيعة. يعمل بنشاط في الاتحاد الاشتراكي. وعندما يتشكل حزب التجمع يسمن في تأسيسه من اليوم الأول. ويعمل لعدة سنوات مديراً مالياً وإدارياً لمؤسسة الألبان.  
ولم يزل العطاء يتوالى. فالرجل.. يعطى دوماً إلى آخر لحظة.

ففي مارس ١٩٤٩. وكان قد استقر وطيفاً. وأصبح مساعداً للمدير العام للمعامل المركزية. وارتفع مرتبة خمس عشرة سنة، وهو مرتب كبير بمعايير هذا الزمان) أصبح أباو سيف يوسف ويهدو. معتاد سأل به هل أنت مستعد للاحتراق. والإجابة : نعم .. متحمسة مني؛ والإجابة : الآن. وبعد يومين كان قد استقال. وأصبح محترفاً.. مرتبة ستة جنهيات وثلاثة جنهيات أخرى للسكن .. غرفة أعلى سطح منزل متاهل في باب الشعريه.

وتعود إلى مسيرة النضال. بعد أن أفرج عنه بفتره يكون حريق القاهرة فيحتفي. ليقبض عليه من جديد. ومن العقول يفرج عنه في ٢٨ يوليو ١٩٥٢ أي بعد الثورة بأيام. ويصدر له التنظيم قراراً بالاختفاء من جديد. والسفر إلى الاسكندرية. الاحتراف ابتداء من هذه الفترة يتخذ طابعاً مختلفاً تبتح عن عمل لبعض الوقت يعطيك غطاءً ، ويكفل لك دخلاً تعيش منه ولا تكلف التنظيم شيئاً. في الاسكندرية عمل مدرساً خصوصياً ثم كلف بالسفر إلى المحلة. وهناك عمل مبرحاً في عيادة طبيب للأمراض الصدرية. هناك بدأت علاقاته تتسع بالعمال. ومع حلقه من العمال الودفيين بدأ نشاطاً هاماً. في هذه الفترة قام البوليس بحملة قبض عشوائية لتطهير المدينة من المعارضة قهيداً لزيارة سيقيم بها صلاح سالم .. وقبض عليه من عدد من العمال على أنهم وقيدين. قدم نفسه للبوليس باسمه المستعار. ولكن القارة توقفت أمام الأوصاف المعطاه للشخص وطلبت معلومات تفصيلية ثم طلبت ترحيله ليكتشفوا انه حلمي يسمن الهارب من حكم غيابه بالسجن ثلاث سنوات في القضية التي قبض عليه على ذمتها عام ١٩٥٠.

.. ويخرج عنه في مايو ١٩٥٦. أسابيع قليلة قبل تأميم القنال.

وبعد التأميم ينشط في تشكيل لجان المقاومة الشعبية. وسافر إلى الشرقية ليسهم في تنظيم وتنقيف اللجان الأقرب إلى خط المواجهة.  
وفي عام ١٩٥٧ يرشح نفسه في انتخابات مجلس الأمة. في الفائز ١٩. وتشمل روض الفرج وقساً من بولاق. وفي هذه الانتخابات ثبتت فكرة «جبهة الوعي الانتخابي» .. وكان برنامجها السياسي معبراً عن الموقف الحازم. وبعد معركة جماهيرية واسعة أعلن الاتحاد القومي قائمة المرشحين التي استبعد منها كل المرشحين اليساريين ماعداً مرشح واحد وكان حلمي من المستبعدين ، لكن نشاط لجان الوعي الانتخابي لم يتوقف. واستمر في تأييد عدد من المرشحين «الأنتم» من غيرهم.  
ثم. يتوجه الشيوعيين في حزب أحد..

اقتسامه النصف للعروسة.. والنصف الآخر للرفاق القبوض عليهم. وزار زوجة رفون دويك وسلمها الخلق كساعدة للرفاق المتقلبين.  
وفي أوائل سبتمبر ١٩٤٦ اتصلت به زوجة رفون. قالت إن شخصاً يريد أن يقابله في ميدان الاسماعيلية. هناك وجد صادق سعد. بهدوء قال صادق سعد إنه يريد أن يبلغه قراراً مهماً : «لقد تقرر أن تصحح عضواً. «يا نهار أسود» . صباح حلمي أمال أنا كنت إيه طوال السنوات الست الماضية. قال الآخر بهدوء: كنت مرشحاً. وهكذا وبعد ست سنوات من النضال أصبح حلمي يسمن عضواً في خلية بتنظيم «طلعية العمال».

\*\*\*  
في الخلية كان معه سابق اتوبيس عم محمد . ومحمد اسماعيل. وعبد العزيز قهومي .. وكلفتهم الخلية بعدة تكليفات:  
١- العمل على إنشاء رابطة أو نقابة لمساعدى العمل.  
٢- العمل على إنشاء نادى رياضى في حي الخليفة.

٣- الانضمام إلى لجنة الودف بالخليفة.  
٤- جمع توقيعات للطلابية بإجراء انتخابات حرة تجريها حكومة محايدة.  
٥- الاشتراك في توزيع المنشورات الحزبية التي كانت تصدر بشكل يسهل تنظيم كل عشرة أيام تقريباً.  
واندفع بحماس لتنفيذ التكليفات.. وقد نجح فعلاً في تحقيق الجانب الأكبر منها. ولأنه لم يكن معروفاً كشويعي فقد كلف بالعمل في جهاز الاتصال الحزبي. وفي الخلية تلقى دراسة منظمة ومنظمة للنظرية الماركسية.

.. وذات يوم رتبوا له في سرية دقيقة مرعداً ليجد نفسه في شقة في شارع الشيخ ربحان. إنه المؤتمر المنتخب لمدينة القاهرة. المتدربين ١٢ فيما يتذكر. في الاجتماع انتخب مسئولاً للجنة قسم ثم صعد إلى لجنة منطقة القاهرة.

وفي عام ١٩٤٨ تعلن الأحكام العرفية ويعقل العديد من الرفاق. ويقرر تصعيده لعصبة اللجنة المركزية ونجماز المجموعة الشعبية خارج السجن محنة حكم القنراشي -عبد الهادي بنجاح- وتقرر التنظيم حتى يأتي الانفراج عام ١٩٥٠. فيخوض التنظيم معركة لإنجاح مرشحي الودف في وجه حملة نظمتها السراى وتطلعت بأسبها صحف أخبار اليوم تحت شعار برلمان متوازن. ونجح الودف. ورغم ذلك يقبض عليه في ظل حكومة الودف في ٢١ أكتوبر ١٩٥٠ ليبقى في السجن فترة، ويخرج عنه. لكننا بهذا نقفز بعيداً عن أهم خطوة في حياته.

## رحلة «البيجل»

ولد تشارلز روبرت داروين في إنجلترا في ١٢ فبراير ١٨٠٩. وكان والده طبيباً معروفاً وكانت والدته من أسرة غنية. لم يكن تشارلز حتى سن السادسة عشرة يبشر بأي نجاح مهني، فقد كان، كما وصفه والده «يهوى الصيد ومطاردة الفئران والكلاب» وقد حاول والده الحاقه بكلية الطب بادنبرة، ولكن تشارلز ترك ادنبرة بمجرد رؤية جثث الموتى وغرف العمليات. واتخذ والده قراراً بأن يصبح ابنه من رجال الدين، وأرسله إلى كامبريدج للحصول على المؤهل اللازم. وأدى تشارلز وإجبه نحو والده واندماج في الدراسة بغير حماس واجتاز الامتحانات اللازمة وحصل على المؤهل. تعرف داروين في أثناء دراسته بكامبريدج على العديد من علماء النبات والحيوان، وقرأ الكثير من الكتب في هذه المواضيع.

وجاءت لداروين فرصة عمره: فقد تقدم للانضمام كباحث بدون مرتب، إلى طاقم سفينة الأبحاث «بيجل» Beagle وقبل طلبه. وبعد اعتراض من والده وبوساطة من والدته وأسرتها، حصل داروين على موافقة مترددة من الوالد.

بدأت رحلة البيجل في ٢٧ ديسمبر ١٨٣١. وفي الجزء الأول من الرحلة قرأ داروين كتاباً لعالم الجيولوجيا الشهير في ذلك

الوقت لاييل Lyell. وكان لاييل يحاول أن يثبت في كتابه أن وديان وسهول الأرض قد نتجت عن الأمطار والرياح والزلازل والبراكين. وقد كانت هذه الحقائق العلمية البسيطة تدخل في تلك الأيام في مجال الكفر.

وفي ١٦ يناير ١٨٣٢ رست البيجل في ميناء «برايا» Praia في جزر كيب فرد Cape Verde Islands. ورأى داروين في هذه الجزر لأول مرة في حياته شجر التمر هندي والموز والنخيل. وعندما بدأ في دراسة جيولوجيا المنطقة لاحظ داروين في أحد التلال المواجهة للبحر طبقة بيضاء ترتفع مئات الامتار عن سطح البحر وتقتد أميالاً عديدة. وعندما تفقد هذه الطبقة وجدها مليئة بالاصداف البحرية المماثلة للاصداف الموجودة في قاع البحر في تلك المنطقة وهكذا تأكد داروين بنفسه مما وصفه لاييل في كتابه: وهو أن هذه المنطقة المرتفعة كانت في وقت من الأوقات غارقة في قاع البحر. وهكذا ثبت في عقل داروين أن البيئة المحيطة في حالة تغيير مستمر.

سارت البيجل في طريقها إلى البرازيل وهي تسحب خلفها شبكة تجمع الحيوانات والنباتات البحرية التي كان داروين يضعها كل يوم محل دراسته المتعمقة. ويحفظ منها

مئات النماذج لترسل لإنجلترا لمزيد من الدراسة.

في مجرى الأنهر في الأرجنتين مر داروين بتجربة هامة: فقد اكتشف حفريات لحيوانات منقرضة. اكتشف أن أحدها (توكسودون Toxo-don) يعادل الفيل حجماً ويشابه الخريت في الاسنان ويماثل فرس النهر في وضع الأذنين والعينين والاثاف مما يشير إلى أن هذا الحيوان كان يعيش في الماء. واكتشف أيضاً هياكل لحيوان ضخم يشابه الارماديلو Armadillo الحديث الصغير الحجم. واكتشف أيضاً أسناناً لحصان مما يثبت أنه كان من حيوانات القارة ولكنه انقرض إلى أن وصل المستوطنون الآسيبان بالحصان العربي. وكتب داروين في مذكراته «أن هذه حقيقة مذهلة في تاريخ الثدييات: أن يثبت أن بعضها قد وجد ثم اندثر».

ووصلت السفينة إلى ميناء «تيرا ديل فويجو» Terra del Fuego قرب القطب الجنوبي ورست هناك. ووجد داروين في هذه المناطق نوعاً غريباً من البشر، يسير عارياً في بناء شديدة البرودة. وسجل في مذكراته «أن هذا النوع من البشر مزود باستعداد بيولوجي لتحمل هذا

# الرحلة التي وضعت علم «البيولوجيا» على قدميه

إضافة الكثير من التوابل الجرافية، فكانت هناك مخلوقات بربوس متعددة وطيور بأربعة أرجل وتنبينات تخرج من فمها النيران. وكان يمارس هذا العلم في الكثير من الأحيان أمرا. وملوك هواة يلهمون به ليلابرا فراغ حياتهم وليضيفوا مجموعاتهم ومذكراتهم إلى ما يجمعوه من مفرجى البلاد وعازي الموسيقى. وبلغت بهم الجرأة في تحدى الحقيقة أن زعم أحدهم أنه أثبت أن طيور الازير المهاجر تنمو على الاشجار في مناطق بعيدة. هكذا كان علم البيولوجيا قبل رحلة البيجل.

وبعد رحلة البيجل تأصل العلم ووضع على قواعد الثابتة وربطت المعرفة بين أشكال الحياة المختلفة. وأخذت النظرية من العلم أدلة جديدة وأخذ العلم من النظرية توجيهها سليما، وغت شجرة المعرفة واتسعت كل ما نراه من تكتولوجيات متقدمة من زراعة الأعضاء إلى عمليات القلب القفوح إلى دراسات البيئة إلى الهندسة الوراثية. فكل مريض تجرى له عملية في القلب مدين لرحلة البيجل.

وكل مريض يتعاضى استولين بشرى لعلاج السكر مدين لرحلة البيجل. وكل مريض يتعاضى انترفيرون مدين لرحلة البيجل. وكل مريض تنقل له كلى أو كبد أو قلب أو رئة مدين لرحلة البيجل.. وهكذا يكون حب الإنسانية والتفاني في خدمتها.

مالح بارن: لمدة طويلة ، ووجد أنها تنمو طبيعيا لو زرت بعد ذلك، وبذا أثبت إمكان انتقال بذور النباتات مع تيارات المحيط. بل أنه أطعم بعض هذه البذور لأسماك وأطعم الأسماك لبعض طيور مهاجرة، فوجد أن هذه البذور يمكن أن تنزرع بعد نزولها في براز هذه الطيور. كما لاحظ داروين أيضا أن أقدام الطيور المهاجرة عليها الكثير من الحشائش التي يعلق عليها أنواع من القواقع تهاجر معها من مكان إلى مكان.

ولعل أجمل ما لاحظته داروين هو أنه يستحيل على الضفادع والثدييات اجتياز المحيطات يمثل هذه الطرق وبالفعل، فإن هذه الجزر كانت خالية تماما من هذه الحيوانات.

في ٢ أكتوبر ١٨٣٦ بعد رحلة دامت حوالي خمس سنوات عادت البيجل إلى شواطئ إنجلترا. كانت مجموعات داروين من الحيوانات والنباتات والمذكرات قد سبقته إلى منزله وكان سنه في تلك الوقت ٢٧ سنة. وعكف منذ وصوله على دراسة مجموعاته ومذكراته وبدأ يفكر في نظريته التي اوقفت علم البيولوجيا على قدميه وأصدر كتابه **On the Origin of Species** «عن أصل الانواع» في ٢٥ نوفمبر ١٨٥٩. كان علم البيولوجيا قبل رحلة البيجل سدا مداما مباحا لكل مغامر وأفاق. وكان يقتصر على الوصف الخارجي للمخلوقات مع

العذاب. وبالفعل، ثبت فيما بعد ارتفاع معدل الايض (التمثيل الغذائي) عند هذا الجنس ليساعده على تحمل درجات الحرارة المنخفضة.

واكتسب داروين في زيارته لجزر «جالاباجوس» **Galapagos Island** كثيرا من المعلومات، فهذه الجزر معزولة تماما عن باقي القارات، ويتكون سطحها من صخور بركانية وهي قليلة النباتات. ووجد داروين في هذه الجزر نوعا غريبا من السحالي لا يوجد مثيل له في أي مكان آخر. فقد كان يعيش على النباتات البحرية ويقضى جانبها كبيرا من الوقت في مياه البحر. واكتشف أيضا نوعا ضخما من السلاحف التي يصل وزن بعضها إلى ما يزيد عن مائة كيلو جرام. ووجد أن لكل جزيرة من الجزر سلاحفها الخاصة المميزة، ولعل أجمل اكتشافاته هو أنه في الجزر التي لا توجد بها إلا نباتات مرتفعة فإن «ظهر» السلاحف الجاف يوفو فتحة فوق الرقبة تمكن الحيوان من رفع رأسه لقطف اوراق النباتات المرتفعة.

كان أكثر ما يقلق داروين هو طريقة وصول هذه النباتات والحيوانات الي هذه الجزر البعيدة عن القارات الرئيسية، فقد زعم علماء النبات أن بذور النباتات لا يمكن أن تعيش في الماء المالح لمدة طويلة ، فأجريت داروين تجارب على بذور موضعتها في ماء



فن



فيلم «ميت فل» لرأفت الميهي:

هل هناك فن ثورى لا يؤمن بالإنسان؟!

إن كان هناك من بين فناني السينما المصرية الجديدة من تستحق أفلامه أن يطلق عليها «سينما المؤلف» ، فليس هناك من شك في أن أقربهم إلى ذلك هو رأفت الميهي. الذى اقتصر منذ أول أفلامه مخرجاً «عيون لا تنام» (١٩٨١) على تأليف وإخراج أفلامه بنفسه، بل إنه أصبح يمارس انتاجها أيضاً في الفترة الأخيرة، فليس غريباً إذن أن نتوقع أن تأتى هذه الأفلام تعبيراً متكاملًا عن رؤيته الفنية، الانسانية والسياسية ، خاصة وأن قدرًا قليلاً من التأمل سوف يشير على نحو ما إلى أن أفلام رأفت الميهي ليست في حقيقتها إلا فيلماً واحداً، أو أنها فكرة واحدة يقدم لها وعليها التنويعات السينمائية مرة بعد أخرى، مما دفع ببعض النقاد إلى وضع هذه الأفلام جميعاً تحت عنوان «الفانتازيا» ، هذا المصطلح الذى ساهم رأفت الميهي نفسه في الترويج له بصفته رائداً فنياً في هذا المجال ، ثم عاد وتراجع عنه ليطلق على أفلامه تعبيراً أكثر اقتراباً من الحقيقة، وهو «المسخرة»!

أحمد يوسف

< ٦٨ > اليسار / العدد الثمانون / أكتوبر ١٩٩٦



جاءت شهرة **رأفت الميهي** إذن من تميزه بأسلوب يبدو غريباً عن التيار الرئيسي في السينما المصرية خلال الثمانينات ، وهو التيار الذي يميل إلى أسلوب المعالجات الواقعية بملامحها المتعددة ، والمهمومة دائماً بقضايا الوجود الإنساني المهدد بالضيق أو المهانة في سياق اجتماعي شديد كثرنا من هذه الانقلابات والاضطرابات العاصفة، ومن هذه الانقلابات ذاتها انطلق **رأفت الميهي** لصنع ارتباطاً وثيقاً بين المضمون الاجتماعي العيبي ، والشكل الفني الملائم له ، والذي رأى أنه يجب أن يسعى إلى تحطيم كل التقاليد الواقعية في السينما. فإذا كان الواقع ينتهك أحاسيس البشر ويستغف بعقولهم، فلماذا لا يقوم الفن بتجسيد هذا الانتهاك والاستخفاف، لعله يغير من المتفرج نوعاً ما في الاستفزاز. يجعله يعيد التفكير في السلماط والديهيئات التي يفرضها عليه المجتمع، فربما يستطيع يوماً أن يثمرد عليها ويقوم بتغييرها؟

تلك كانت البدايات «النظرية» في سينما **رأفت الميهي** منذ فيلمه «**الأفوكاتو**»، والتي وجدت تطبيقها في العديد من أفلامه الأخرى، نال بعضها نجاحاً جماهيرياً وتقديراً كبيراً، لكن المنحني بدأ في المرحلة الأخيرة يسير في اتجاه الهبوط ، فبدأ بعض النقاد بدرهم يراجعون موقفهم المتحمس تجاه هذه السينما . وإن كان الأهم عند **رأفت الميهي** -فتحتا- هو أن النجاح التجاري لم يعد حليفه، بعد أن كان يميل إلى الأيمان بأنه قد توصل إلى حل المعادلة الصعبة بين الفن المجاد والترايل السينمائية الجماهيرية فإذا بالجمهور يخذله في فيلمه الأخيرين «**قليل من الحب كثير من العنف**»، و «**ميت قل**» على الرغم من اعتداده بالجمهور الساطعة، والكوميديا الساخرة اللاذعة.

## الصراع بين الفنان والمنتج

ماذا حدث للفنانين ذاثة الصيت؟ ولماذا لم تعد «المسخرة» تثير اهتمام المشاهدين؟

بكل الحسابات ، فإن **رأفت الميهي** كان يجب أن يكون اليوم أقرب إلى التضج في إنقاذ صناعة أفلامه ذات الملامح الفنية الخاصة والغريبة، والمضامين المتسردة الطموح، لكن تلك الحسابات لم تثبت صحتها، وهو ما يوجب قدراً أكبر من التأمل لأفلامه، لتلمس السبب الحقيقي وراء ذلك، ونظنه سبباً أصيلاً وعميقاً في سينما **رأفت**

**الميهي** ذاتها، ربما بدأ جينياً صغيراً لا يشعر بوجوده الكثيرون، حتى اكتمل كائناً كاملاً أصبح يفرض وجوده ويطل برأسه بين الفن والآخر، فيفسد على المتلقى متعته في تذوق الفيلم والاستمتاع به، كما حدث على نحو شديد الوضوح في فيلمه الأخير «**ميت قل**».

ولعل في قصة اختيار عنوان الفيلم ونجومه تكمن بعض العناصر السلبية التي تكبل قدرة **رأفت الميهي** على تحقيق ما يحلم به من «سينما المؤلف» فقد ظل سيناريو الفيلم جيبس الأدراج منذ سنوات عديدة، تحت عنوان «**ملوخية بالأرانب**»، في فترة سادت فيها «موضة» إطلاق أسماء أنواع المأكولات على عناوين الأفلام (١)، وربما يقول **رأفت الميهي** إنه كان يقصد به التعبير عن رغبة شخصيات الفيلم في أن ينعموا يوماً بأكلة شبيهة لا تتيحها لهم ظروفهم الفقيرة، لكنه على أية حال قام بتغيير العنوان- بعد انتهائهم «الموضة» -إلى «**ميت قل**»، وهو يقول الآن إنه يرمي إلى أن يشير في المتفرج رغبته في أن يعيد تقييم واقعه، الذي يصفونه دائماً بأنه «على خير ما يرام»، أو «ميت قل» باستخدام التعبير العامي الشائع ، بينما هو واقع مقبر للاشمعزاز و«مقرء» (وسوف نسمع هذه الكلمة كثيراً في كل فيلم من حوار فيلمه ، وإن كانت قد ترددت سابقاً في كل أفلامه!)

من جانب آخر ، فقد انتهى الفيلم إلى أن يقوم ببطولته **شيريهان وهشام سليم**- بعد أن كانت الشخصيات قد تم رسمها في السيناريو الأصلي لتلائم بظلي **رأفت الميهي** الأثيرين في مرحلة الذروة الفنية له: معالي زايد ومحمود عبد العزيز- وهو ما اضطره بالطبع إلى إضافة الكثير من «الترش» (أو ربما ما هو أكثر من ذلك) إلى فيلمه لكي يلائم النجمين الجديدين ، خاصة أن وجود **شيريهان** يقتضى- من ناحية تجارية خالصة- أن يفرد لها بعض الفرصات الاستعراضية المشهورة بها، حتى لو أدى ذلك إلى الاستطرادات التي تزيد الفيلم اضطراباً في بنائه الدرامي. لكن المنتج بداخله أبى إلا أن يسعى لاستغلال نجومية **شيريهان** التقليدية، وأن يقوم بما ينبغي عليه من الائتواء بالدراما حسبما يقوده هذا التنازل. (ولتقارن ذلك بوضوح الرؤية الفنية ونضجها عند محمد خان في عالم فيلمه «يوم حار جداً»، والتي دخلت إليه **شيريهان** -بالإضافة إلى الفنان محمد

**فؤاد**- دون تنازل فني واحد يسعى لاسترضاء «نوعة» «الفرجة» الساذجة عند قطاع من الجمهور ، سواء بالرقصات أو الأغنيات). من العديد من تلك القرارات الفنية المتسردة التي يتخذها **رأفت الميهي** ، في صراعه بين كونه منتجاً وفناناً في وقت واحد ، يتسلل الصدام وريداً إلى قدرته على صياغة رؤيته الصداغ والفكرية على نحو أكثر اتساقاً وتكاملاً وتأثيراً، وهو التردد الذي جعله يقرر بعد الانتهاء من فيلمه السابق «**قليل من الحب**» ، وعرضه في بعض العروض الخاصة على النقاد والمثقفين، أن يحذف منه عند عرضه الجماهيري أجزاء مهمة أدت إلى أن يفقد الفيلم تماسك الشكل الفني، بل أنه صنع للفيلم عند عرضه بالفيديو نسخة ثالثة تختلف عن السابقتين ، وإن لم تنجح بدورها أن تقلل من حجم الفشل التجاري! لكن **رأفت الميهي** يحاول أن يبدو في حواراته الصحفية على عكس هذه الصورة تماماً، واتقاً كل الثقة ما يفعل، مؤمناً كل الأيمان حين تنجح أفلامه جماهيرياً بأن الجمهور «الواعي» يفهم أفكاره الغامضة، لكنه يعود في حالة إخفاق أفلام أخرى إلى التأكيد على أنها تسبق عصرها، وأنه ما يزال ينتظرها ربع قرن من الزمن لكي تستطيع الجماهير استيعابها.

## حلم اختيار «الأب»

إن كان للفنان **رأفت الميهي** من فضل حقوقي على السينما المصرية الجديدة، فهو أنه جعلنا نتوقف عن التسليم والاستسلام للسينما التقليدية ، وأقنعنا بأن موقف المثوق للأفلام يجب أن يكون موقفاً «**دعوقراطياً**» حراً، أو بالأحرى متمرداً على المفاهيم التي تنصورها أو زلية أبدية ، في الفن والحياة على السواء، لكن جوهر المقاربة في سينما **رأفت الميهي** هو أنها تبدو في الوقت ذاته «ديكاتورية» في إملاء شروطها ومفاهيمها على المتفرج ، حين تقدمها على أنها البديل «الوحيد» والممكن على المستوى الفني والفكري، حتى لو كان هذا البديل لا يشفي للفننر غللاً في الاستمتاع بأسلوب فني متكامل الملامح والعناصر، أيأ كانت غرابته وشذوذه، أو الاقتراب من صياغة رؤية واضحة تجاه الواقع، أيأ كان قمردها وجسوعها.

تلك هي المقاربة التي تتجسد في فيلمه



حسن حسنى وهشام سليم وشريهان

عواطفها، لكن المشكلة الحقيقية فى الرؤية الفنية تجاه الانسان فى أفلام رأفت الميهي هى أن الانسان كان وسوف يظل للأبد وحشا مشوهاً.

### الأب ورموزه المتعددة

فلنتأمل إذن ذلك المتعطف الجديد الذى يدخل إليه الفيلم ، عندما يفتتن حسن أفندى بأن يتبنى أيضا الفتى كمال ، ليصبح أخاً فعلياً لزوجته السرية دلال ، ليعاود رأفت الميهي فى سعيه لاجتذاب الجمهور أن يبدل كل ما يستطيع من جهد لكي يلقى لقاءات عديدة بين «الأخ والأخت» ، أو الزوجين السريين ، بعيداً عن عينى «الأب» ، حتى يستخرج منها بعض الضحكات العشوائية والتوابل اللاذعة الساخرة. لكن ما يزال هناك «المضمون» الأعمق الذى يزعم الفيلم أنه

من خلال غر تقليدية قاماً- فى سلسلة من سوء التفاهم ، حين يعرض نفسه كابن على الانثى ، والأجانب فى الفندق الذى يعمل فيه ، مما يعرضه لأن يتصور البعض أنه يعاني من الشذوذ (ولا تسأل عن علاقة ذلك بالمضمون «الثورى» الذى يزعمه الفيلم، فهذه الوحيد هو اغتنام فرصة لمحاولة «زغزغة» الجمهور!) ، فان دلال من ناحية أخرى تنجح فى أن تعثر على ضالتها فجأة فى اجتماع مع رجل للأعمال واسع الثراء ، هو حسين أوزال أفندى(حسن حسنى) ، لتجد نفسها -على موسيقى شهزاد

لكورساكوف- وقد انتقلت بين غمضة عين وانتباهتها إلى عالم مسحور فى قصر منيف، بعد أن تبناها الرجل الكهل الذى يبدى بدوره سعاده البالغة بابنته الجديدة. إن هذا الثراء المفاجئ يجعل دلال تشعر بالكثير من «القرص» تجاه حبيبها وزوجها السرى كمال ، وتسخر من رايته «النتنة» وملاسه الداخلية الفقيرة (وهى فكرة ملحة أخرى على رأفت الميهي ، ظهرت فى «الأفوكاتو» من خلال المرأة التى بدأت فى التأفف من رايته فم خطيبها ، فقط بعد أن باتت الثروة قريبة منها) . إن هذه التفاصيل الساخرة- التى نراها تقليدية تماماً فى سخريتها من الفقراء ، وليس من الفقر، كما فعلت وتفعل السينما المصرية منذ فيلم «لو كفت غنى» وحتى «بغيت وعديلة» -تد توحى بالغا، الضوء على السياق الاقتصادى والاجتماعى ، الذى يحول البشر فى ظل الفقر إلى وحوش لا تعطى اهتماما كبيراً بصدق

«ميت قل» فى الشكل والمضمون معاً، فهو يبدأ من تحطيم كل الأشكال السينمائية الواقعية، ويسخر منها، كما أنه ينطلق من مفهوم بذر الشك فى نفوسنا حول الهالة «القدسة» التى نضفيها على علاقة الأب بأبنائه ، وهى بداية لا نستطيع إلا الاقرار والاعجاب بطموحها، لولا أن الفن لا يقيس الانجاز أبداً بالتوايا.

وبالطبع فان رأفت الميهي -كمادة فى أفلامه الأخيرة- لا يدعوك إلى أى «حدوثة» بالمعنى التقليدى ، فكل حوادثه هى من بنات أفكاره ، قد ترى فيها ظللاً شاحباً من الواقع، لكنه يأخذها إلى حدودها القصوى حتى يجعل منها «مسخرة» من كل شئ وأى شئ، لكنك على أية حال سوف تتعرف على دلال (شهيرهان) ابنة الحلاق الفقير، والسكريتيرة المتواضعة فى إحدى الشركات ، كما سوف ترى حبيبها كمال (هشام سليم) ابن الموظف العجوز رقيق الحال، وهذا الفتى يعمل حمالاً فى أحد الفنادق على الرغم من تخرجه من كلية الطب(وتلك هى إحدى الأفكار التى تلج على رأفت الميهي، على نحو ما ترى فى بطل فيلم «سيداتى أنساتى» ، ولأن فقرهما يمنع اكتمال قصة حبهما فى بيت الزوجية السعيد، فان كلاً منهما يخفى حقيقة أصوله المتواضعة عن الآخر، ويزعم أنه ينتمى إلى عائلة ثرية ، وهكذا يرضيان بالزواج فى السر، واللقا المختلس فى الفنادق المشبوهة لإشباع لرغبات جسديهما ، مما يعرضهما لإهانات تبتذل فيها إنسانيتيها، والتى تراها عند رأفت الميهي فى دخول موظفى الفندق الرخيص لاسترقاق النظرات على لقائهما الجنسى بحجج واهية، يريد بها الفيلم إضحاك الجماهير فى موقف إنسانى شديد الجدية والمأساوية.

يعرف إذن كل من كمال ودلال (ولتلاحظ اختيار جرس الاسمين فى محاولة لتحقيق خفة الظل) بفقر الطرف الآخر بعد أن حانت لحظة المصارحة ، لتخسر فى ذهنيهما فجأة فكرة البحث عن أبوين ثريين، ويتناقشان فيها للمرة الأولى فى حافلة مزدحمة بالناس، مما يثير استياء الجميع منها، (وكان رأفت الميهي يريد أن يضمننا بأن تمهل حتى لا نعلن نحن أيضاً -كمشاهدين - عن استيائنا)، وبينما يخوض كمال فى بسطة عن تحقيق فكرته المجنونة-



يقرب منه (ولنتذكر الإلحاح الدائم على فكرة تحطيم «التابوهات» عند رأفت الميهي ، وهي الفكرة التي تبدو- إن خلصت النوايا وتحقق الإنجاز- منطقاً حقيقياً لإعادة النظر في العديد من تصوراتنا المجازة ، ولكن المعالجة الهازلة تؤدي بها إلى غابة مناقضة تماماً) ، فقص «الأب» ليس هو «الجنة» إذا كان شروط وجود الرجل والمرأة فيها هو التخلي عن عواطفهما الإنسانية (ولتصرف النظر عن أن الفيلم يصورها على أنها غرائز بدائية وحشية) ، لذلك فإن «الأب» لن يكون النعمة التي هيئت على البطلين ، بل أنه النعمة الحقيقية إذ يبدو أنه اشتراها من أجل تحقيق نزواته «الأبوية» ، وهي الفكرة التي قد تحمل العديد من الدلالات التي تشير لكل أنواع «السلطة» ، بدءاً من المستوى الرومانسي- بالمعنى الفلسفي للكلمة- الذي يتحدث عن حياة الإنسان في «الطبيعة» ، وفقدانه لإنسانيته مع تنازله عن حياته الفطرية لإقامة حياة اجتماعية، مروراً بالمستوى السياسي الذي يشير إلى أن السلطة التي نختارها قد تصح وسيلة لقمعنا ، وانتهاءً بالمستوى الميتافيزيقي الذي يلحس إلى قوى متعالية على الإنسان وتحكم في مصاره.

من هنا يبدأ فهم عنوان الفيلم باللغة الإنجليزية كما اختاره رأفت الميهي «هيا نقتل أبانا» ، على نحو يذكر بفيلمه «للحب قصة أخيرة» (والذي يعتبر واحداً من أفضل وأجمل أفلام السينما العربية في شكله ومضمونه الجريئين، على الرغم من أنه لا يحتمى وراء دعوى «الفانتازيا»!) ، فانظر إلى أين انتهت محاولات «قتل الأب» ، الذي بدأ تسلطه على البطلين باختيار اسمين جديدين لهما: «سر من رأى» للفتاة دلال ، و«ميت فل» للفتى كمال (هل عرفت الآن سبباً منطقياً جديداً لمعنى عنوان الفيلم بالعربية؟) ، لأنهما الإنسان للذنان يعيقان مجداً ومهابة على الرجل عند ارتباطهما باسمه ، خاصة وأننا سوف نعرف أن سائقه وخادمه الأبله (أشرف عبد الباقي) ليس إلا ابنه الحقيقي ، فقد رفض الرجل الاعتراف به لتخلقه العقلي، وإن كنت لن تشعر أبداً أن وجود ذلك الابن سوف يزيد من عمق فكرة «الأب» المسيطر، سوى أن يكون هذا الأبله بلامحه الشبيهة بأحدى شخصيات «الأخوان

## فضل الميهي على السينما المصرية هو وقف التسليم والاستسلام للسينما التقليدية

ماركس» الكوميدي أقرب إلى دور «الكورس» في المسرحية الغريقية، أو الشخصيات الثانوية التي تعرف كل شيء عن الأحداث وتقوم بالعديد من الأدوار في بعض المسرحيات المعاصرة ، مثل شخصية الخادم في مسرحية «رجل لكل العصور» لروبرت بولت ، فهو يخبر البطلين- في تأكيد على رمز الفيلم- أن «الرجل لا يموت، وكل الأشياء

تقوت ما عداه» ، أو هو أحياناً يساعد «الأب» في أن يمارس لذته الأبوية بضرب الابنين عندما يخالفان التقاليد المذهبية، فيقوم السائق (الخادم) برش بعض الماء على مؤخرة الابنة حتى تبدو وكأنها «بللت» نفسها لكي تكتمل تقبيلية العقاب، أو هو أحياناً أخرى يصطنع حيلاً مسرحية لاتقان الجو الملائم للأحداث، مثل إصدار صوت الرياح والأعاصير والرعود، أو هطول الأمطار، مثلما فعل حارس السجن في مشهد غابر في فيلم «الأفوكاتو».

## انتقائية الشكل، وكليية المضمون

إن هذا الخليط من التسليم إلى المأثور الاقتصادي والاجتماعي لأزمة البطلين ، والتعثر في الوقت ذاته في الإيحاء بدلالات رمزية ذات طلال إنسانية أزلية أبدية، يلتقي مع قدر هائل من التشوش في «أساليب» الفيلم الانتقائية، التي يبدو أن اختيار رأفت الميهي لها يتم كيفما اتفق، دون بذل محاولة حقيقية لصهرها معاً في شكل فني متسق يجمع بين التناقضات ، ويحقق القاعدة



سر من رأى مع ميت فل

الجمالية البديهية في الفن، وهي «الوحدة في التنوع»، إلا إذا كان رأفت الميهي يصر على أن يعبر عن اضطراب القيم والافتكار بصنع أعمال فنية تتسم هي ذاتها باضطراب الأسلوب.

ليس غريباً إذن أن يستقبل الجمهور، بالكثير من الفتور، هذا الخلط الذي يصطنع التعقيد الفني والعمق الفكري، وهو الفتور الذي يعود إلى أسباب عديدة، لعل من أهمها النزوع إلى شكل فني يخلو من أي منطق، تحت اسم «الفانتازيا» الزائفة تارة، و«المسخرة» تارة أخرى، (في الحقيقة أن هذا النوع من السخرية والجسوع في الخيال يمكنك أن تجد على نحو شديد الاتقان في أفلام أمريكية كوميدية ضحلة المضمون مثل «أكاديمية البوليس» أو «لقطات ساخنة»، فالسخرية المبادئة تحتاج إلى منطق، فني» شديد المساك، ربما أكثر من أي فيلم «واقعي».

أن أردت اقتراباً من حقيقة التشوش في أفلام رأفت الميهي الأخيرة، فالتنازع يعود إلى رؤية عيشية- أو بالأحرى فوضوية بالمعنى الفلسفي للكلمة- للعالم كله، وهي الرؤية التي تجعل السخرية عنده، تنقف على حدود النزعة الكليبية التي لا تهدف أبداً إلى كشف أسباب العيب في الواقع، أو السياق الاجتماعي والسياسي أو حتى الميتافيزيقي، الذي ينزع عن الإنسان إنسانيته، بل إن الإنسان عنده لا يستحق أن نسيغ عليه تلك الأفكار والمشارع «الإنسانية». فأفلام رأفت الميهي أصبحت تقبل إلى تصوير البشر كلهم- في كل زمان ومكان- على أنهم يشيرون «القرق» (ولا يخلو واحد من أفلامه من ترديد هذه الكلمة عشرات المرات)، تتبعث منهم رائحة العرق والبول، ويتصاعد شخيرهم وتخرج الغازات من أمعائهم أثناء نومهم، (كان كازنتراكس يتسالم دائماً في دهشة الشاعر عن الإنسان، ذلك الحيوان القادر على أن يصيح ملاكاً من خلال ذلك الجسد نفسه)، وكل العلاقات الإنسانية مشوهة.

فعلاقة الآباء بالأبناء هي مسح المؤخرات أو ضربها، بل إن «الحياة ذاتها مرفقة قوى»، كما قال «الأفوكاتو» حسن سيانخ. وإن كنت تتصور أن تلك الرؤية للحياة تنتمي إلى بطل هذا الفيلم- كشخصية فنية- أكثر من انتماها لصانع الفيلم نفسه، فالتنازع حول الوجه الآخر لحسن سيانخ، شقيقه أحمد سيانخ في بطل فيلم «سك لين ترمهندي»، الذي يردد العبارات ذاتها، فكان رأفت الميهي يستخدمها -كما يستخدم كل أبطال أفلامه- لكي يضع على ألسنتهم فلسفته، التي ما تزال تتردد أصدائها في «ميت فل».

وقد تكون عبارات مثل «الناس كلهم حمير، مش فاهين حاجة»، أو «الاجتماعات المتخلقة ما تعرفش حاجة أسمها العلم وأى محاولة لتغيير حركتها بقوانين علمية تعتبر غير علمية في حد ذاتها (!!!)، قد تكون هذه العبارات قد جاءت على لسان هذه الشخصية أو تلك، لكن أليس من الغريب أن ترد كل شخصيات الأفلام الأخرى نفس الكلمات والافتكار؟! من تلك الحقيقة البسيطة استحق رأفت الميهي أن يكون مؤلفاً لسينما خاصة به، وهذا حق الذي نعترف له به، لكن من حقنا أيضاً أن نتفق أو نخالف مع رؤيته، التي تراها تتعدد أكثر وأكثر عن الاقتراب من الجماهير (أو بالأحرى عن «الإنسان»، لأن كلمة «الجماهير» أصبحت تثير حساسية عند البعض)، فهذه الرؤية أصبحت توغل في العيب المصطنع، أخطر ما فيه إنه لا يؤمن بقدره الإنسان على صنع مصيره، أو أنه العيب الذي لا يؤمن بجدره أن يضع يده على العوائق الحقيقية التي تجعل الإنسان عاجزاً عن صنع هذا المصير. لذلك لم يكن غريباً أن تنصرف الجماهير عن فيلم «ميت فل»، لأنه يوههم بأنه يمنحهم ديمقراطية التمرد والرفض، وإن كان يملئ عليهم رؤيته السوداوية الديكتاتورية.



مسرح



مهرجان

القاهرة

الدولى

للمسرح

التجريبي



الطوق والاسورة اخراج: ناصر عبد المنعم

# كناسة دكان العالم

## عبله الرويتى

المدرسى ١١ وشاركت البرازيل بمسرحية (وصول البحارة) لفرقة اونيناوى أولوبو وهم مجموعة من الهواة بالمسرح العمالى.. إلى جانب العديد من الفرق حديثة التكوين ( فرقة لاتيفيا، فرقة اندونيسيا، فرقة ماليزيا، فرقة لتوانيا ) إلى جانب ضعف المشاركة المسرحية العربية هذا العام.

هكذا احتشد المهرجان بكناسة دكان العالم المسرحى خاصة مع اختفاء الفرق

اليسار/ العدد الثمانون/ أكتوبر ١٩٩٦ > ٧٣ <

بيلاروس، تاتارستان، شوفاشيا وأوكرانيا والتي شاركت وحدها بـ ٣ فرق مسرحية، مثلما شاركت روسيا بـ ٣ فرق مسرحية أيضا.

وشاركت المانيا بـ ٤ فرق مسرحية وسويسرا بـ ٣ فرق مسرحية والبرتغال بـ ٣ فرق مسرحية.

ولأن سياسة الكم هي بالأساس صيغة احتفالية دعائية، فقد اتسمت معظم الفرق المسرحية المشاركة بضعف مستواها الفنى وغياب الخبرة والامكانية والفلسفة الواضحة فى تناول العمل الفنى.. هكذا شاركت المانيا بعرض (قطعة مسرحية ١٠- لفرقة فليباخ للمسرح

إذا كانت الدورة السابقة لمهرجان القاهرة للمسرح التجريبي أثارت استياء المسرحيين بضعف مستواها الفنى، فإن الدورة الثامنة هذا العام لم تثر استياء أحد بعد أن فقد الجميع حماسهم وأصابتهم بلادة جماعية.

نفس الأخطاء ، نفس الفوضى، نفس سياسة الكم، والقيمة الإعلامية والمنهج الاحتفالى فى إدارة مهرجان ثقافى مسرحى!!

أكثر من ٧٠ فرقة مسرحية يمثلون ٤٣ دولة من أنحاء العالم. الاتحاد السوفيتى (السابق) شارك بـ ١٤ فرقة مسرحية من جمهورياته المستقلة لتوانيا، اذربيجان، كازاخستان، لاتفيا، روسيا،

**\*  
عرض  
لفرقة  
جنوب  
افريقيا**

المسرحية المتميزة والتي سبق لها المشاركة  
بالمهرجان في سنوات سابقة إضافة إلى عجز  
إدارة المهرجان عن دعوة الفرق  
المسرحية ذات التاريخ والأهمية  
المسرحية خاصة وأن لائحة تنظيم المهرجان لا  
تتضمن لجنة لاختيار العروض المسرحية الهامة  
من أنحاء العالم وغالباً ما تخضع في  
اختياراتها إلى اتفاقيات التبادل الثقافي بين  
الدول أو الاختيارات العشوائية.

ويتجدد اقتراح المسرحيين عاما بعد آخر  
بتخفيض عدد الدول والفرق المشاركة والاكتفاء  
باختيار دقيق ومتميز لعدد قليل جداً من الفرق  
المسرحية التي يمكنها إثراء المهرجان والإضافة  
الحقيقية للحركة المسرحية المصرية.

**كارميننا بورانا هدية  
المهرجان**

كادت أن تختفي هذا العام ظاهرة العروض  
الراقصة ليستعيد النص المسرحي مكانته على  
خشبة المسرح من خلال تنوع في المادة الدرامية  
نصوص مسرحية كلاسيكية : اليونان  
(الكثرتا) البرتغال (الهداد يليق  
بالكثرتا) أوكرانيا (ماكيت) (اباجو)  
ونصوص معاصرة : لبنان (الكراسي)  
ليونسكو. روسيا (الدوس والكراسي) إلى  
جانب عروض تستند إلى التاريخ والسيرة  
والرواية الأدبية روسيا (بيزنطة)، سنغافورة  
(احفاد الادميرال)، سوريا (الدب)  
لشيكوف و(مات ثلاث مرات) عن قصة  
قصيرة لامادو، مصر (الطوق والأسورة) عن  
قصة ليحيى الطاهر عبد الله. وقدمت الأردن  
(كانك يا بو زيد) وبولندا (كارميننا  
بورانا) التي استحقت بجدارة جائزة أفضل  
عرض مسرحي من لجنة النقاد المصريين وجائزة  
أفضل تقنية من لجنة التحكيم الدولي..  
والمسرحية تتناول الحب الذي يفسره المخرج بأنه  
التقاء الروح الحرة مع الأغنية.. كارميننا بورانا  
عرض موسيقى يستند على أغنيتين أو  
أسطورتين شهيرتين في الثقافة الأوروبية  
(كارميننا بورانا) تلك الأشعار التي تمتد إلى  
القرنين الثامن عشر والثالث عشر والتي طلت  
حتى السبعينيات من هذا القرن مفقودة في أحد  
الآدمية بمرتفعات الألب البلغارية. وأسطورة  
«ترستان وإيزولدة» وهي قصة المحلو رومانية  
ترجع لنفس الفترة التاريخية.



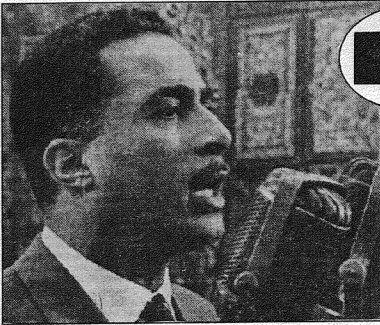
**\*  
العرض  
الروسي**



# ناصر

هموم

٢٠٠٠



مشهد من فيلم ناصر ٥٦

بحجة الحوار في حين يظهر في العالم خلال نفس الفترة ١٠٠٠ عنوان كتاب جديد هناك طرق للحوار كثيرة توفر الوقت وتنظم الأراء وتجذبونها وتبنيها . وحزب ثان مازال يلبس الطرابيش ، ويستثمر دعم الحكومة في رحلات العمرة والحج . وحزب ثالث متمسك بلقب الباشا ويعلم الناس تربية وأكل عش الغراب ، والحزب الكبير يرفع شبكة المصالح التحتية للتيهة الحاكمة ، والدولة محاصر أحزاب المعارضة لتأكل نفسها من الداخل .

كيف نفوز وأصبحت تتحاور بالسلح أو في المحاكم التي أصبحت أحكامها تثير الدهشة والقتيل والقال، وتستثمر في السياسة ؟! علاوة على مزيد من قضايا الفساد والإرهاب التي تكشف كل حين وأصبح موضة هذه الأيام أن يهرب الإرهابيون بعد أن يمارسوا القتل وسرقة البنوك ومخبرات الذهب في عز النهار.

ولانتسى إسرائيل وهي تعرصد بعمليات الاستيطان الجديدة بأسم السلام . وتزداد الوجعات تنسح أن أربع جامعات خاصة نشأت بجرة قلم في أربعة أيام فقط، ثم يكشفون أنها بدون بنية أساسية: من معامل ومكتبات وأعضاء هيئة تدريس ، لدرجة أن بعض تلك الجامعات لم تسلم الأرض التي ستبنى عليها ، فلمهم أن يزداد عدد المطابع التي تعطى شهادات ، وكلها تجارة ومصالح شخصية وتسكين للناس على حساب الوطن ، وبعد كل ذلك يسأل شباب

تعجبت من الذين أصيبوا بصدمة من تخلفنا الرياضي في دورة أتلانتا . تعجبت من صدمتهم رغم أن منظومة حياتنا من سياسة واقتصاد وثقافة تعكس تماما عدم مشاركتنا في صنع حضارة اليوم ، لأننا لم ندخل بعد القرن العشرين . نحن بالكاد على أبواب القرن الـ ١٩ والبعض يشدنا بقوة إلى القرن الـ ١٧ . أننا ندعى أننا نتعلم ، وأننا غارس الديمقراطية، وأننا غارس التفكير العلمي . والواقع يقول عكس ذلك تماما . فكيف نفوز ؟ إذا كان الذي يفكر بيننا مثل الأستاذ الدكتور نصر أبو زيد يحكمون عليه بالتفريق بينه وبين زوجته ، ونحن على أبواب الألفية الثالثة وهم يعتقدون المؤتمرات الآن في الغرب لاعادة النظر في كل المسلمات والثوابت بعد أن شكوا في وجود حياة على المريخ ، فلماذا نفكر؟!

## د. أحمد محمد صالح

بالتواضع يحكي عن مواقف شعوذة كأنها معجزات . وأستاذ أمراض نساء في أكبر كلية طب يتحدث بفخر عن مؤقرات السحر ، ويع صوت الدكتور يحيى الزخاوي وزميله عالم الاجتماع في تنبيه الحضور لعدم الخلط بين المصطلحات ، وأن منظومة الفقر والقهر والجهل والمرض وضعف التعليم والبطالة هي التي ساعدت على نشر الخرافة ، فيبسم عالم الدين وعميد أصول الدين بسخرية ويقول: هذا كلام في السياسة! لا .. يامولانا كل شئ في حياتنا سياسة حتى حضورك في البرنامج سباسة ورحم الله الجميع.

وبقية الأحزاب لا تختلف كثيرا عن الأحرار ، فهذا حزب اجتماعاته تستمر بالعشر ساعات كلام في كلام ، عشر ساعات كلام

وكيف نفوز في أتلانتا ونلس شوريات وهي حرام!

وكيف نفوز وهناك حزب يسمى نفسه الأحرار يعلن في شوارع الإسكندرية عن فتح عيادات لعلاج الجن والشياطين . كيف نفوز في أتلانتا وأصبح في كل بيت مصري غفريت وشيطان وجن يحتاج أكثر من شيخ ودجال لإخراجه ؟!

فكيف نفوز والدكتورة المصرية معدة برنامج باهلا ( تحية سعودية ) في المحطة الفضائية ( راديو وتلفزيون العرب ) ذات التمويل والتوجهات السعودية تعرض على عدة أيام في شهر أغسطس حلقات عن العفارت والشعوذة والجن ، طبعاً في المجتمع المصري، لأن الدكتورة لا تستطيع أن تقترب من المجتمع السعودي وتقدم مشاكله ، فالجميع يسترقز على حساب مصر . وشاهد في البرنامج وزير بحث علمي سابقاً مشهوراً



وفي وسط تلك الضربات على الوجدان المصري كان هناك بريق أمل في إقبال الناس الشديد على مشروع مكتبة الأسرة ومعارف التنوير ، على أمل محاربة الجهل والجهالة وتكوين ثقافة جديدة لمجتمع جديد . وريق الأمل الثاني كان فيلم ناصر ٥٦ ، الذي سبق أطفالاً على مشاهدته في أول يوم عرض . وكانتهم شعروا بحتياجي إلى ناصر . ومع ناصر ٥٦ تحولت عندي مشاعر اليأس والإحباط إلى روح جديدة فقدت مني منذ سنوات عديدة ، حين كنت أتعف مع الصبية في الشارع عام ٥٦ حناروب.. حناروب . وأتذكر جيداً حين عبرت في حبس أكتوبر ٧٣ كيندي جامعي مقاتل في الجبهة المصرية ، وجدت نفسي في حراس وطني غامر أعيش مع عبد الناصر وأغنى معه : هذه أرضي أنا وأبى ضحى هنا ..

والله أكبر .. الله أكبر على المحدث . عشت مع بساطة ناصر واتعنت بعيشته ، وكيف كان يضع مصلحة مصر قبل كل شيء ، وإنجازها للفقراء . ولاحظت أن حساسي ومشاعري الجباشة انتقلت إلى أطفال الذين لم يعاشوا تلك الفترة . ولفت نظري أنهم يضحكون على الجمهور كلما ظهرت شخصية معينة ، واكتشفت أنه أنور السادات . وطوال الفيلم يسألون عن الشخصيات المساحية لعبد الناصر ، وعن الإنجليز وبور سعيد والسويس ، وأهمية القناة ومعنى التأميم وحرب ٥٦ ، ومن هو إيدن وتشرشل وأسمعهم يعلقون معقول رئيس جمهورية يعيش بالتواضع ده ! . وطوال مشوار العودة كانت الأسئلة تحاصرني إلى أن سألني ابنتي الصغيرة : هو ناصر مات أمتي ؟ هو في حد قتل ؟ مش ممكن يكون عايش وحظير في الوقت المناسب ؟! وكنت أنا بدوي أكلت نفسي . نعم أكلتها فكلنا مجانين . هل معقول مصر ٩٦ تؤمم قناة السويس ومصر ٩٦ يبيع القطاع العام لكل من هو وب ؟! والغريب أن المبررات الوطنية للتأميم هي نفس المبررات التي تدعيها الحكومة الآن للبيع باسم التنمية ! والسؤال : هل مصر الآن فقدت إرادة الرفض والتمسك ؟ هل في إمكان مصر الآن أن تقف أمام العوائق لتحقق أهداف التنمية لصالح أغلبية مواطنيها ؟

يجب الاتفاق أولاً على أن كل مرحلة سياسية في مصر ، منذ أن بدأ التاريخ حتى الآن ، مارست عمليات التغير السياسي بأساليب تتفق مع متغيرات كل مرحلة . ورغم اختلاف الآراء حول سبلات وإيجابيات الحقبة

الناصرية إلا أننا يمكن أن نغير فترة ناصر بالانحياز للفقراء ، والكثرياء الوطني الذي فجر روح التحدي بين الناس ولم يستطع أي توجه سياسي جاء بعد عبد الناصر أن ينحاز للفقراء . أو بعيد تلك الروح باستثناء فترة حرب أكتوبر ٧٣ .

لذلك نزع أننا نحتاج بعنف وبشدة إلى ناصر ٢٠٠٠ ، ناصر الروح والرمز والمعنى والكثرياء الوطني والتحدى الذي يوظف الحلم المشترك والإجماع الوطني ويشد الهمة من حوله ويعلم تعينة المصريين جميعاً لحل مشاكل الوطن ، ويدون تلك الأجر لن نستطيع أن نواجه تحديات المستقبل . وناصر ٢٠٠٠ قد يكون شخصاً أو حزباً أو حدثاً قومياً أو كارثة طبيعية أو حرباً إقليمية أو قضية أو مشروعاً قومياً أو يساراً مصرأ جديداً يتكلم بلغة العصر ويشد الهمة ويصحي مصر من النوم ويبعث فيها الروح الوطنية والتوحد مع الوطن . نحن نحتاج إلى ناصر ٢٠٠٠ يقف على منبر الأجر الآن ، ويدعو الناس إلى الاستعداد وحمل سلاح العلم وتعليم الكمبيوتر . ويعلم الحرب على التخلف والجهالة والإرهاب وتجار الدين والفساد . نحن نحتاج إلى ناصر ٢٠٠٠ ليعلم في ميدان المنشية باسم الأمة . تأمهم قدرات وجهود المصريين للقضاء على الجهل والمراش والفقر لصالح تنمية الوطن . تنمية تستند على منظومة الثقافة المصرية التي تمتد جذورها إلى عمق التاريخ . تنمية قادرة على إحداث إغناش اقتصادي دون التضحية بالصالح العام الاجتماعي والروحي . وناصر ٢٠٠٠ أمامه تحديات وآمال تختلف تماماً في طبيعتها عن تحديات وآمال ٥٦ ، لا اختلاف في التغيرات الإقليمية والعالمية . ونحول الآن أن نرصد بعض أهم تلك التحديات التي تتوقع أن تواجه ناصر ٢٠٠٠ والآمال المتعلقة :

١- يجب أن نسجل أولاً أننا لم ندخل عصر الصناعة بعد ، فالوضع ليس بناء مصانع بل بناء منظومة فكر وسلوكيات المجتمع الصناعي ، الذي يعتبر أساساً للدخول في القرن القادم عصر المعلومات الذي أصبحت فيه المعرفة أهم عنصر من عناصر الإنتاج . نحن خارج عصر الصناعة ، بولك الهوجة التي نسمعها ونقرأها في وسائل الإعلام خاصة الصحف والمطبوعات والكتب عن خيارات مصر في القرن الواحد والعشرين وتورة المعلومات والمستقبل ، مجرد سياسة وتسكين وتسويق وتجارة ، لأننا ببساطة لم نتحول بعد إلى مجتمع صناعي وأمامنا عشرت السنوات لكي ندخل القرن العشرين وليس الواحد والعشرين ، لذلك دعونا نتفق أن أقصى ما نملك به أن نتقن مهارات تورة المعلومات التي أنتجها المركز ، وأن نوظفها ونستثمرها لكي نسرع في الدخول إلى عصر

الصناعة ونحول إلى مجتمع صناعي .

٢- إن التحولات العالمية القائمة على ثورة التكنولوجيا والمعلومات لا تنطوي على إيجابيات لجميع الدول ، فسوف تستفيد منها الدول الصناعية المتقدمة القادرة على توظيف هذه التحولات لصالحها ، وبالعكس لها آثار سلبية شديدة على الدول الأقل استعداداً للاستجابة وتوظيف تلك التحولات وهي في الغالب الدول المتخلفة . وعلى الرغم من أن المعوقات الثقافية للاستجابة وتوظيف ثورة التكنولوجيا والمعلومات موجودة في كل المجتمعات إلا أن التغيير يهدد المعتقدات الدينية والاجتماعية وأغاط الحياة والعادات القائمة ، لكن مايز الدول المتخلفة أن الموق الأساسي ينطلق من النخبة الحاكمة التي فقدت السيطرة على شئونها الإقليمية والدولية ، وهي غير مؤهلة لتحدي الأقطام في القرن الواحد والعشرين وهو كيفية استثمار الانتاج المعرفي والتكنولوجي لاشباع حاجات السكان المتزايدة . والسنياريو المتوقع للدول المتخلفة عام ٢٠٠٠ هو انفجار سكاني (ستدخل مصر القرن الواحد والعشرين ب ٧٠ مليون ، وستصل عام ٢٠٢٥ حوالي ١٠٠ مليون نسمة) ، مناسخة على الأرض والهجرة ، اضطراب اجتماعي ، وقلق وإرهاب ، وتورة في المعرفة والتكنولوجيا . والتوسع في توظيف واستثمار نتائج الثورة العلمية والتكنولوجية والتي أنتجت مامسى بثورة المعلومات والاتصال يتطلب شروطاً اجتماعية وثقافية أعماق من مجرد استيراد تطبيقات تلك الثورة ، ومجمل هذه الشروط أن تتوفر منظومة خصائص وقيم المجتمع الصناعي القائم بداية على مناخ سياسي مشجع حرية الفكر والإبداع .

٣- لذلك يتوقع من ناصر ٢٠٠٠ يبدأ بإصلاح سياسي شامل للوطن يقوم على أساس تعميق الديمقراطية وحقوق الإنسان ، وحقوق المشاركة السياسية ، ومزيد من الحرية للمنظمات غير الحكومية والمبادرات الشعبية . وينحول الوطن إلى مجتمع شفاف يتدفق فيه المعلومات للحكام والمحكومين لتلوجد فيه فرصة للتنميط على قرار أو فساد في أي موقع ، بمعنى تحرير شامل للمجتمع ، لأن الحرية الاقتصادية بدون تعميق الديمقراطية تؤدي إلى بطالة وغلا ، وفق ، لحرز الإصلاح السياسي الشامل بتأييد الحقوقي وتعميم المشاركة ، وفك قيود التخلف من العملية التعليمية . والركيزة لمواجهة مقتضيات المستقبل .

٤- إن التغييرات العالمية الناتجة عن ثورة التكنولوجيا والمعلومات تفرض نفسها على السيادة الوطنية للدول الأطراف المتهددة للحدسرة في القرن الواحد والعشرين ، ولاهرب من وصول آثار تلك





نصر أبو زيد



د. يحيى الراعى

التفسيرات لجميع الدول ، والسبيل الوحيد للحفاظ على السيادة الوطنية المصرية هو عودة مصر لتفسير أبنائها ، وسيؤدي ترسيخ الديمقراطية الفعالة التي تضبط السلطة ، فالحذود السياسية في القرن القادم لا تحفظ السيادة والهوية الوطنية ، بل ثقافة المجتمع الديمقراطي بأشكالها المختلفة هي التي تحمي السيادة والهوية الوطنية.

٥- رغم أن عالم ناصر ٢٠٠٠ سوف تتقارب شعوبه بشكل لم يسبق في التاريخ ، نتيجة ثورة الاتصالات ، وسيؤدي هذا التقارب إلى تغيير عميق في علاقات الدول ، لكن الصراع بيننا وبين إسرائيل صراع حضارى ، سوف يأخذ أشكالا اقتصادية وثقافية وتكنولوجية ومعلوماتية ويهيئ أولها صراعات الماء القادمة ، ورغم هذا التقارب الكوني إلا أن الخلافات العربية لن تنتهى ، بل سوف تزداد تعقيدا حول أدوار الزعامة ، ويصبح الأمل في ناصر ٢٠٠٠ أن ينجح في تكامل اقتصادى عربى وسوق عربية مشتركة.

٦- إن تطبيقات ثورة التكنولوجيا والمعلومات تسيطر عليها تماما الشركات المتعددة الجنسيات التي تحكر الابتكارات العلمية ، وهي تصدر التكنولوجيا بشروطها ، وذلك يستلزم تنمية التكنولوجيا المحلية ، وتوظيف قدرات العلماء والباحث داخل الوطن ، وهنا يحتاج ثورة في التعليم ، توظف فيها تطبيقات تكنولوجيا المعلومات ، وإذا كان ناصر ٥٦ نجح في بناء السد العالى ، فالمختبرات العالية تجعل ناصر ٢٠٠٠ يسعى لإنشاء وادى سيلكون مصرى (silicon valley) فى كاليفورنيا تنتج فيه أرقى تكنولوجيا في العالم) تنفجر فيه التكنولوجيا وتطبيقاتها اللازمة للمنطقة العربية لكسر قيز وتفوق إسرائيل في صناعة المعلومات ، خاصة وأنه توافر لدينا الكوادر المؤهلة لذلك ولا يفتقنا إلا روح التحدى التكنولوجى .

ومن ناصر ٥٦ الذى أسمى قناة السويس إلى ناصر ٢٠٠٠ الذى نتوقع أن يوقف تكنولوجيا المعلومات فى إعادة اكتشاف الموارد البشرية والطبيعية لمصر للاسراع بالدخول إلى عصر الصناعة ، وأن يوظفها ويستثمرها على القامة الطويلة لمشاكلنا.

٧- إن المرحلة الشائعة لإن الاسراع بالخصخصة من ضمن عوامل نجاح الإصلاح الاقتصادى فى مصر هي مقولة مغلوطة ، لأن نجاح الخصخصة فى دول مثل مصر منخفضة الدخل متوقف على فاعلية الإشراف الحكومى وكفاءة القطاع الخاص. فالخصخصة فى روسيا ليست إلا أن لم ترتفع معدلات الإنتاج فالمشكلة حتى فى شكل الملكية لكن فى الإدارة ومدى نجاحها . والدولة فى عصر المعلومات لها هيكل ومنا اتصالى وخصائص مختلفة عن الإدارة التقليدية . لذلك نتوقع ناصر ٢٠٠٠ ثورة إدارية فى مصر كلها توظف فيها تكنولوجيا المعلومات لحل مشكلة الإدارة فى القطاعات الاقتصادية.

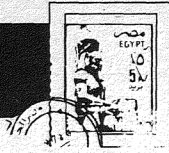
٨- سيحرص ناصر ٢٠٠٠ على الإصلاح السياسى الشامل حتى لا يقع تحت سيطرة الطبقات صاحبة الثروة المرتبطة بقوى خارج الوطن خاصة بعد إلغاء الدعم السياسى والاقتصادى للطبقتين الدنيا والوسطى ، فالاصلاح السياسى الشامل هو السبيل الوحيد لمواجهة السلبات الاجتماعية المترتبة على انحسار دور الدولة فى السيطرة على وسائل الإنتاج وفقا لأليات السوق التى يتجه إليها العالم اليوم ، فديمقراطية المشاركة ، والتخطيط الطويل المدى والإدارة اللامركزية ، وتحويل التاهيل والتدريب للعمال إلى الاعتماد على المهارات العقلية ، كلها شروط لمواجهة الآثار السلبية المترتبة ، ولن يسمح ناصر ٢٠٠٠ بالاستغلال الصارخ والقرع من جانب طبقة لطيفة أخرى ، ولن يكتفى بتنمية الثروة المادية لمصر ، بل يسعى إلى توزيعها بما يحقق التكامل والعدل الاجتماعى تحت أى مسمى أيدولوجى بشرط ألا يتعارض مع المنظومة الثقافية لمصر.

٩- إن ثورة الاتصالات كسرت احتكار الدولة للمعلومات واختزنت الحدود القومية وأتاحته للامصريين لأن يسمعو ويروا كيف يوزى الآخرون فى العالم المتقدم أعمالهم وكيف يعيشون ، وجعلت المصريين أكثر وعيا بالهوية بينهم وبين العالم المتقدم ، ولكن لا يستطيع التعليم والثقافة والانفتاح على العالم الخارجى تغيير وتحول المجتمع المصرى إلى عصر المعلومات فجأة ، لأن ذلك يستلزم إحداث تغييرات سياسية واقتصادية واجتماعية تحولنا أولا إلى سوليكات المجتمع

الصناعى ، وتتيح للمصريين مزيداً من الحرية حتى لانتشر مشاعر الإحباط والمرارة والتمرد.

١٠- وأخيراً دعونا نتفق أن الحرب أو المشروع القومى أو الشخص الذى ينجح من أن يتكلم لغة العصر يواجه مشكلات مصر بحلول جديدة تعتمد على توظيف ثورة التكنولوجيا والمعلومات للإسراع بها إلى عصر الصناعة ، ويستطيع أن يفهم جيدا التحولات العالمية فى القرن القادم أمامه فرصة كبيرة لكى يصيح ناصر ٢٠٠٠ الذى يشد همة المصريين ويعيد روحهم الحقيقية فى النضال.

١١- واليسار المصرى له فرصة كبيرة ومتوقعة وطبيعية ومزغول فى القرن القادم لكى يكون ناصر ٢٠٠٠ إذا استطاع أن يفهم ويتكلم لغة القرن القادم . وإذا استطاع أن يجمع مصالح ضحايا تحويل المجتمع إلى عصر الصناعة وهم ملايين الفقراء وغير المتعلمين وملايين الفلاحين ضحايا ثورة التكنولوجيا الحبيوة وهندسة الجينات فى الزراعة ، والعمال غير المهرة وغير المدربين ضحايا الكمبيوتر والتصنيع الآلى ، حيث تزداد الفجوة بين الأغنياء والفقراء وتزداد فرص الاضطرابات الاجتماعية. وستكون مهمة اليسار هي منع هذه الفلالق بدفاعه عن المصالح والحقوق الإنسانية لضحايا التحول . وعلى اليسار أيضا أن يفهم اضطرابات واحتجاجات العمال فى المستقبل التى ستأخذ أشكالا إلكترونية مثل مظاهرات الفاكس ، وتعطيل العمل عن طريق فيروسات الكمبيوتر ونشر احتجاجاتهم عن طريق الانترنت لتدور حول العالم فى ثانية ، وعقد مؤتمرات معارضة من على بعد ، وأيضاً احتجاجات الفلاحين عبر البريد الإلكتروني ، الذين سيرسلون التوقيعات والرائض والشكاوى الإلكترونية من خلال الانترنت لمنظمات حقوق الإنسان العالمية والمحلية. وستجد النابات العمالية والمنهية والأحزاب نفسها لتلك المؤهلات والقيرات اللازمة فى مثل هذه الأمور ، فضلا عن الحقوق الواجب التركيز عليها بجانب الحقوق التقليدية للعمال والمهنيين حق إعادة التاهيل والتدريب على ما يستحدث من تكنولوجيا ، كل هذه موضوعات يجب أن يستعد لها الحزب الذى يأمل أن يصيح ناصر.



إبراهيم سعد



أسامة أنور عكاشة

## حلال عليهم.. حرام على أسامة

محابدا بشأن تقييده لدوره. ومبعث الدهشة أن الصحيفة التي فتحت المجال واسعا للتكبير بعهد عبد الناصر والتشكيك في ذمته المالية وكيل الاتهامات الباطلة لكل إنجازات عهده قد منحت نفسها هذا الحق، بينما تحرمه على الكتاب الآخرين الذين يختلفون مع رأيها في الرئيس أنور

الحملة الشرسة التي تشنها صحيفة أخبار اليوم ضد السيناريست "أسامة أنور عكاشة" بسبب اتفاق القوات المسلحة معه، على كتابة فيلم خاص بحرب ١٩٧٣، تدعو للدخول. فالصحيفة ترجع الحملة على الكاتب إلى أنه يكره أنور السادات الذي اتخذ قرار الحرب، وأنه لن يكون

## المحررة :

شكرا للمصديق إيهاب على مساهمتك ، وعنوان اليسار مكتوب على غلافها الداخلي ، ومرحبا بك في أي وقت . لكن اسمع لي أن أختلف معك ، في أن القضية ليست مفاضلة بين الهجوم على عبد الناصر أو السادات ، كما أنها ليست فقط حق الكاتب في أن يكون له رؤية وموقف من عهود الثورة الثلاثة ، لكن المشكلة هي أن تسخر مؤسسة كبيرة من مؤسسات الدولة كل إمكانياتها للهجوم على فرد لا يملك

أسلحتها ، ولا تسمح له بحق الرد حتى على حججه بفرض صحتها ، وهذا لاوصف له إلا أنه ارباب . أما نصر أكتوبر فلم يصنعه عبد الناصر والسادات فقط ، إنه ملك للجيش المصري العظيم ولتنضحيات الشعب المصري ولشهيدائه ، وكما خلدت السيمنا العالمية الحرين العاليتين الأولى والثانية في مئات من الأفلام حرصت معظمها على تعظيم وإعلاء العسكرية القومية للدول المشاركة بها ، فإن يوسع فيلم عن حرب أكتوبر أن يفعل ذلك

دون أن يكون عبد الناصر أو السادات أبطالاً به.

## " الاشتراكيون بين المطرقة والسندان "

ينطبق على الاشتراكيين المصريين الثقل القاتل " لاطال عتب اليمن ولايلع الشام " ففي حين كتب الاشتراكيون المصريون بدماثهم صفحات خالدة في الدفاع عن الديمقراطية وكانوا على مر العصور الملكية والناصرة والساداتية ضيوفاً للمعتقلات والسجون وضحايا للتعذيب والقهر بصفتهم ضحايا دأبتين لإنتهاك الحرية وغياب حقوق الانسان . جاءت أحداث انهيار النموذج السوفيتي للإشتراكية وما لازمه من تضخيم لدور غياب الديمقراطية في سقوط التجربة لتضع الاشتراكيين عموماً في موقف المتهم والجاني ، وكأنهم مارسوا أودعوا لأى سياسات أو ممارسات تتنافى مع الديمقراطية . والمضحك والمثير للعبث أن كفاف الاشتراكيين المصريين من أجل الاشتراكية لا يوازيه القدر والمجد والتضحيات من أجل الديمقراطية. فكل تاريخ كفاف الشيوعيين المصريين هو من أجل الديمقراطية لكل الشعب . والأغرب أن السلطة التي كانت تنادى بتطبيق الاشتراكية

وضعت الاشتراكيين الحقيقيين في السجن.

وواقع الأمر أن الشيوعيين لا يشربون القهوة ولا يقبلون العزاء . فنحن لم نجن على أحد وأبدنا نظيفة من أمة دماء اللهم سوى دماننا ودماء زملائنا من الشهداء . ولا ينبغي علينا الوقوع في الشعور بالذنب تجاه ممارسات آخرين حكموا وأخطأوا في تجارب مختلفة لانتحمل وزرها من قريب أو بعيد . أقول ذلك نظراً لما لاحظته من اتجاه القسم الأعظم من الشيوعيين المصريين والعرب للحدوث عن الاشتراكية الديمقراطية الأمر الذي قاربهم من أفكار الأحزاب الديمقراطية الاجتماعية والتي هي في واقع الأمر أحزاب إصلاحية تسعى لتحسين الواقع وتسعى لتغييره.

وحتى لانتكون أسرى لرد الفعل وتتحمل ذنباً لم تفتقرها وجرائم لم ترتكبها ، فعلياً أن نعلن صراحة موقفنا من كوننا ديمقراطيين أصلاً في الدفاع عن حقوق الشعب بوصف الاشتراكية والعدل الاجتماعي هي القاعدة الصحيحة لأي ديمقراطية شعبية تعطي الكادحين القصة للحصول على حقوقهم من الناتج القومي وتفتح أمام الطبقات الكادحة الطريق لتنمية ملكاتهم الفكرية والذهنية ، فما نعتقد وشما بعيداً ليس عيباً ومحاولة تغيير المجلد لاضرورة لها ، بل أن الصدق وإعلاء المواقف الثابتة في كل الأوقات هو الطريق الصحيح للحصول

## الأفكار بين نيل الهدف واستحالة التحقيق

حينما أقر ماركس وانجلز أن المجتمع يتكون من طبقتين فقط واحدة مستغلة ومالكة لرأس المال ووسائل الإنتاج وأخرى مطعوننة لا تملك شيئاً لأن الرأى بذلك كانت غاية في الوضوح ومن هنا أقروا بأن واجب المستغلين وخاصة طليعتهم الراجعة من البروليتاريا القيام بالثورة وقمع أصحاب رؤوس الأموال.

أما الآن ونحن في عصر الموجهة الثالثة حيث قلت أعداد العمال وتم استبدالهم بأساليب التقنية الحديثة .. ونحن في عصر تعقدت فيه العلاقات الاقتصادية والاجتماعية بشكل مثير .. أصبح من الصعب علينا حصر المجتمع في طبقتين فقط وبالتالي تغيير وإجبات ثورية كانت منوطه ببطقة واضحة سهل السيطرة عليها .. فيبدو أصحاب رؤوس الأموال والصيرين طبقه هلامية كبيرة مكونة من البرجوازية الصغرى وأغداة هائلة من الموظفين والتكنولوجيا فمفهوم البروليتاريا أصبح غير واضح كما كان .. فعلى الخطاب الماركسي الجديد أن يتوجه إلى هذه الطبقة الهلامية فضلاً عن بقايا البروليتاريا بمفهومها الكلاسيكي .

\* " مفهوم الثورة " فالثورة كانت مرتكزا أساسيا ووسيلة وحيدة للتطبيق الماركسي والان نجد أن معظم الأحزاب الشيوعية طرحت مفهوم الثورة جانباً واتجهت إلى الوسائل الديمقراطية المتمثلة في الانتخابات .. وبالتالي فمفهوم الثورة وماتنتجه من ديكتاتورية بروليتاريا أصبح مستبعداً في الفكر الماركسي الحديث .

على الماركسيين تنقية النظرية من الأفكار الطوباوية غير القابلة للتحقق في الواقع .. مثل زوال الدولة بوصول المجتمع إلى أعلى مراحل الاشتراكية .. حيث نزول الطبقات ويصبح العمل غاية في حد ذاته ولا يصبح هناك فرق بين عمل يدوي أو ذهني .

فبالرغم من بل هذه الأفكار إلا أنها مستحيلة التحقق على أرض البشر .

محمد أحمد فرحات  
الترقية

أصبح واجب الماركسيين الأساسي بعد سقوط التطبيق السوفيتي للماركسية إعادة النظر حيال الماركسية ومحاولة تجديدها لخلق نوع من أنواع الماركسية الجديدة المناسبة للعصور والتلائمة مع التغيرات المستمرة .. وإعادة النظر للنظرية لايتناقى مطلقاً مع الفكر الماركسي المتأني لوجود ثابت والمؤكد بأن كل شيء قابل للتجدد والتغير واسمحوا لي بتناول نقطتين يجب إعادة النظر فيهما .

\* " مفهوم البروليتاريا " ..

للعجلة والسيارة والدعم المادي ؟ أي عصر هذا .. وأنى اقتصاد يتشكل بالإعلان التجاري .. حتى تاه أطفالنا مابين الإعلام التجاري .. والأفلام والمسلسلات وهلمنا جراً .. ونحن حقيقة لا نملك ساعات خفيفة أو ثقيلة نظرها في أسواق الآخرين .. وحتى أحكام محكمة النقض .. حول بطلان عضوية أكثر من مائة عضو لجلس الشعب تاهت ؟؟

اذن من نحن؟؟ ونحن لانستطيع التشخيص أو اصلاح الخلل في العديد من السياسات .. وكمن نظرات وتأملات في المشهد البؤس للانسان المصري .. وزمن القطة لم يحن بعد ؟؟ تلك هي نقاط أرصدها نلعي حاضراً ومستقبلاً

يحيى السيد النجار  
دمياط

على مصداقية الشعب . وعلينا أن لاتنقد أدينا مسبقاً بشكل مستقبلي لتطبيق الاشتراكية - فما زال الأمر بعيداً ومعطيات الواقع الحالي تجعل التكهّن أو التصوير كخيف ستكون الاشتراكية وهي من الخيال .. ويكفيانا أننا في الماضي والحاضر والمستقبل وبقراطيون أصلاً . واشتراكيون أصلاً . أيضاً وهو أمر ليس فيه تعارض كما اعتقد .

أحمد طاهر  
المنصورة

من  
نحن

حينما حل التغيير الوزاري الأخير بمصر بقيادة د.الجنزوري كان الهدف رفع كفاءة الحكومة سياسيا وثقافيا واقتصاديا واجتماعيا ولكي يتناسب الأداء مع التغيرات العالمية ومع الدور العربي والاقليمي لمصر .

وأتساءل من منبر مجلنتنا القراء اليسار .. هل مصر تملك مشروعا اقتصاديا يحقق للمجتمع ذاته .. وقطار المخصصة يترنح بينا ويسارا ؟ وهل هناك توازن بين الانتاج المستهدف والطاقات الانتاجية لقطاع الأعمال؟ .. ومتى تتحرك الحكومة لتنمية الموارد البشرية المصرية . بعيدا عما يدار في كواليس التعليم بالجامعات الخاصة .. وهل الانتاج المصري حاليا يمتلك الجودة والذوق والمتانة واتفاقيه ( الجات) قادمة أم أننا نتحرك بالإعلان التجاري .. مابين الجانبيين .. والعلب الفارغة لسحق .. إلى كعوب علب السجائر .. الخ .. انتظارا





أثارتني فكرة المعرض الذي يقام هذا الشهر بمعهد "الفنون البصرية الدولية" بلندن تحت عنوان "المرئي وغير المرئي إعادة تقديم الجسم البشري في الفن المعاصر والمجتمع". وتذكرت مقولة الفنان الألماني بول كلي " مهمة الفن أن يجعل غير المرئي مرئياً ".

ثم تداعت عندي الذاكرة التاريخية منذ احتياج الفنان والشاعر والموسيقي لأن يثور على الاعتقاد وأن يخلق الأوضاع وأن يعيد صياغة الأشياء أو يقتحمها أو ينفيها ، بحثاً عن لغة جديدة تتلاءم مع الآليات التي طرحتها التكنولوجيا أو التي طرحتها تلك الآلية المسئلة في التكنولوجيا من الاحساس بالتعاسة الانسانية.

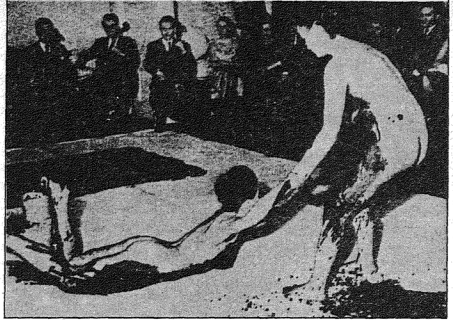
وبعود الفضل في محاولات هذه الثورة منذ أوائل القرن العشرين بصورة عملية على يد الفنان الفرنسي " مارسيل دي شامب " ، عندما سخر من قاعات عرض الفن ، ووضع " المبولة " على قاعدة خشبية وقام بتفريغها على هذا النحو من مخزونها الذي نعرفها به ، ثم تبع ذلك أولى محاولات الخروج من داخل قاعات العرض إلى خارج قاعات العرض حين بدأت الفاداد عام ١٩١٦ بعد الحرب العالمية الأولى تعلن عن كراهيتها لكل ما هو قائم ورفضها لكل ما هو منطقي ، وبدأت تخرج إلى الهواء الطلق وسط الحياة اليومية تلون الأشياء والعناصر وهي تتحرك وأيضاً وهي تتلاشى مثل الرسم فوق قطار أو على عجلة بخارية.

منذ ذلك التاريخ تواترت المحاولات ليس فقط للتغلب على شكل الفن وإنما أيضاً لتغيير الآليات المحيطة به ، السوق ، الذوق العام ، وأيضاً على الفرضيات التي وضعها الضغط الاقتصادي مثلاً في مقنن اللوحات. كان هناك بعد الحرب الأولى والثانية من ينادي بملافة رجل الشارع ، وهدم قاعات العرض ، والغاء المتحف. وبرغم أن الثورة التي بدأها مارسيل دي شامب كانت ضد البرجوازية في الفكر والمجتمع ، إلا أن بعضها كان يعكس غلاًفاً رومانسياً ظل ملازماً لتلك الحركات منذ بدأت.

الذاكرة التاريخية للجسد في

الفن المعاصر

إذا كانت هناك مقولات تعلم الآن



الرحلة الزرقاء - ايف كلاين

## المرئي .. وغير المرئي للجسد في الفن التشكيلي

بالأقمار  
الصناعية

فاطمة اسماعيل



غطاء إلا بعد وصول طائرته إلى ألمانيا بينما حزن الذئب حزناً شديداً برحيل صديقه وذكّرت بعض الصحف التي انتقدت التجربة بعنف أن هذا الحيوان البريء قد امتنع عن الطعام حتى فارق الحياة.

ماذا كان يعنى جوزيف بويز بعرضه هذا فى التخفى والظهور الجسدى ؟ وماذا كان يعنى بأحداث هذا النوع من التفاعل الجسدى الغريب بينه وبين الحيوان البريء؟ .. وماذا قصد من اختيار الذئب وهو - الإله المقدس - للهوند المجر ، الذين ذاقوا الهلاك على يد " الرجل الأمريكى " ؟... ماهى المعايير الجمالية الجديدة - والمختلفة تماماً عن جاليات الفن التقليديّة - التى وضعها بويز فى هذا العرض الجريء؟..

معرض " الظاهر والخبفى " فى الفن المعاصر

نعود مرة أخرى للمعرض الذى يقدمه هذا الشهر " المعهد الدولى للفنون البصرية " بمنطقة أوستون .. فى هذا المعرض يعيد الفنانون اكتشاف الجسد فى الفن المعاصر والمجتمع وذلك من خلال مجموعة عروض بالقرص الصناعى تجهيز فى الفراغ " In-stallation " "Events" وعروض حديثة مثل "Perfomance" و "Hopenig"

يعد هذا المعرض الأول من نوعه بالبحرين حيث يجمع أعمال خمسة عشر من أشهر فناني العالم فى هذا المجال ، يقدم فيه كل فنان رؤيته الخاصة حول " الجسد " كعنصر جديد يعاد طرحه فى الفن والمجتمع بصورة تتناقض مع المفهوم التقليدي عن الجسد عند الفنانين وذلك من منطلق أوسع فى ثقافة الجسد فى الطب ، فى العلوم ، فى العمارة ، فى تراث الأديان المختلفة.

يقام المعرض بعيداً عن إطار القاعات التقليدية متفاعلاً أكثر فى صميم الحياة وذلك فى منطقة مفتوحة بمدينة أوستون . من أهم المشاركين فى العرض الفنان لويس بورجواز - و بروس نومان وفيرجينيا تيماركوف وغيرهم .

يستمر المعرض ثلاثة أشهر بالبحرين ثم ينتقل فى جولة بأوروبا.



جوزيف بويز  
كيف تصف لوحة لآزب ميت

بمحاولة الكشف عن زميله فى القفص ثم الغضب لعدم قدرته على استحضار جسده وحيثية كما تعود عليها .. وبعد بأس يتأكد أن هناك كائن غريب فى القفص وليس صاحبه الذى شاهده بعينيه وهو يتخفى .. فيبدأ بمهاجمته وتزريق الغطاء ، وحين يستعصى عليه الأمر ينسحب إلى كومة التبن مستسلماً لثورة مكتومة .. يبدأ الفناء فى خلع الغطاء وكشفه ثم يتحول فى القفص ويذهب فى اتجاه الذئب محاولاً إيجاد حوار صامت بينهما بعيد الكره بارتداء الجوانتى والقبعة ويتركز موقف الذئب فى التغيرات السلوكية تجاه حركة الجسد عند جوزيف بويز بين ( الظهور والاختفاء ) ..

تفسير علاقة الذئب بالفنان يوماً بعد يوم حتى يصبح الاثنان فى نهاية المعرض أصدقاء يتبادلان الأدوار فإذا بالذئب يلعب بالقبعة والقفاز والعصا ويتهلل بلعب الاختفاء والظهور التى يمارسها الفنان من وقت لآخر ، ويداعب الفنان .. وتحولت ثورة الذئب من وجوده مع هذا الكائن الغريب إلى ثورة على فضول المشاهدين الذين كانوا يمثلون قدراً كبيراً من الإزعاج له ولصديقه فى القفص . انتهى العرض بعد ساعة أبام وغلف بويز جسده مرة أخرى باللياد وانتقل فى سيارة اسعاف من القاعة وحتى الطائرة ولم يكشف

إعادة تقديم الجسم البشرى فى الفن المعاصر والمجتمع " فمن الأحرى أن تنتج العلاقة الأولى بين الفن والجسد فى الفن المعاصر .. هناك علاقة قديمة منذ نشأ الفن مع الجسد .. ولكننا نستعيد اكتشاف تلك العلاقة فى الفن المعاصر ، والتى ارتبطت بالمفاهيم الجديدة التى وضعها أولديجر فى الخمسينات " للجسد " من خلال فن " البيروفورمانس " وروشنيرج وايف كلاين ، ثم كان هناك فى نفس الوقت الفنان الأمريكى فيليب جوستن الذى وضع مصطلح " الفن القبيح " أو " vgly Art "

أيضاً جوزيف بويز فى الستينات من هذا القرن الذى بدأ فى وضع مفهومه الخاص بتسييس الفن أو الفن السياسى وذلك من خلال تقديم " الجسد " فى مشروع جديد للفن .. نذكر من بين مآقده بويز العرض الخاص الذى أقامه بنيويورك فى افتتاح قاعة خاصة وجديدة .. انتقل بويز من ألمانيا مغلفاً جسده بخامة اللياد - وهى خامة عازلة تماماً - وركب الطائرة فى ذلك الوضع ثم انتقل من المطار وحتى قاعة العرض فى سيارة اسعاف - وحين وصل إلى القاعة كان هناك قفص من الحديد فى حجم الغرفة المتوسطة معداً لاستقباله بداخل القفص حيوان " ذئب " - وهو الرمز المقدس للهوند المجر - وعلى جانب من أرض القفص تم وضع عناصر خاصة بالفنان قفاز ، قبعة ، عصى . وأيضاً بعض من الجرائد الأمريكية التى صدرت صباح نفس اليوم . استمر العرض أسبوعاً كان خلالها يتم تغيير الجرائد يومياً والفنان والحيوان لا يرحلان القفص .

بدأت علاقة الفنان بالحيوان برفض تام من الذئب .. فى اليوم الأول كان يتحول بحذر شديد ملتصقاً بالسور الحديدى يشم الجرائد والقفاز والقبعة .. ويهتف " التبن " الموجود فى تلك الأتثناء كان الفنان يقوم بحركات بين التجول فى القفص ثم يلف جسده مرة أخرى باللياد حتى رأسه ويخفى معاله بالكامل إلا من العصى التى يظهر جزء منها أعلى رأسه من فتحة شقيقة جداً فى الغطاء ، الذى يلف جسده .. ثم يقوم بعمل حركات ( جسدية ) بالانثناء أو التكور والتكوير أو الرقود على الجلوس كل ذلك ببطء شديد .. يغلب على الذئب الفضول فى بادئ الأمر ثم الإثارة

# مشاغبت



## الذي يجب أن نتذكره

ليس احتجاج رئيس الوزراء الإسرائيلي «بنيامين نتنياهو» على قيام القوات المسلحة المصرية بمناورات «بدر ٩٦» ، هو أول احتجاج إسرائيلي حول هذا الموضوع، فقد سبق له أن اشترك في الضجة التي أثارت في الولايات المتحدة، بمناسبة ما نشر عن شراء مصر لصواريخ «سكود» ، كما سبق له الاحتجاج على قيام القوات المسلحة السورية المتمركزة في لبنان بعملية لإعادة الانتشار، على الرغم من التأكيدات الرسمية العربية، بأن هذه التحركات والمناورات هي لأهداف عملية وتدريبية محضة، ولا تعنى أن العرب عدلوا عن التزامهم بمسيرة «السلام».

ولا يكفي أن نذكر السيد «نتنياهو» بأنه تلقى وما يزال يتلقى من الولايات المتحدة الأمريكية مئات الآلاف من أطنان السلاح، وأنه عقد في زيارته لواشنطن اتفاقاً مع كلينتون، لربط إسرائيل بشبكة الدفاع الجوي عن الولايات المتحدة ذات نفسها، وأن هناك اتفاقاً استراتيجياً بين البلدين يتعاونان بمقتضاه على تطوير السلاح، وأنه فضلاً عن هذا كله، يرفض توقيع معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية، ويرفض أي تفتيش دولي على مفاعلاته النووية، وأنه يحرك قواته المسلحة نحو الجنوب اللبناني حين يشاء ، ويقوم بما يشاء من دون أن يحتج أحد من العرب، أو يسأله : ثلث الثلاثة كام؟.

ولا يكفي أن نقول له أنه ليس من حقه هو بالذات، أن يعترض على المناورة «بدر ٩٦» بدعوى أنها تهدد السلام، فنتخذ لها نفس الأسم الكودي الذي اتخذته حرب أكتوبر، أو لأنها كانت أكبر من المناورات السابقة، بل واشتملت على صد هجوم من «الشرق».. أما وهو صاحب نظرية الأمن أهم من السلام، فلا محل للاعتراض، بل هناك محل للشكر، لأن الأقطار العربية ومن بينها مصر، اعتنقت نظريته، وتبنت إلى أن لها أمناً قومياً، ينبغي أن تستعد لحمايته ، وأن السلام لا يعنى أن تترك حدودها من دون حماية..

وليس من حق عظمتهم - فضلاً عن هذا- أن يتحدث عن تهديد مسيرة السلام، وهو الذي وضع العصا في عجلتها، بأعدائه أن الجولان والقدس

والدولة الفلسطينية ليست موضوعاً للتفاوض، ويصافحته لباس عرفات وهو يسد أنفه، ويتصرخاته الاستفزازية بأنه لا يتعجل إتمام عملية السلام، إذ لا معنى لإخراج كل هذه الأمور من دائرة التفاوض، إلا أن السلام ذات نفسه قد خرج من دائرة التفاوض.

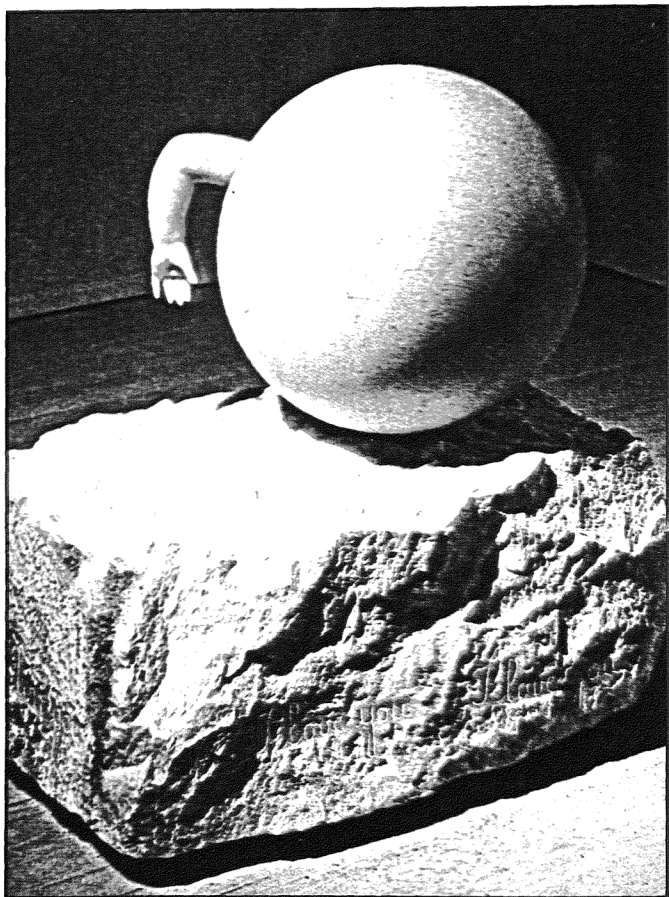
ذلك كله لا يكفي ، لأن «نتنياهو» يعرفه، أما الذي ينبغي أن نعرفه، أو نتذكره نحن العرب، فهو أن «نتنياهو» لا يقول هذا الكلام من فراغ، ولكنه يتعامل مع مفهوم للسلام، يسود منذ عام ١٩٧٧، وهو أن من واجب العرب، أن يكفوا عن تسليح أنفسهم، إلا بالأسلحة التي تكفي لاثارة الحروب الأهلية فيما بينهم، لطمأنة الاسرائيليين بأنهم جادون في مسألة السلام، ومعالجة عقدهم النفسية، حتى لو أدى هذا لتخفيض عدد

الجيش العربي، وتشغيل ما تبقى منها في الخدمة المدنية، أو توظيفها في إطار حلف الاطلطي، لتكون جناحاً- أو ذيلًا- جنوبياً له، وبذلك تصبح زنتنا في دقيقتنا، نحن وأمريكا وإسرائيل، وبصبح أمن إسرائيل من أمنا، وأراضينا المحتلة، بين أيديها في الحفظ والصون .

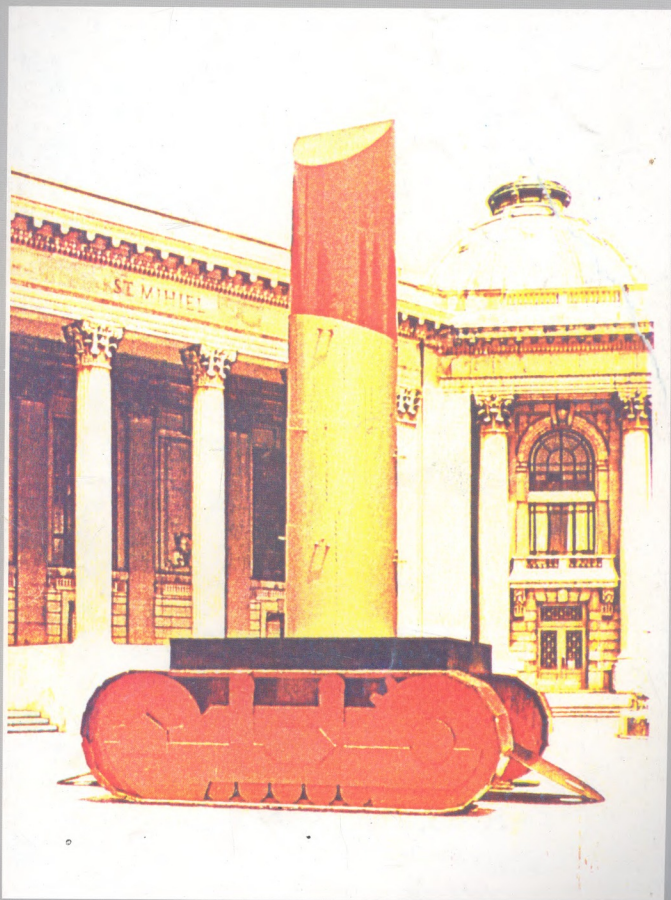
ولأن «نتنياهو» واسلحته، قد تعودوا على هذا النوع من التفكير الاستراتيجي العربي، فقد أعزعج أن العرب قد تنبهوا إلى أن الاستقلال بدون قوة تحميه كلام فارغ، وأن السلام مع رجل مثله، بدون أمن كلام يذئ.

وربما لهذا السبب اندفع في تصريحاته الوقحة، التي تدعونا لتذكيره بأن الوجه الآخر لشعار «الأمن أفضل من السلام» «الأدب فضله على العلم»!.

صلاح عيسى



لویس برجواز ( بدون عنوان ) ۱۹۸۹



أولدنبيرج - ١٩٦٩